المجلس الوطني الانتقالي
المجلس المؤقت لتسيير جامعة طرابلس
كليـة الآداب
قسم اللّغة العربيّة
شعبة الدراسـات العليا

فن النقائض في الأدب العربي
في الجاهلية وصدر الإسلام

رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية(الماجستير).

إعداد الطالب : هيثم سالم علي العباني
إشراف الأستاذ الدكتور : عبد النّبي سالم قدير
العام الجامعيّ
2010 ــ 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[1]

[1] – سورة الحجرات، الآية:13.

الإهداء

**** إلى والدي الكريمين اللذين سهرا الليالي، وكافحا قسوة الأيام وما بينهما من أخطار ومصاعب، وقدما لي أفضل ما يقدمه والدان لابنهما، حسن الخلق.***

**** إلى أستاذي الكريم الدكتور: عبد النبي سالم قدير وإلى كل طالب علم.***

**** إلى كل من ساعدني في هذا البحث المتواضع.***

الشّكر والتّقدير

في بداية هذا البحث أودّ أن أتقدم بخالص الشّكر والعرفان إلى الدّكتور الفاضل المشرف على هذا البحث: عبد النّبي سالم قدير، على النصائح والإرشادات القيّمة المنصفة التي تَفَضّلَ بها مشكوراً، والتي أسهمت في إتمام هذا البحث، فإن كنت قد وفقت في هذا البحث، فإنّ الفضل يرجع لله تعالى ثم إلى أستاذي المشرف الذي فتح صدره لي وتقبل تثقلي عليه دون شعور منه بالملل، ولم يبخل عليّ بإرشاداته ومكتبته طيلة فترة البحث. كما أتقدّم بالشكر والتقدير لأصحاب المكتبات العامّة والخاصّة، فما كان من خطأ راجع إلى قلّة خبرتي وضيق أفقي وبساطة إدراكي، فهو إنتاج طالب مبتدئ في مجال البحث.

وإنّ محاسن هذا البحث هي لأستاذي وعيوبه من قصري وليس من تقصيري، كما أشكر كلّ من أسهم في إنجاح هذا البحث.

والله وليّ التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم: هيثم سالم عليّ العماري من مواليد 1983م.

العنوان: ترهونة عبانات عبورة درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدرسة شهداء عبورة.

حصل على الشهادة الثانوية القسم الأدبي سنّة 2001م.

التحق بالدراسة الجامعية بكلية الشريعة جامعة المرقب قسم اللغة العربيّة تخرج منها سنّة 2004م.

إلتحق بالدراسات العليا بجامعة الفاتح قسم اللغة العربية شعبية الأدبيات تخرج منها سنّة 2008م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المخلص العام

الحمد لله ربّ العالمين الذي هدانا للإسلام وعلمنا ما لم نكن نعلم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم – ﷺ – الصادق الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنّ دراسة التراث العربيّ واقتفاء ملامحه وقيمه بين ثنايا المصنفات والموسوعات تكشف المدى الإبداعي الذي حققه الشعراء الجاهليين والإسلاميين في نهضة الشعر بجميع أشكاله وبخاصة الهجاء بين الشعراء وما ينطوي عليه من نقائض بينهم، فالشعر ضرب من القول في العربيّة وهو فنّ القول عند العرب، فقد صار له شأناً عظيماً عندهم وفي حياتهم، فقد قامت عليه عوامل كثيرة قدمته على غيره من فنون القول ترجع إلى طبيعة الحسّ العربيّ وذوقه.

والظروف التي عاشها العرب، والأحداث التي كانت سبباً مباشراً في تطوّر وانتشار ورفعت من شأنه.

ولاشك إنّ الشعر في العصر الجاهلي قد وصل إلى مرحلة عالية من الجودة فصار نموجاً لما بعده من العصور، فقد كان له دور كبير في الحياة العامّة والسياسية بخاصة.

فقد كانت الصراعات القبلية سببا مباشراً في ظهور لواء الشعر في الأحداث وعلو مكانه وخطره في الصراع، فقد شارك مشاركة فعّالة في الحروب والتنافس على السيادة والدعاية، فبهذه المشاركة للشعر في الحروب ظهرت ظاهرة النقائض في العصر الجاهلي وبخاصة عند شعراء القبائل المتحاربة، ولا يمكن تحديد نشأتها بتاريخ وزمن معين بل نشأ مع الشعر العربي وتطورت مع عصره المختلفة ثم ازدادت نمواً وازدهارا في العصر الإسلامي والأموي.

فقد اعتمدت النقائض الجاهلية على الهجاء، فقد كان الشعراء يتخذون منه موضوعاً يتحاورون فيه ويهجون ويناقضون بعضهم بعضاً، لذلك اعتمدت

النقائض الجاهلية على الهجاء، فقد صورت النقائض الجاهلية الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية أحست التصوير، ووصفت أوضاع الناس من العادات والتقاليد والأعراف وكذلك الفخر فقد كان الشاعر الجاهلي يفخر بنفسه وبقومه في الحرب على الخصوم، فيرد عليه شاعر في الطرف الآخر فتحصل المناقضة بينهما.

وهناك أسباب أدت إلى ظهور هذه الفنّ وهي الأسباب القبلية والتعصب القبلي والفخر بالأنساب، والأيام وما دار فيها من حروب ففي ظل المعارك والحروب لابّد من أن تنشأ حرب كلامية مواكبة لحرب السيف وكل فريق يدعوا إلى نصرة حزبه، فيدافع بالشعر ويحرض ويحمس المقاتلين على الخوض في الحرب، فقد كان القبيلة في الجاهلية تنكر على الشاعر أن يقتصر شعره على ذاته ومشاعره الشخصية بل يجعله في سبيل القبيلة والقوم.

وللشعر دور كبير في الحياة العامّة وبخاصة في الحياة السياسية فقد كانت الصراعات القبلية، سببا مباشرا في ظهور لواء الشعر في الأحداث الإسلامية وعلو مكانه في الصراع، فقد شارك في الحروب مشاركة مباشرة والتنافس على السيادة والملك، وازداد الشعر في الإسلام أهميةً، وعَظُمَ دوره، عندما أصبح للإسلام كيان سياسي يهدد أعداءه، فالمشركون يتعصبون لقبائلهم ودين آبائهم وتراث الجاهلية، والمسلمون صارت لديهم عاطفة وحماس وولاء لدينهم الجديد وقد طرحوا أمر الجاهلية عن كواهلهم.

في إثر ذلك ظهرت تيارات عصبية قبلية طائفية شعوبية مذهبية عنصرية يقف وراء هذه التيارات الشعراء والخطباء كلّ يدافع عن حزبه، فهذه الأحزاب والطوائف والحمية القبلية والأنساب والتعصب كانت تمثل خطراً على الأمّة الإسلامية وقد استطاع النبي – ﷺ – أن يؤسس كياناً جديداً في الإسلام يتجافى عن العصبية القبلية ووجه عُصبة القبائل وقوتها إلى نصرة الإسلام فجعل كل قبيلة لواء تقاتل تحته وهو لواء الإسلام.

فهذه الدعوة الإسلامية الجديدة من شأنها أن تثير عواطف متناقضة بين دعاة الحق والباطل أو بين المسلمين والمشركين، فكل عاطفة تمثل صراع بين عصرين مختلفين وكان من ذلك ملاحاة ومهاجاة بين الفريقين، ومنها كانت

النقائض الإسلامية الأولى التي كانت امتداداً للنقائض الجاهلية من حيث أصولها الفنية وجذورها التاريخية فصارت النقائض الإسلامية الأولى تتخذ طابعها الجديد قد خلت المعاني اللينة السهلة الجديدة البعيدة عن الشباب والشتم ودخل الأسلوب الجديد على الشعراء الإسلاميين، مما أدى إلى تهذيب ألفاظهم وتحسين أسلوبهم، فقد كان المشركون والمسلمون في تناحر دائم وتناقض بعضهم في الحروب، الفائز يفخر بقومه والمهزوم يرثي القتلى ويبكي، وقد سلك النبي – ﷺ – طريقاً يسيراً سهلاً في دعوته فيه حكمه وموعظة حسنة ودعا الناس بالتي هي أحسن.

فبهذه الأسباب وغيرها ظهر الهجاء أو فنّ النقائض بين الشعراء في الجاهلية والإسلام.

ونتيجة لاتساع هذا الجانب من البحث اقترح المشرف أن يكون البحث في النقائض الجاهلية ونقائض عصر صدر الإسلام، ونظراً لتشعب الموضوع واتساع جنباته التاريخية، اتبعت المنهج التاريخي في عرض البحث ودراسته، وقد استفدت في ذلك من أهم المصادر مثل كتب التراجم والتواريخ سواء الجاهلية أو الإسلامية والمصادر والموسوعات الأدبية.

وكانت الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع أنّه مرتبط بواقع السياسة والأدب والصراع والتاريخ وبيان ما تدعوا إليه الأحزاب السياسية وكذلك التعرف على ما قام به الشعراء المتعصبون من تطوير فنّ النقائض في الشعر العربيّ.

ولذلك أمكن ضبط البحث في تمهيد الذي يشتمل التعريف اللغوي والاصطلاحي للنقائض، وثلاثة فصول وخاتمة وهي كالآتي:

الفصل الأوّل: تحدثت فيه عن النقائض في العصر الجاهلي من حيث النشأة وأسباب ظهورها وعلاقتها بالنزعة القبلية والحياة الاجتماعية.

الفصل الثاني: جاء في دراسة مقومات النقائض وعناصرها في العصر الجاهلي وكان مقوماتها الأنساب والتعصب الجاهلي والأيام ومدى تأثيرها في النقائض.

الفصل الثالث: الذي جاء في دراسة النقائض في عصر صدر الإسلام الأوّل وأسباب ظهورها وتطوّرها وموقف الإسلام من الأنساب، والعصبيات القبلية مع

دراسة لبعض الأمثلة من القرآن الكريم للنقائض وكذلك تناولت فيه الغزوات الإسلامية ومدى تأثيرها مع النقائض.

وقد توصلت في نهاية البحث إلى عدّة نتائج منها:

1 ــ إنّ ظاهرة النقائض عُرفت منذ القدم في العصر الجاهلي وخير ما يمثل هذه الظاهرة النظام القبلي والعصبيات.

2 ــ ساعدت هذه الظاهرة على تحريض الشعراء لقبائلهم للأخذ بالثأر وانتشاره بين القبائل.

3 ــ أثّرت هذه الظاهرة في الحياة الأدبية وخاصّة الشعر مما أدّى إلى مغالاة الشعراء في عصبياتهم لقبائلهم.

4 ــ ساعدت هذه الظاهرة على ظهور الشعر الجماعي والمفاخرات بين الشعراء.

5 ــ ظهور الأيام الجاهلية وحروبها أثّرت في تطوّر فنّ النقائض.

6 ــ إنّ مقوّمات النقائض وعناصرها في الجاهلية هي الأنساب والتعصب القبلي والأيام والحياة الاجتماعية.

7 ــ أدركت القبائل في العصر الجاهلي أنّ مصلحتها تقتضي بشدّة تماسكها وتناصر أفرادها حتّى تستطيع أن تحقق أهدافها.

8 ــ كان للشعر دور كبير في الحياة العامّة والحياة السياسة فقد كانت الصراعات القبلية، سبباً مباشرة في ظهور لواء الشعر في الأحداث وعلو مكانه في الصراع فقد شارك مشاركة فعّالة في الحروب والتنافس على السيادة.

9 ــ ظهور تيارات عصبية قبلية مذهبية طائفية شعوبية عنصرية ذات طابع سياسي يقف من وراء هذه التيارات الشعراء والخطباء يدافع كل واحد منهم عن حزبه.

10 ــ إنّ هذه الظاهرة حفظت اللغة العربيّة من الضياع بين اللغات الدخيلة.

11 ــ تمسك الشعراء في العصر الإسلامي بالروح الإسلامية الجديدة ووقوفهم مع النبي – ﷺ – والدعوة الإسلامية.

12 ــ ظهور معاني جديدة في العصر الإسلامي مما أدى إلى التزامها لفظاً ومعناً في الشعراء الإسلاميين.

13 ــ ظلت العصبية القبلية بين المهاجرين والأنصار وبين الأنصار أنفسهم قائمة على الرغم من أنّ الرسول – ﷺ – آخى بينهم ومثل هذه العصبية تجدها في بطون قريش فقد كان بين بني أميّة وبني هاشم منافسة قديمة ترجع إلى الجاهلية.

14 ــ وقفت طائفة من الشعراء إلى جانب قبائلهم المرتدة عن الإسلام وحرّمن بعض الشعراء قبلية على الارتداء مثل الحطيئة.

15 ــ لأنّ شعر بعض الشعراء ومن أمثالهم حسّان بن ثابت ورضي الله عنه وذلك لتغير الظروف عليه من الجاهلية إلى الإسلام.

16 ــ شاركت النساء والشعراء في النهضة الشعرية مع الرسول – ﷺ – وكُنّ يحرض على القتال والانتقام للمسلمين.

17 ــ ألغى الإسلام والانتماء إلى الأنساب والافتخار بها على الناس وكذلك ألغى العصبية القبلية الجاهلية وكل ما تمت إليه بصلة.

18 ــ كثُرَ شعر الشعراء المسلمين في الغزوات الإسلامية.

19 ــ ظهور شعر الوفود للشعراء الوافدين على الرسول – ﷺ– لإعلان إسلامهم أمامه.

20 ــ ازداد نتاج الشعراء سواء الإسلاميين أو غيرهم من الشعر وذلك لمناقضة بعضهم بعضاً.

21 ــ توجه القبائل وقوتها على نصرة الإسلام فجعل الرسول – ﷺ– لكل قبيلة لواء تقابل تحته يتجافى عن العصبية القبلية والأحزاب فتفخر بانتصاراتها في الإسلام.

وكان بذل هذا الجهد لاقتفاء المعارف والأفكار وتمحيصها من لوازم الوصول إلى هذه المرحلة التي جعلت الدراسة تبلغ نتاجها وغاياتها بفضل الله عزّ وجلّ.

وإذا قدم هذه العمل المتواضع أمام الباحثين فإنّني لا أدعي الإحاطة الشاملة بأمر ظاهرة النقائض في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام وإنّما هي محاولة

لبداية في طريق البحث العلميّ وبذلك آمل أن يكون لهذا البحث موقعه الملائم في المكتبة العربيّة.

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور: محمّد سعيد محمّد عليّ تفضله لقراءة هذه الرسالة وقبوله مناقشتها كما أشكر الأستاذ الدكتور على أحمد صالح على توجهاته القيمة وقبول مناقشة هذه الرسالة وأيضا الشكر للأستاذ الدكتور عبد النبيّ سالم قدير على توجيهاته وإيضاحاته التي أفادت البحث.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وعرفاني إلى جامعة الفاتح، والعاملين فيها وأخص بالذكر قسم الدراسات العليا ومديرها ومسجله وكل العاملين فيه، وأشكر أيضاً العاملين بمكتبة الدراسات العليا.

أسأل الله التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمته وبركاته

المقدمة

المقدّمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا ما لم نكن نعلم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، الصادق الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحابته أجمعين، وكل من أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنّ دراسة التّراث العربيّ القديم واقتفاء ملامحه وقيمة، بين ثنايا المصنّفات والموسوعات الأدبيّة تكشف المدى الابداعي الذي حقّقه الشّعراء الجاهليون والاسلاميون في نهضة الشّعر بجميع أشكاله وبخاصّة الهجاء بين الشّعراء، وما ينطوي عليه من نقائض بينهم، فكان لها الدور الكبير في التأثير في العصبيات القبلية والأحساب والأنساب والتّفاخر، والأيام ومادار فيها من حروب، فقد كان ظهور النّقائض الأولى مع بداية الشّعر العربيّ في العصر الجاهليّ، فأخذت طابع الشّدة والقوّة والصلابة وحتّى الفحش في القول، إلى أن جاء الإسلام فهذبها وغيّر معانيها إلى معان إسلامية.

وقد أهتديتُ إلى هذا الموضوع (فنّ النقائض في الأدب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام) عن طريق أستاذي الدكّتور المشرف، الذي لمّح إليه في إحدى المحاضرات أثناء فترة الدّراسة، فقد وجّهني الأستاذ المشرف للاطلاع على المادّة العلميّة وما تحويه من معلومات قيّمة زخرت بها كتب الأدب والتاريخ.

وقد أستعنت بالمصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث منها: العقد الفريد لابن عبد ربّه، وتاريخ النقائض لأحمد الشائب، والهجاء والهجاؤون في الجاهلية لمحمّد محمّد حسين، وغيرها من الموضوعات الأدبيّة.

كما رجعت إلى الدّراسات السّابقة المتعلقة بموضوع(نقائض جرير والأخطل)، و(جرير والفرزدق)، و(تاريخ النقائض وشعر المخضرمين وأثر

الاسلام فيه)، وغيرها من الدراسات التي تناولت جوانب من الموضوع سواء في الجاهلية أو في الاسلام.

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع وتحديده في تلك الفترة الجاهلية؛ فلأنّه مرتبط بواقع الأدب والسّياسة والتّاريخ والدّين، وكذلك التّعرّف على ماقام به شعراء النقائض من ازدهار في الشّعر العربيّ ورقيه، وكذلك بيان أهمية النّقائض في الحفاظ على اللّغة من الضياع والاندثار، وبرغم كل الصّعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث وتقديمه على الصّورة النّهائية، فقد سعيت جاهدا أن يكون عملا يسهم في تكوين فكرة وافية عن النقائض وتاريخها في الجاهليّة والاسلام، وما أحدثته من رقي في اللّغة والحفاظ عليها.

أمّا منهج البحث والدّراسة فهو المنهج التّاريخيّ. وقد قسمتُ موضوع البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

التّمهيد: يشمل التّعريف اللّغويّ والاصطلاحيّ للنقائض وبعض التّعريفات الاصطلاحيّة للنقائض.

الفصل الأوّل: النقائض في العصر الجاهليّ وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: نشأة النقائض وأسباب ظهورها ونموها وتطوّرها في العصر الجاهلي.

المبحث الثّانيّ: النزعة القبلية وعلاقتها بالنقائض.

المبحث الثّالث: النقائض والحياة الاجتماعيّة.

الفصل الثّانيّ: وجاء في دراسة مقومات النقائض وعناصرها في الجاهلية وجاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: التفاخر والتعاظم بالأنساب ودوره في خلق النقائض في الجاهلية.

المبحث الثّانيّ: جاء في دراسة الأيام وأثرها في نشوء فنّ النقائض.

المبحث الثّالث: جاء في دراسة خصائص فن النقائض في الجاهلية.

الفصل الثّالث: جاء في دراسة النقائض في عصر صدر الاسلام واشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: تحدثت فيه عن أسباب ظهور النقائض ونموها وتطورها في عصر صدر الاسلام.

المبحث الثّانيّ: جاء في دراسة موقف الاسلام من العصبية القبلية.

المبحث الثّالث: جاء في دراسة موقف القرآن الكريم من النقائض، مع بعض الأمثلة من آيات القرآن الكريم.

المبحث الرّابع: تناولت فيه الغزوات وأثرها في النقائض التي دارت فيها.

الخاتمة: وفيها تناولت أهمّ التنائج التي تمّ التوصل إليها، ويلي الخاتمة قائمة بالمصادر والمراجع.

وأخيراً: فإنّ هذا العمل البسيط ماهو إلاّ ثمرة دراستي واطلاعي على كتب الأدب والتّاريخ والموسوعات ثم توجيهات أستاذي الفاضل وتشجيعه المتواصل.

أسأل الله تعالى التّوفيق والسّداد.

الباحث هيثم العباني

الرّموز والاختصارات المستخدمة في الرّسالة

الرّمـــــز	الكلـــــــمة
1 ــ ص	الصّفحة
2 ــ ج	الجزء
3 ــ مج	المجلد
4 ــ ط	الطبعة
5 ــ تح	تحقيق
6 ــ (د.ط)	بدون رقم الطبعة
7 ــ (د.ت)	بدون تاريخ الطبعة

التمهيد

المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ للنقائض

مفهوم مصطلح النقائض.

أولاً/ الدّلالة اللّغويّة للنقائض.

ثانياً/ المعنى الاصطلاحي للنقائض.

المدخل

المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ للنقائض

مفهوم مصطلح النّقائض:

تطورت العلوم العربيّة وتنوعت فنون أدبها وتعددت، ومن بين هذه الفنون فنّ النّقائض الذي يُعدّ لوناً من ألوان المناظرة الأدبية، وكما أنه يُعدّ سجلاً تاريخياً أفاد منه العلماء في معرفة أنساب العرب وأيّامهم وأمثالهم، وكان لها الفضل على اللغة بأن أمدتها بثروة من الألفاظ وأكسبت المعاجم مادة لغوية قيمة، ثم أخذت مكانها بين الشعر والشعراء، فجاءت القصائد معبرة عن تلك الفترات التاريخية المتعاقبة وما يدور حولها من الفتن والحروب والعصبيات بين القبائل العربية في الجاهلية، مما كان له الأثر الأكبر في النهوض بفن النّقائض في الجاهلية، وقبل الدخول في هذا الفن وما يدور حوله لابد من تعريف فن النّقائض في اللغة والاصطلاح.

أولاً/ الدّلالة اللّغويّة للنقائض:

إنّ للمصطلح أكثر من دلالة لغوية، فالنّقائض جمع مفردة نقيضة، والنقض إفساد لما أبرم من عقد وبناء، ونقض البناء هدمه، ونقض الحبل إذا حله ونقض العهد إذا تحلل منه، والنقض ضد الإبرام والنقيضة الاسم ويجمع على النّقائض، والمناقضة في القول أن تتكلم بخلاف معناه، فيقال على سبيل المثال نقائض جرير[1] والفرزدق[2] والأخطل[3] وغيرهم ممن تناقضوا في القول أو في الفعل[4].

والنقض يقال في اللغة:- أنقضه في نقضه، ونقض الأرض تنقيضاً أي صدع ترابها، وأنقض عليه الشعر إذا تغير أصله، والنِّقضِ بالكسر:- العسل يسوس فيؤخذ فيدق، ومنتقض عن الأمر أي منتشر عنه[5]، ونقض البناء والحبل

---

1 ــ هو: جرير بن عطية بن حذيفة بن الخطفي، واسمه حذيفة، ، وهو من بني كُليب بن يربوع، ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تَميم بن مرة التَميمي الشاعر المشهور ؛ كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ويعتبر من أشد الشعراء الهجائيين،. ينظر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط4، 1997م، ج1، ص321. والأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، سنة 1980م، ج2، ص119.

2 ــ هو أبو فراس همام وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: هُميم بالتصغير ابن غالب، وكنيته ، ابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، واسمه بحر، بن مالك، واسمه عوف سمي بذلك لجوده، ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تَميم بن مرة التَميمي، المعروف بالفرزدق، الشاعر المشهور. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج8، ص86.

3 ــ هو غياث بن غوث من بني تغلب، يكنى أبا مالك، وكان يشبّه بالنابغة الذبياني، وهو تغلبي ولد في الحيرة، والأخطل لقب غلب عليه والسبب في ذلك أنه هجا رجلاً من قومه فقال له غلام إنك أخطل، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج1،325.

4 ــ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث القاهرة، مصر، ط 2003م، مادة: (ن ق ض)، ج8، ص250.

5 ــ ينظر: ذيل أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، السعيد الخوري، دارالفكر، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ج3، ص411.

والعهد من باب نصر، والمناقضة في القول يتكلم بما يتناقض معناه والنقض بالكسر المنقوض، وأنقض الجمل ظهره أثقله[1]، ولقد تعددت مدلولات المصطلح في القرآن الكريم، فوردت بمعانٍ متعددة منها قوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ**﴾[2]، أي وخفّفنا عنك ما أثقل ظهرك، فأنقض الظهر أثقله وأوهنه، حتى سمع له نقيض، وهو صوت الانتقاض، أي خفَّفنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها، أو يراد ترك الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتبون بمثلها، فيقال أثقله وأجهده، كما ينقض البعير حمله الثقيل، حتى يصير نقضاً بعد أن كان سميناً[3]، وورد في آية أخرى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ ينقُضُونَ الْمِيثَاقَ**﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**﴾[7]، فكلمة النقض في الآيتين الأوليتين تفيد نقض العهود والمواثيق، حيث استخدم الفعل المضارع، وفي الآيتين الأخيرتين تفيد نفي النقض على أصحابهم، حيث استخدم لا النّاهية، فجميع الآيات تتحدث عن انتقاض العهد والأيْمان بعد إبرامها وتوكيدها، فهذا طرف بسيط

---

1 ــ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1988م، مادة: (ن ق ض) ، ص676.

2 ــ سورة الشرح، الآية 3.

3 ــ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420هـ - 2000م، ج24، ص494. وتفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، ج8، ص430. ومعاني القرآن للفراء، تح: محمد علي النجار دار السرور، دط.ت، ج3، ص275. ومختصر تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت- لبنان 1419هـ- 1999م، ج3، ص645.

4 ــ سورة الأنفال، الآية 56.

5 ــ سورة الرعد، الآية 25.

6 ــ سورة الرعد، الآية 20.

7 ــ سورة النحل، الآية 91.

من مدلول هذه الكلمة، ويمكن حصرها في معنييْن اثنين المعنى الحسي، والمعنوي على النحو التالي:

الأول: في الجانب الحسي أو الملموس، يتمثل في نقض الشيء أو حل العقدة وفكِّها بعد إبرامها و نقض البناء بعد إستكماله.

والثاني: يتمثل في الجانب المعنوي في نقض العهود والإتفاقيات، ونقض المعنى.

ثانياً/ المعنى الاصطلاحي للنقائض:

لفظ النقض، يطلق على القول والإتيان بما يخالفه، أمثاله ما يحدث بين الشعراء في ردّ بعضهم على بعض القول، وأخذ من المعنى اللغوي المعنى الاصطلاحي، لما فيه من النقض حسياً ومعنوياً، فإن المعنى الاصطلاحي ركَّز على الجانب المعنوي وقد يعْني عند النقاد والأدباء والشعراء الذين سَلَكوا نفس المسلك ظاهرة نقدية معينة، فيطلقون منها للمقارنة بين شاعرين من ناحية قدرة الملكة اللغوية، والقدرة النقدية الفنية، فالنّقائض إذاً عبارة عن اتجاه شاعر إلى شاعر آخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً، فيأتي الآخر فيرد عليه هاجياً أو مفتخراً، ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول[1]، فلابد من وحدة الموضوع ووحدة البحر والقافية والروي، لأنه النهاية الموسيقية المكررة للقصيدة الأولى، فالشاعر الثاني يجاري الأول في ساحته وبأسلحته نفسها، لأن معانيها المقصودة هي المقابلة والاختلاف، ولأن الشاعر الثاني يجعل همه أن يفسد على الشاعر الأول فيرد عليه، فإن كانت هجاء فيزيد من عنده ويخترع، وإن كانت فخراً كذبه فيها، وثمة تعريف آخر وهو:أن ينظم أحد الشاعرين المتناقضين قصيدة من وزن خاص وقافية خاصة ثم يأتي زميله فينقض قصيدته بقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية والبحر والموضوع والروي فتصبح القصيدة الثانية مناقضة للأولى[2]،

---

1 ــ تاريخ النّقائض في الشّعر العربيّ، أحمد الشائب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 2002م، ص3.

2 ــ دراسات في الأدب العربيّ، معاذ السرطاوي ، دار الفكر، – بيروت– لبنان ، د.ط.ت، ص153.

وهناك وجه شبه بين هذين التعريفين، هذا التعريف يشبه إلى حد كبير التعريفات السابقة وكلها تنصب في نفس المضمون والأهداف المحسوسة منها وغير المحسوسة، انطلاقاً من مفهومه اللغوي إلى مفهومه الاصطلاحي، فكلها لا تخرج عن نقض العهد أو المواثيق أو الأبنية أو الحبال أو المعنى أو غيرها من الأشياء، وشأنه في ذلك شأن الكلام وهو نقض الكلام وما في الشعر من تناقض بين الشعراء في رد القصائد بعضها على بعض لأن الغرض من الرد مناقضة المعاني على الأول: اتحاد الروي فهو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعتبر جزء من النظام الموسيقي العام للتناقض والمناقضة[1]، ومن هنا تجد مقاربةً بين كلمة المناقضة والمعارضة، ولكن ثمة فروق جذرية بين المصطلحين من ناحية المفهوم ويمكن توضيحها في الآتي:

فالمناقضة : هي أن يتّجه الشاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله ملتزماً البحر والقافية والروي والموضوع الذي اختاره الشاعر الأول، وتأتي معانيها في الأصل من المقابلة والاختلاف، لأن الشاعر الثاني يجعل همه أن يفسد على الشاعر الأول معانيه ويردها عليه في الموضوع، فإن كانت فخراً فسرها لصالحه وإن كانت هجاءً قلبها عليه، ويتخذ من عناصره من الاحساب والأنساب والأيّام والمآثر والمثالب، موضوعاً للمناقضة ولكن لا يلزم أن يكون ترتيب الأبيات في النقيضة الأولى وفق ترتيب أبيات الثانية[2]، والمناقضة قد تكون في أكثر من شاعر.

أما المعارضة: فهي أن يقول شاعر قصيدة في موضوع من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيُعجب بها لجانبها الفني وصياغتها، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها أو مع انحراف يسير، ويحرص أن يتعلق بالأولى في درجة هجائه الفنية أو يفوقه دون أن يتعرض لهجائه أو سبه أو الفخر

---

1 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص3.

2 ــ ينظر: شعر المخضرمين وأثره الإسلام فيه، يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط5، 1419هـ - 1998م ، ص47.

علانيةً، والمعارضة تأتي في الجانب الفني وحسن الأداء ولـيس فيهـا التَّسـاب الصريح، وأن تتفق في وحدة البحر والقافية والموضوع غالباً[1].

أمّا ما يخص للمفاخرة، فهو من فَخَرَ وهو التمـدّح بالخصـال والشـرف، وتفاخر القوم بعضهم على بعض، والأصل في ذلك أن يفخر شاعر على شـاعر آخر فيرد عليه قرينه بالمثل دون التزام كل منهما ببحر معين أو قافية معينـة، أو هجاء أو بسباب أو الالتجاء إلى حَكم، ويقصد به أن يفخر المتنـافس أو صـاحب الموقف في سياقه للتفوق، ولا يخرج المصطلح عن معناها الحقيقي، يقال تفاخرتُ أنا وصاحبي إلى فلان فأفخرني عليه، وأفخرني اليوم فلان على فلان أي فُضِّـل، وفَخرته على صاحبه فخراً أي فضلته[2].

وأما المناظرة: فهي عبارة عن أن يفتخر الشاعران كل واحد منهما علـى صاحبه ثم يأتيان بحَكَم يحكم بينهما، وتمتاز بلزوم التحكيم[3]، إذاً المنـاظرة هـي إفتخار، والمعاظمة أي تعظيم المصيبة، وأعظم الأمر عَظَّمهُ تعظيماً أي فخمتـه، والتعظيم التبجيل وتعظّم تكبّر، والعظيمة والمعظمة النازلة الشديدة وهـذا الأمـر يلزمه وحدة البحر والقافية والموضوع وهو يُعدّ نوعاً مـن أنـواع المفـاخرة أو الفخر، فعمومة الرؤية حول النّقائض هو أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله هاجياً ملتزماً البحر والقافية والرّوي الـذي اختاره الشاعر الأول، ومعنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع والبحر والقافيـة، فخراً أو هجاءاً أو غيرهما.

---

1 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص7.

2 ــ ينظر: أساس البلاغة، للإمام الزمخشري، دار صادر بيروت– لبنان ط1، 1992م، مادة (فخر)، ص466.

3 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص9. وشعر المخضرمين وأثره في الإسلام، الجبـوري، ص56.

الفصل الأوّل
النّقائض في الجاهلية

المبحث الأوّل: نشأة النّقائض، وأسباب ظهورها، ونموها وتطوّرها في العصر الجاهلي.

المبحث الثّاني: النزعة القبلية وعلاقتها بالنّقائض.

المبحث الثّالث: النّقائض والحياة الاجتماعية.

المبحث الأول
نشأة النقائض وأسباب ظهورها ونموها وتطورها في العصر الجاهلي

أولاً/ نشأتها.
ثانياً/ أسباب ظهورها ونموها وتطورها.
نشأة النقائض من الشعر الحماسي والهجائي.

أولاً/ نشأتها:

ظهرت النّقائض في الفنون الشعرية القديمة منذ العصر الجاهلي، وخاصةً عند شعراء القبائل المتحاربة، فكانوا يتراشقون بالشعر كما يتراشقون بالسهام في الحرب، ولا يمكن تحديد نشأتها بزمن وبتاريخ، بل نشأت مع نشأة الشعر العربي، وتطوّرت مع عصوره المختلفة، فهي فنٌ من فنون الشعر القديمة، وكانت في حين ظهورها الأول لا تلتزم بنمط معين بل تتخذ النقض في المعاني، فالمعنى هو ركيزة النّقائض ومحورها الذي عليه تدور، ويتخذ عناصره من الأسباب القبلية، والأنساب والأيّام والمآثر والمثالب[1].

وقد زادت النّقائض نمواً وازدهاراً بمرور الوقت، لأن شعراء القبائل العربية كانوا يهجون ويناقضون بعضهم بعضاً في القصائد، لذلك اعتمدت النّقائض الجاهلية على الهجاء، فكان الشعراء يتّخذون منه موضوعاً يتحاورون فيه، وقد صورت النّقائض الجاهلية الحياة الاجتماعية والأدبية أحسن تصوير، ووصفت ما تجري عليه أوضاع الناس، منها العادات والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة، فكانت السيادة والكرم، وكان الحلم والحزم من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون، فيدّعي الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك، وكادت أن تصبح النّقائض سجلاً يسجل الشعراء فيه بعض أيّام أمّتهم ومآثرها وعاداتها وتقاليدها في الجاهلية وفي الإسلام[2]، وكان لها حضور أيضاً في الإسلام وفي أيّام الرسول ﷺ، وتعدّ النّقائض في وقته ﷺ امتداداً للنقائض في الجاهلية، بل تجاوزت تلك النّقائض التي تتضمن الفحش في الأقوال حتى يصل بعض الأحيان إلى الانتهاك بالحرمات، إلا أن تغييراً قد أصابها من حيث الغاية إذ أصبحت دفاعاً عن عقيدة ومبادئ دينية بعد أن كانت دفاعاً عن أعراض القبيلة[3]، ويمكن القول إن

---

1 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص5 ، وص20.

2 ــ ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار الثقافة، ط1، 1960م، ص88.

3 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص5 – 15، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت –

النّقائض نشأت في العصر الجاهلي مثل أي فن من الفنون ضعيفة مختلطة، وبمرور الزمن والتراكم المعرفي والتتبع للموروث الشعري، دخل فن النقائض إلى الهجاء وأخذ يستكمل صورته الأخيرة قُبيل البعثة، حتى قوي واكتمل واتضحت أركانه وعناصره الفنية، فوصل على يد الفحول من شعراء بني أمية إلى فن مكتمل الملامح تام البناء الفني، فاتّخذ الصورة النهائية للنقيضة ذات العناصر المحددة التي عُرفت بشكلها التام فيما عُرف بنقائض فحول العصر الأموي، وهم جرير والفرزدق والأخطل[1]، وقد تحوّلت بعد هذا العصر إلى فن خاص له خصائصه، وهو مذهب مستقل بذاته له أصوله ومبادئه، وعناصره وأساليبه ومراميه وأبعاده الاجتماعية والسياسية فاحتل مكانة عزيزة وتبوأ منزلة في لوحة الشعر، وأصبح التيار الشعري يضم شعراء القبيلة كل حسب انتمائه والآخر يرد عليه بنفس القافية ويهجوه على حسب ما يدور بينهم. ويمكن القول إن مصطلح النّقائض يطلق على نمط شعري معين أو على تيار شعري خاص، نشأ في العصر الجاهلي واشتهر على يد شعراء الجاهلية، إذ أصبح الشعر ميداناً للنقض حتى سُمّي هذا النوع منه بالنّقائض.

مقوماتها: لكل شيء مقوِّم، ولذلك كانت للنقائض مقوماتها، اعتمدت عليها في صورتها الكاملة وعلى عناصرها الأساسية في لغة الشعراء، منها النّسب الذي أصبح في بعض الظروف وعند بعض الناس أصبح من الأشياء التي يهاجم بها الشعراء خصومهم حين تكون أصولهم غير شريفة، أو يدّعون نسباً ليس لهم، وقد كانت المناقضة تتخذ من النسيب مادة للتحقير أو التشكيك أو نفي الشاعر عن قومه أو عدّه في رتبة وضيعة، وكذلك كان الفخر بالأنساب وبمكانة الشاعر من قومه وقرابته من أهل الذكر والبأس والمعروف أساساً تدور حوله النّقائض سلباً أو

لبنان، 1988م، ج3، 27، 147، 223، 272، 413، 423. والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، الآمدي، دار الفكر، بيروت ــ لبنان، ص15.

1 ــ ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، ج2 ، ص379 و 391.

إيجاباً، فاعتمد الشعراء المناقضون على مادة النسب وجعلوها إحدى ركائز هجائهم على الآخر، وأنها لم تكن تمثل فقط ثأراً شخصياً بل كانت مجالاً للمنافسة بين الشعراء طلباً للجوائز التي شجعها الخلفاء لصرف الانتباه عن مظالمهم ورغَّبوا فيها الناس لما وجدوه من تسلية وترويح، ولكن خصائصها الفنية وتأريخها لماضي القبائل وأيّام العرب المشهورة وقوة أسلوبها ومبالغتها في الخيال، جعلها تقدم للغة العربية ثروة أدبية عظيمة وسجلاً تاريخياً لكثير من الوقائع والعادات في العصر الجاهلي، لذلك اهتم بها الشعراء ووضعوها في مرماهم يتنافسون فيها، وإن كان الغرض هجاءً أو سخريةً أو بيان نقطة ضعف لدى خصمه، فإن لها تراكيبها الفنّية وهي تركيب شعري خاص، فكان الشاعر يكتب قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم ناقضاً هذه القصيدة بقصيدة أخرى لها نفس الوزن والقافية والروي والموضوع، وقد اشتهرت بها نقائض العصر الجاهلي.

ثانياً/ أسباب ظهورها ونموها وتطورها:

هناك أساليب كثيرة أدّت لنمو شعر النّقائض منها الاجتماعية والعقلية والسياسية والقبلية، فقد نهضت أسباب دينية وعقلية مختلفة نشأ بجانبها نوع من الملاهي والأسواق يجد فيه الفارغون من العمل تسليتهم، وكذلك العوامل العقلية كان لها دور في صُنع النّقائض، وكان من أهم شعراء الهجاء الحَطِيئة، فقد كان له دور بارز في النقائض بين القبائل العربية، حيث كانت الحياة الجاهلية حياة ذات بيئة بدوية صحراوية فقيرة في مقومات العيش، مما لا يدعو للاستقرار والهدوء والرّاحة، وتنعدم فيها المواد التي تقوم عليها الحياة البسيطة الجاهلية، وكثرت الحروب والحميات بين القبائل؛ لأجل الافتخار بالأنساب أو هجاء قبيلة أخرى، وعلى الرغم من هذه الظروف، فإن العرب أفضل الأمم في الشعر وأبلغهم عليه، لاتساع لغتهم للقول، وملائمة بيئتهم للخيال وصفاء قريحتهم، وبساطة معيشتهم وقوة عصبيتهم سواء العصبية القبلية أو العصبية الفردية، وكمال حريّتهم مهمٌ بين الصحراء والسماء في فضاء لا متناهي يملأ الذهن والفكر والنفس خيالاً وروعةً، وهم فوق ذلك نفوس شاعرة من أصلهم يثيرهم الرُّعب والرهبة، ويزيدهم الطرب

والعجب، فلم يتركوا شيئاً يجول في أنفسهم أو يقع تحت حسّهم إلاّ نظموه، فكان الشعر ديوانهم، فقد سجّل سيرهم ووقائعهم وحروبهم وأيّامهم ومثالبهم، فكان ما لديهم إلاّ الشعر يتغنون به في كل الأوقات[1]، فنتيجةً لهذه الظروف المصاحبة للشعر الجاهلي تجد أن الشعر الجاهلي جاء زاخراً بالمعاني الجيدة والأمثال والحكم الرفيعة والأخلاق العالية ومدح جيد، ولا ينكر أحد أنّه جاء في بعض الأحيان متهجماً على الأعراض والنساء والفحش في القول، إذ لم يكن للعرب في الجاهلية إلا الحروب والعصبيات القبلية والفخر بالأمجاد والبطولات والأيّام وذكر أفراحهم وأتراحهم، فكانت بيئة صحراوية قاحلة، فكلّ هذه الظروف وغيرها أدت بالعرب إلى قول الشعر والتغني بالأمجاد والبطولات والفخر وهجاء بعضهم.

ولم يكن الشعر عند العرب شيئاً من الترف أو الملهاة يضيّع فيها وقته أو فنّاً مقصوراً على مجموعة قليلة من الناس، بل كان فنًّا رفيعاً وجد الناس فيه تعبيراً عن عواطفهم وأحاسيسهم وبطولاتهم وفخرهم وحزنهم وأيّامهم ومعاركهم، فكلّ هذه الأوصاف تحتاج إلى تعبيرات تخرج من قلب الشاعر إلى الملأ، فكانت منزلة الشعر في نفوس العرب، وحبّهم له الأثر الأكبر في توجيه مشاعرهم وأهوائهم إلى حب الخير وحبّبهم في الفضائل والمكرمات وكره إليهم خصال الشر والجبن، فكان للشعر في الجاهلية النصيب الأكبر في توحيد مشاعر العرب وعاداتهم وتقاليدهم وصقل لغتهم وتوحيد لهجاتهم ووصفهم في قتال الأعداء، فإذا تمعّنتَ في العصر الجاهلي وتنوّع الحياة فيه تجدها تنقسم عندهم على النحو الآتي:

<u>أولاً/ الحياة السياسية:</u>

مرت بالعصر الجاهلي أحداث عصيبة، فتجد ذلك في مسرح الأحداث التي تدور حولها سياسة هذا العصر وتأثر بها كثير من القبائل التي سكنت هذه المنطقة،

---

1 ــ ينظر: تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزيّات، ص26.

وإن كانت هذه الأحداث وهذا الأثر يتجاوز هذه البقعة ويتعدى إلى الجوانب المحيطة بهذه الأقاليم، حيث بلاد الحجاز والشّام والعراق والبحرين واليمن[1]، وأنّها تنقسم إلى خمسة أقسام وهي:- تِهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن، وقد توزعت هذه القبائل بعد الهجرات القديمة على الشكل الآتي:

القبائل العدنانية: نزلت في مكة وما جاورها، أما بنو عامر بن صَعْصعة قبيلة لبيد فقد نزلوا غربي نجد مما يلي الحجاز، أما اليمامة وبنو باهلة بن أعصر وبنو نمير وكذلك بنو تَميم[2]، والقبائل القحطانية هاجر أكثرهم إلى الشمال ومنهم كندة والأزْد، واستوطن فريق منهم بلاد الشام، أما قبائل الأوس والخزرج فنزلوا بيثرب، وفي الحجاز نزلت قبيلة خثعم ويجاورها قبيلة بُجَيْلَه[3] وعلى هذا الشكل، استقرت القبائل العربية، ولم تكن لهذه القبائل دولة تضمهم ولا نظام موحد، بل كانت كل قبيلة مستقلة تكون وحدة اجتماعية وسياسية، فرابطة القبيلة هي رابطة النسب والدم والاسم الأكبر الذي ينتمون إليه، وهذه القبائل متشابهة في تكوين نظامها القبلي والعصبي، فالأصل واحد والموطن واحد والتقاليد واحدة والرباط الأقوى في القبيلة هو العصبية القبلية، ويعرّف ابن خلدون هذه العصبية بأنها النصرة لذوي القربة وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم تهلكة[4]، فكلّ فرد في القبيلة حريص على هذه الرابطة ويعمل من أجلها، وأفرادها متضامنون في المصائب والمسرّات، والخطيئة التي يجنيها الفرد تتحملها المجموعة. وللقبيلة شيخ كبير السّن يتزعمها، وله من الحكمة والخبرة والحلم وبُعد النظر والكرم وطلاقة اللسان، وهو الذي يقود القبيلة في الحروب ويقسم الغنائم ويستقبل الوفود، وفي ظلّ

---

1 – ينظر: الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، د. الجبوري، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ــ ليبيا، ط3، 1993م، ص26.

2 ــ ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، دار المنار، القاهرة ، مصر – د.ط.ت، ج1، ص124.

3 ــ ينظر: الشّعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحي الجبوري، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ــ ليبيا، ط3، 1993م، ص28.

4 ــ ينظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به: هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف، بيروت ــ لبنان، ط1، 2007م، ص148.

هذه الأحداث، كان أفراد القبيلة يتمتعون بحرية تحت هذا النظام القبلي العصبي، على أن هذه القبلية العصبية لم تكن تشمل كل الجنس العربي، بل كانت في حدود ضيقة لا تتجاوز القبيلة الواحدة[1]، فالنظام الداخلي هو الذي يترأسه الحاكم أو شيخ القبيلة وتخضع له كلّ القبيلة، وكذلك هناك السياسة الخارجية التي تنظم العلاقات بين الدول في الحرب والسلم وتحقق التعاون في العلم والأدب والتجارة وغيرها، ثم العمل على تخفيف الحروب وطرح المفاوضات[2].

ثانياً/ الحياة العقلية:

إنّ الحياة العقلية في الجاهلية كانت في ضلال و جهل و اضطراب وعادات سيئة من وأد البنات وسبي النساء وغيرها من العادات الخاطئة، فقد كان العرب في الجاهلية مستعدين لأن ينهض بهم الإسلام، فبمجرد دخول الإسلام إلى عقولهم، أصبحت عقولهم في ظل راية الإسلام، حتى إن شعرهم أصبح مغايراً لشعر الجاهلية، منهم على سبيل المثال حسان بن ثابت[3]، شاعر الرسول ﷺ، الذي تغير أسلوبه وعقله لما دخل عليه النور و الهداية في الإسلام، ومع كل هذا المد والجزر في العقلية الجاهلية، تجد أن للعرب علماً بالفلك والنجوم ومسالكها قال تعالى: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[4]، فهذا دليلٌ واضحٌ على معرفة العرب بالنجوم والحساب والفلك، وإلمامهم بالطب والبيطرة، وكذلك خبرتهم واسعة وكبيرة في الخيل والفروسية، ورغم كلّ هذا بيئة العيش فقيرة جداً في الجاهلية، فلم تكن هناك

---

1 ــ ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحي الجبوري، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ليبيا، ط3، 1993م، ص31 و 32.

2 ــ ينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثالث الهجري، أحمد الشائب، دار القلم، بيروت – لبنان، ط1، 1999م، ص53 – 54.

3 ــ هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الصحابي، تـ 54هـ 674م شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعُمي قبيل وفاته. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص175.

4 ــ سورة النحل، الآية:16.

إلاّ الرمال والصحراء والخيل والحروب والعصبيات القبلية، فالعقل العربي في الجاهلية وصف كل هذه الأشياء وتناول في شعره مطبات حياته ورسم فيه ما حلّ به في ماضيه وما كان عليه في أدق صوره.

ثالثاً/ الحياة الدينية:

إنّ أول ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر ذلك هو عبادة الأصنام والأوثان، وهذه حقيقة لا ينكرها أحد، فكان اتخاذهم لهذه الأصنام والأوثان وسائط وشفاعات تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[1]، وكذلك قوله تعالى:﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**﴾[2]، فالشرك هنا يُلحظ من تقديس أصنام تنسب لها القدرة على الشفاعة لا الشرك في وحدانية الله عز وجل، ومع تقديس العرب لهذه الأصنام والأوثان والآلهة من الأحجار والأشجار والينابيع وغيرها، فإن كثيراً منهم لم يخلصوا لها العبادة ولم يتخذوها آلهة عن اقتناع وتدبر وإنما رموزاً مقدسةً، فلم يكن إشراكها خالصاً يسوي بين الله عز وجل وهذه الآلهة في الاعتقاد والعبادة بدليل الآيات القرآنية السابقة الذكر، فاعتقاد العرب في الأصنام والأوثان كان غير مبرئ من الشرك بالله عز وجل لما نسبوا في هذه الآلهة من القدرة على الشفاعة، قادتهم إلى الاعتقاد بأنها مؤثرة من خير وشر[3]، وهذا الاعتقاد غرسوه في أبنائهم وتعاقبت عليه الأجيال، بدليل قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ، فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ**﴾[4]، وقال تعالي: ﴿ **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾[5]، أي أنهم وجدوا آباءهم في الشرك، فاتبعوهم فكانوا مثلهم في الشرك، وقد كانت عبادة الأصنام منتشرة بين الجاهلين انتشاراً واسعاً،

---

1 ــ سورة الزمر، الآية: 3.

2 ــ سورة يونس، الآية:18.

3 ــ ينظر: الأدب في عصر النبوة والراشدين، د. صلاح الدين الهادي، ط3، 1400هـ – 1980م، ص12 و 13.

4 ــ سورة الصافات، الآية: 69.

5 ــ سورة الزخرف، الآية: 22.

وكانوا يطلقون عليها أسماء، وقد ورد ذكر هذه الأسماء في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾[2]، هذه بعض أسماء الأصنام والأوثان التي كانت تُعبد في الجاهلية، ووراء هذه الأصنام المذكورة في القرآن الكريم أصنام كثيرة كانت تتعبد لها قريش والقبائل العربية في الجاهلية[3].

وفي الخلاصة: كانت هذه الأشياء من الحياة السياسية والدينية والعقلية وما نتج عنها من صراعات كانت هي المسيطرة على النظام الجاهلي القبلي إذا جاز التعبير، فهي تُعدّ الركيزة الأساسية لبناء العقل الجاهلي الملـيء بالتعبيرات الفصيحة، وهذه التعبيرات العالية في اللغة العادية أو الشعرية لم تأت من فراغ، بل نشأ عنها شعر النّقائض.

<u>نشأة النّقائض من الشعر الحماسي والهجائي:</u>

إن الحياة الجاهلية كانت صعبة في ظروف عيشها وظروفها الطبيعية وما اشتملت عليه من قسوة الطبيعة والصحراء القاحلة، وكذلك ظروف الحروب والعصبيات القبلية بين القبائل، ففي ظل المعارك والحروب لابد من أن تنشأ حرب كلامية بين الفريقين، وكل فريق يدعو إلى نصرة حزبه، سواءٌ أكان على حق أم على باطل، وهذا ما يسمى في الوقت الحاضر بالحرب الإعلامية، فهناك من يدافع بالشعر ويحمس المقاتلين للقتال، فعلى الشاعر أن يكرّس جهوده في سبيل قبيلته وحزبه ونصرتهما، فقد كانت القبيلة تنكر على الشاعر أن يقتصر شعره على ذاته

---

1 ــ سورة النجم، الآية: 19 إلى 20.

2 ــ سورة نوح، الآية: 23.

3 ــ ينظر: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 20، د.ت، ص91.

ومشاعره الشخصية، ومثل هذا الشاعر لم يكن جديراً بالاحترام والتقدير لـــديها[1]، وفي هذا القول ما يدل على التزام الشاعر بشعره لقبيلته وحزبه وفصيلته في فخره وحماسته، فهذا الأمر يدل على أن العصبية القبلية كانت تشد الأفراد إلى قبـــائلهم، فالفخر بالأمجاد والبطولات والمعارك والهجاء والحماسة كانت من أسباب نشـــأة النّقائض الشعرية في الجاهلية، في ظل هذه الظروف من معارك وفقـــر وغنـــى ونزاعات قبلية ونزاعات فردية وحياة دينية بعيدةً عن التوحيد، وعصبية قبلية تنشأ في ظلها قواعد شعرية ومبدئية للشعر بصفة عامة ولفن النّقائض بصفة خاصـــة، وهذا ما ينتج عنه شعر قبلي من عدّة وجوه:

أولاً: شعر يقال في تأييد ووصف ما فيها من خصال حميدة ونبيلة.

ثانياً: شعر يقال ضد القبيلة نفسها وهجاءً عليها إذا اختلت موازين رعايـــة الفرد والجماعة أو الاحتفاظ بعزتها وشرفها وكرامتها.

ثالثاً: الفخر بالقبيلة على الأعداء وهجائهم ووعيدهم بالويل.

رابعاً: الشعر الذي يقال بين شخصين، الأول يقول والآخر يردّ عليه، وهذا يأتي في صميم فن النّقائض في الجاهلية.

خامساً: ثورة على النظام القبلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياســـي وهذا يمثله الصعاليك[2].

فكانت هذه الأشياء لابد منها في الجاهلية، فهي مثل العادات والتقاليد إلزاماً على الفرد في القبيلة أن يتبعها، وإلا رُحّل عن القبيلة، فالفرد حريص على القبيلة وعاداتها وتقاليدها، فالشاعر لا يستغني عن الاعتزاز بالقبيلة أو العشيرة وهو قبلي

---

1 ــ ينظر: ظاهرة التكسب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، درويش الجندي، دار النهضة، القـــاهرة، مصر، د. ط. ت، ص12وص13.

2 ــ ينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشائب، ص44.

يصوّر العشيرة والقبيلة، وفي ذلك يقول لبيد بن رَبِيعَة[1] العامري من قيس غـيلان في آخر معلقته المشهورة[2]:

إنـا إذَا التقَـتِ المَجَـامِعُ لـمَ يـزَلْ مِنَّـا لِـزَازُ عَظِيمَـةٍ جَشَّـامُهَا[3]
ومُقَسِّـمٌ يُغطِـي العَشِـيرةَ حَقّهَـا ومُغَـذْ مِـرٌ لِحُقُوقِهـا هَضَّـامُهَا
فَضْلاً وذو كَرَمٍ يُعـين عَلـى النّـدَى سَـمْحٌ كَسُـوب رَغائـبٍ غُنَّامُهَـا
مـن مَعْشَـرٍ سَـنَّتْ لهُـم آبـاؤُهمْ ولِكُـلِّ قَـومٍ سُـنَّةٌ وإمامُهـا[4]

لبيد يتكلّم بضمير الجماعة وبلسان قومه مفتخراً بالأحياء والأموات والشباب والشيوخ، دلالةٌ على أصل مكارمهم ووصف البراعة والخصوم، فهو هنا يمثّل اعتزازه بقبيلته وإطلاق شعره في سبيلها، فهذه الصورة متصلة بالسيادة والشرف والنّسب والشجاعة والحماسة، وفي هذا السياق أيضاً مما يدل على أن الشعر ينشأ حماسياً وهجائياً في الفقر سواء كان الفقر مادياً أو معنوياً، والاقتتال على المياه والآبار والمراعي ومظاهر الخصب وطرق التجارة وعزة النفس وحماية العِرض والثأر والحروب بين القبائل والأيّام التي دارت فيها الحروب، فكل هذه الأسباب تحتاج إلى شعر يمجّدها ويفخر بها ويسجّل آثارها التي أدت إلى نهضة أدبية كبرى فيما بعد، فجاءت فنون شعرية متصلة بأيّام العرب من حماسة وفخر وهجاء ورثاء، وأن الحماسة منبثقة من باب الفخر والهجاء، فكانا أهم الفنون الحربية القديمة التي نهضت مصاحبة للحروب، ولكن هذه الفنون الشعرية التي اتصلت

---

1 ــ هو: لبيد بن رَبِيعَة بن مالك، أبو عقيل العامري تـ 41هـ 661م، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل هو:
ما عاتب المرء الكريم كنفسه ::: والمرء يصلحه الجليس الصالح. بيت الشعر. فسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5، ص240. ومعجم المؤلفين، ج8، ص152.

2 ــ شرح المعلقات السبع، د. مفيد قميحة، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 2000م، ص189.

3 ــ لزاز : خصومة.

4 ــ سنةٌ: شرعة. ينظر: شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، تح:د. مفيد قميحة، ص 189.

بالنّقائض، تنشأ حماسيةً داعية للقتال، فكل ذلك تنشأ عنه حرب شعرية أدبية، فالنفوس متناقضة في ساحة المعركة، والفنون الشعرية متناقضة، فهكذا نشأ الشعر حماسياً هجائياً في ساحة القتال[1]، فالحماسة لغة تعني القوة والشّدة والشجاعة والصلابة والحمّاس: الشّجاع[2].

والحماسة: فنّ الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض المعارك ووصف ما في الحرب من كرّ وفر وسلاح وجرحى وقتلى ودعوة للحرب وأخذ بالثأر، فهو بجملته فنّ البطولة[3]، فهذا دليل واضح على أن الحماسة تستمد فنونها من ساحة القتال، وما يدور حولها من المعارك الداخلية بين الأفراد وبين الفريقين، والمعركة هي الميدان الفسيح الذي يستمد منه الشاعر معانيه الحديثة، فيعرضها في شعره ويصوّرها في أحسن تصوير، وفي ذلك يقول الحُصين بن الحمام المرّي[4] في وصف حرب خاضها وأبلى فيها وقومه بلاءً عظيماً، يقول الحُصين[5]:

ولمَا رَأيتُ الودّ ليْسَ بنافعِي ... وإن كَانَ يوْماً ذَا كواكِبَ مُظلماً
صَبرنَا وكَان الصّبر فِينا سَجِيةً ... بأسْيافنا يقطّعنَ كفًّا ومعصَماً
يُفَلِّقْنَ هَاماً من رِجَال أعِزة ... علينَا وهُم كَانوا أعَقّ وأظلمَا
وجوهُ عَدوٍ والصُدورُ حَدِيثَةً ... بودّ فأودى كلّ ودّ فأنعَمَا
فلَيتَ أبا شِبلٍ رأى كرّ خيلنا ... وخَيلهُم بينَ السّتار فأظلَمَا

---

1 ــ ينظر: تاريخ النّقائض في الشّعر العربي، أحمد الشائب، ص38 و 39.

2 ــ ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة :(حَ مَ سَ) ص148. ومختار الصحاح للطاهر أحمد الزاوي، مادة:(ح م س)، ص154.

3 ــ ينظر: الشّعر الجاهلي فنونه وخصائصه، د. يحي الجبوري، ص170.

4 ــ الحصين بن الحمام المري بن رَبِيعَة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة وهو فارس شاعر شريف. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3 ، ص250. وطبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دارالمدني، جدّة، السعودية، ج1، ص155.

5 ــ المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تح: محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط، دار المعارف، مصر، 1964م، ص65.

الشاعر يصف المعركة التي خاضها قومه وأبلوا فيها بلاءً حسناً، ويباهون ببطولاتهم ويتغنون بالمثل العليا التي جعلتهم فُرساناً لا يخافون الموت وصبرهم على الصّعاب وأسيافهم التي تقطع الأيدي والأكف، فحماسة الشاعر تنصب أو تأتي من خلال ساحة المعركة وما يدور فيها، إذاً معنى الفخر أو الافتخار كما سماه صاحب العمدة، هو الافتخار وهو المدح نفسه، إلاّ أنّ الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكلّ ما حسُن في المدح حسُن في الافتخار[1] ، فالفخر مثل المدح إلاّ أنّ الشاعر في الافتخار يخص به ذاته أو نفسه وقومه وقبيلته والتباهي والتغنّي بها وبالفضائل والمثل العليا والصفات القومية، وأحسن الكلام هو كلام المرء عن نفسه وخصاله وأفعاله من كرم وشجاعة ومروءة ونسب، وغيرها من الصفات التي يحملها المتكلم عن نفسه، ويكره الناس الحديث عن النّفس والتّباهي بالخصال ويعدونه غروراً وادّعاء إلا في الشعر، فإنّه مقبول ومستساغ[2]، ففي هذا السياق، يعدّ التحدث عن النفس من الغرور إذا كان شخصاً عاديًّا، أما إذا كان شاعراً فلا حرج في ذلك، وفي هذا المعنى يقول ابن رشيق صاحب العمدة: " ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها من غير منافرة إلا أن يكون شاعرا فان ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه"[3]، بل يدل على الشجاعة والقوة فقد دارت قصائد الفخر في هذا الاتجاه أيضاً، وقد عرفت أشهر قصيدة في الفخر لعمرو بن كلثوم[4] التي بلغت مئة وأربعة أبيات، وكلّها تتحدث عن الفخر والحماسة، فكانت تَغْلِبْ

---

1 ــ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة – مصر، 2006م،ج1، ص124.

2 ــ ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. الجبوري، ص.173

3 – العمدة، ابن رشيق، ج1، س 22.

4 ــ هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود 40هـ الموافق 584م شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد رَبِيعَة، وتجول فيها وفي الشام والعراق ونجد، وكان من أعز الناس نفساً، وهو من الفتاك الشجعان، ساد قومه تغلب وهو فتى، وعمّر طويلاً، وهو الذي قتل عمرو بن هند، الأعلام، الزركلي، ج5، ص84. ومعجم المؤلفين، ج8، ص1.

قبيلته تعظّم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها[1] فهذا يدل على أن الفخر بالشاعر وما يقوله هو عصب القبيلة وروحها وهو الشيء الذي يميّزها على بقية القبائل، فالشعر العربي في بدايته في الجاهلية نشأ حماسياً، في ساحات المعارك وفي أحضان العصبيات القبلية؛ فالقبائل العربية في الجاهلية لها شعراء يدافعون عنها ويتفاخرون بها، ويحمّسون أفرادها للقتال وخوض المعارك والانتصار، فبهذه الأشياء يأتي الشعر شعراً حماسياً يحمس الأفراد والقبيلة على حد سواء، وكذلك الهجاء، فإنّه طبيعة النفس البشرية، فقد كانت هذه من أهم الأسباب التي أدت إلى نشوء فنّ النّقائض ونموه في العصر الجاهلي.

1 ــ ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. الجبوري، ص173.

المبحث الثاني

النظام القبلي والعصبية وعلاقتهما بالنقائض الشعرية

النظام القبلي وأثره في شعر النّقائض:.

العصبيات القبلية:.

الهجاء عند الشعراء وعلاقته بالعصبية القبلية.:

النظام القبلي وأثره في شعر النّقائض:

إن النظام القبلي السائد في الجاهلية يفرض قيوداً صارمةً على أفرادها في ظل نظام يغلب عليه التعصب والانحياز من جهة، والكره والبغض للقبائل الأخرى، فهذا ما يسمى بالتعصب القبلي أو العصبية القبلية، ولكن من المعروف أن لكل قبيلة نظاماً تسير عليه وفق ما يراه رئيسها وأبناؤها وتكتسب وحدة مستقلة بذاتها، بل كانت تكوّن وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة بذاتها، أما رابطة القبيلة فهي رابطة الدم والنسب، ولكن من يرجع إلى الشعر الجاهلي يجد فيه العصبيات مشتعلة بين القبائل على أساس الاشتراك في أب واحد أو أم واحدة، وإذا كان هناك رابطةً فإن رابطة الدم والنسب والعصبية القبلية هي أقوى رابطة، فكل فرد حريص على هذه الرابطة والعصبية ويعمل من أجلها ويموت في سبيلها حتى في الإسلام[1]، ومن المؤكد أن عرب الجاهلية كانوا يتمسكون بهذه الأنساب وهي تؤلف عِلماً واسعاً عند العرب هو علم الأنساب، فكل قبيلة تؤمن بنسبها وتعتز به، وبأنها تعود إلى أصل واحد، ومن أجل ذلك عبّروا عن القرابة باللُّحمة، كما عبّروا عن عشائرهم وفروعهم بالبطن والفخذ[2]، فهذا دليل على أن العرب كانوا ولا يزالون متمسكين بالأنساب.

ومن المعروف أن لكل قبيلة نظاماً معيناً تسير عليه وفق ما يراه أبناؤها ورئيسُها ووحدة مستقلة بذاتها، فالقبيلة هي الفرع الرئيس في العصبيات القبلية، وهي مرتكزة على ثلاثة أمور: الحكومة القبلية التي تمتد من رئاسة القبيلة والتجارة والتحكم بها، ثم النفوذ المادي أو المعنوي في الحكم ثم النفوذ الأجنبي، أي سيطرة الأجانب على القبيلة وتغيير نظامها، وهو الذي يُعدُّ الأمر الأهم وهو أساس الصراع الجاهلي والقبلي بين القبائل العربية في الجاهلية، ويمكن إضافة

---

1 ــ ينظر: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر – ط20، د.ت، ص55.

2 ــ ينظر: المصدر السابق، ص57. وتاريخ الأدب العربي، الزيات، ص26.

أسباب أخرى مثل البيئة الصحراوية وقلة الطعام للإنسان والحيوان، وكثرة الحروب على المراعي ومصادر المياه الطبيعية، هذه الأسباب الأخيرة أدت إلى نُشوب الصراع بين القبائل العربية الجاهلية، وإذا جئنا إلى رئاسة القبيلة فتكون غالباً لأهل العصبية والجاه والسلطان، وإذا تساوت العصبيات قدّموا الأكبر سِنّاً، فهناك في الجاهلية بيوت عُرفت بالرئاسة والشرف، كبيت هاشم بن عبد مناف في قريش وبيت آل حذيفة بن بدر الفزاري من قيس عِيلان، وقد كان لأهل هذه البيوت في القبيلة الجاهلية سلطان قوي[1].

العصبيات القبلية:

إن العصبيات القبلية السائدة في العصر الجاهلي كانت هي سبب تناحر الشعراء والقبائل فيما بينها، بسبب الحروب والأيّام والأنساب، فقد كانت القبيلة هي أساس الحياة الاجتماعية، والقبيلة أسرة كبيرة يربط أفرادها بعضهم ببعض من ناحية القرابة والنسب أو الزواج، فربما انتسب شخص إلى قبيلة ما وتعصب لها بالولاء فأصبح كأنه من تلك القبيلة نسباً ودماً، وكذلك العكس إذا تخلّت القبيلة عن أحد أفرادها إذا خرج عن مبادئها وعاداتها وتقاليدها، فكانت الحياة الاجتماعية والقبلية سبباً في تعصب بعض الشعراء على حساب الآخر، فالشاعر الذي يمدح قبيلته ويفخر بها وبأمجادها وببطولاتها وأيّامها، فكان له التعصب والإنحياز في القبيلة ويستحق الاحترام في القبيلة، فادعت كل قبيلة في الجاهلية لشاعرها أنه الأول، فادعت اليمانية لامرئ القيْس، وبنو سعد لعبيد بن الأبرص[2]، وهكذا كل

---

1 ــ ينظر: تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشائب، ص33. والأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب النثر، مصطفي الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط3، 2005م، ص43. وفي الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار المعارف، مصر، القاهرة، د.ط.ت، ص23.

2 ــ هو: عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مُضر، أبو زياد تـ 25هـ نحو 600م، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها، ينظر وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج4، ص329. وينظر الأعلام للزركلي، ج4، ص188. والشعر والشعراء، لابن قتيبة، تح: مفيد قميحة، وراجعه وضبط نصه: نعيم زرزور، المكتبة العلمية، د.ط.ت، ص161. والشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1967م، ج1، ص 213.والنابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في

قبيلة تتعصب وتنحاز في الجاهلية لشاعرها أنه الأول، فَجُل شعر هؤلاء الشعراء تجد فيه الفخر بالقوم والقبيلة وأمجادها وبطولاتها وأيّامها، فبهذه الناحية اندمجت شخصية الشاعر في قبيلته، فظهرت شخصية القبيلة وتعصبها في الشاعر وفي هذا الصدد يقول امرؤ القيْس[1]:

مَا ينكرُ الناسُ منّا حِينَ نملكهُم كانوا عبيداً وكُنا نَحنُ أربَاباً

أي: لا ينكر الناس منّا حين نحتجزهم ونملكهم، أنهم العبيد ونحن الملوك، وفي هذا الصدد يقول النابغة الذبياني، عندما تعصب لصالح قبيلته، عندما حاول أن يمنع النُّعمان بن المنذر من حرب بني حُن ونهاه عن ذلك، فلمّا ينتهي النُّعمان عن ذلك وعرف النابغة أن النُّعمان ماضٍ في حربه دعا قومه إلى الاشتراك مع بني حُن[2] في غزو النعمان[3]:

لقَد قلتُ لنعْمان يوم لقيتُه يُريدُ بني حُن ببرقة صادرِ
تجَنب بني حُن فإنَّ لقاءهُم كريه وإنْ لم تلقَ إلا بصابِرِ
عظَام اللذهى أولادَ عُذره إنهم لَهَاميمٌ يستلهمُونها بالجراجرِ

فهذه الأبيات تحذير من النابغة الذبياني للنُّعمان بن المنذر في حربه ضد بني حُن من لقاء بني حُن وإن لم يلتق إلا أناس أشداء صابرون، فتجد هنا التعصب القبلي

الجاهلية، محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 1988م، ص196. والعمدة، ابن رشيق، ج2، ص124.

1 ــ ينظر: النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة الجاهلية، ص 196.

2 ــ بني حُن: بنو حن رَبِيعَة أخي رزاح بن رَبِيعَة لأبيه وأمه ومنهم الشاعر جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن الخيري بن حُن بن رَبِيعَة صاحب بثينة، وبثينة هي بنت ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن رَبِيعَة، لأبيها صحبة ؛ وكان زوجها نبيه بن يزيد بن الحليس بن الحارث بن مياد بن حن بن رَبِيعَة ؛ وزمل بن عمرو بن العنز بن خشاف بن خديج بن وائلة بن حارثة بن هند بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة، له صحبة، وعقد له رسول الله ﷺ لواء شهد به صفين مع معاوية ؛ وعروة بن حزام بن مالك:- وابنة عمه:- عفراء بنت مهاصر بن مالك، ينظر: جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط21، 1424هـ - 2003م، ج2، ص443.

3 ــ ينظر: النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، ص196.

لقبيلة على حساب قبيلة أخرى؛ مما أخذ الشاعر على تعصب النابغة لفريق على حساب فريق آخر، فهذا واضح في شعره.

فالهجاء أو العصبية القبلية مرتبطة بالحروب تزدهر بازدهارها، وهو طبيعة في النفس البشرية فتعصّب النابغة في شعره هو تعصب لقبيلة بني حُن، التي هي من بطن بني عذرة، على حساب النُّعمان وأعوانه، فهذه طريقة للهجاء، وهناك طرق أخرى وأساليب، فمنهم الذي يحتال في اتخاذ الوسائل الهادئة الذكية الموجعة كأن يهزأ بخصمه أو يسفه رأيه أو يقارنه بغيره ويفضله عليه عن طريق التعريض والتلميح، ومنهم الذي يهجم على خصمه فيذكره صراحةً وينهال عليه تهديداً ووعيداً وإنذاراً وشتيمةً، فمن هذه الأسباب تنشأ العصبية الذاتية القبلية في الشعراء في القبيلة الواحدة على حساب القبيلة الأخرى، ومن هذه الحالة تنشأ منزلة الشاعر في القبيلة، فقد كان لسانها الذي ينشر مفاخرها ويهجو أعداءها ويرثي موتاها ويشيد بمكانتها بين القبائل الأخرى ويتعصب لها، كما كان يثور عليها إذا قصّرت في حقه ورعايته، وفي ذلك يقول ابن رشيق:" وكانت القبيلة من العرب من إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس، لأنه حماية لأعراضهم وذبٌّ[1] عن أحسابهم وتخليداً لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا يهنئون بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج"[2]، كل هذه الأشياء تبرز مكانة القبيلة، وسموِّها ورقيّها، فإذا كانت هذه هي مهمة الشاعر من الفخر والمدح للقبيلة وهجاء القبائل الأخرى وإبرازاً لمكانة القبيلة في نظر القبائل الأخرى والفخر بالبطولات والأمجاد، فمن الطبيعي أن يكون شعره صحيفة لقبيلته، وأن تظهر شخصية القبيلة في شخصية الشاعر وفي شعره، وكثيراً ما تطغي شخصية القبيلة على شخصية الشاعر وبخاصة عند

---

1 ــ الذب: المنع والدفع مادة: (ذَ بَ بَ). ينظر: مختار الصحاح، للرازي، ص219 . وأساس البلاغة، للزمخشري، مادة:(ذبب)، ص202.

2 ــ ينظر: العمدة، ابن رشيق، ج2، ص137.

ابن كلثوم، والحارث بن حلزه[1]، فقد ظهرت شخصية القبيلة في المعلقتين، وهناك مثال آخر للشاعر الذي يفخر ويتعصب لنفسه وهذه الأبيات في معلقته المشهورة، وهو طرفة بن العبد[2] يقول:

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَـــهُ خَشَـــاشٌ كَـــرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّـــدِ[3]
فَيا لَيــتُ لا ينفَــكُّ كَشْــحِي بِطَانَــةً لِعَضْــبٍ رَقِيْقِ الشَّــفْرَتَيْنِ مُهَنَّـــدِ[4]
حُسَامٍ إذا مـــا قُمــتُ مُنتَصِــرَاً بــه كَفَى العُوْدَ منهُ البدءُ لــيسَ بمِعْضَــدِ[5]
أخي ثِقَــةٍ لا يَنْثَنِــي عَــنْ ضَــرِيبَةٍ إذا قِيلَ مَهْــلاً قَــالَ حــاجزُهُ قَــدِي
إذَا ابتدَرَ القَــومُ السِّــلاحَ وجَــدتني مَنِيعــاً إذَا بَلَّــتْ بقائمِــهِ يــدِي[6]

الشاعر متعصب لنفسه ويفخر بها عندما يواجه الأعداء في ساحة المعركة، فتطَوَّر الهجاء والتعصب القبلي إلى فن جديد وهو فن النّقائض، في إثر ذلك هناك الشعر الذي خلفته العصبيات كثيراً جداً وهو يتصل بمعانٍ تتصــل بالقبائــل وأحــداثها التاريخية وأيّامها في الجاهلية كما يوجد به الكثير من الصور الضاحكة بالمهجو أو

---

1 ــ هو: الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي نحو 50هـ الموافق 570م شــاعر جاهلي، من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات، كان أبرص فخوراً، ارتجل معلقتــه بــين يدي عمرو بن هند. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج2، ص154. ومعجم المؤلفين، ج3، ص175.

2 ــ هو: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو شاعر جاهلي، مــن الطبقــة الأولى، ولد في بادية البحرين، ولد حوالي سنّة(543م) في قرية المالكية بالبحرين، كمــا أنّــه مــات مقتولاً وهو دون الثلاثين من عمره سنة (569م)، وتنقل في بقاع نجد ن واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله، لأبيــات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً، في هجر قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل:– ابن ســت وعشرين، أشهر شعره معلقته++. ينظر: الأعلام ، الزركلي، ج3 ، ص225. الأبيــات فــي ديــوان طرفة بن العبد، ص76، والنابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة الجاهلية، محمد زكي العشــماوي، ص 225.

3 ــ الضرب: الرجل خفيف اللحم، خشاش: الدخول في الأمور بخفة وسرعة.

4 ــ البطانة:نقيض الطهارة، الغصب: السيف القاطع.

5 ــ المعضد:السيف يقطع به الشجر.

6 ــ ينظر: شرح المعلقات السبع، لمفيد قميحة، ص113. والنابغة الذبياني مــع دراســة للقصــيدة العربية الجاهلية، محمد زكي عشماوي، ص225.

قبيلته، وفي بعض الأحيان يضم فحشاً في القول ورمياً للنساء بالباطل على نحو ما كانت عليه الحال عند شعراء الجاهلية[1]، وقد احتدم هذا الهجاء احتداماً شديداً، بسبب تأثير عصبيات القبيلة التي اشتعلت نيرانها بين القبائل الجاهلية، ومن المعروف أن الإسلام دعا إلى نبذ هذه العصبيات القبلية وحاربها حرباً عنيفة، غير أن هذه العصبيات كانت مثلاً أعلى فلم تكد نيرانها تتحول إلى رماد حتى عادت إلى الظهور من جديد بعد عصر صدر الإسلام عندما نشبت حروب الردة، وأطلق فيها الشعراء العنان لألسنتهم، معبرين عن روحهم القبلية العصبية الجاهلية "غير أن ما يمكن قوله الآن هو أن الهجاء الذي دار بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين قد مثل بداية لهذا الفن – في عصر صدر الإسلام– مع اعترافنا بأن الظروف التي أوجدت هذه القصائد غير الظروف التي أوجدت نقائض هذا العصر الأموي[2]"، فتطور الهجاء إلى تعصب قبلي وبعد ذلك إلى فن النّقائض أدّى ذلك إلى إثراء عقول الشعراء وتجميل وتفنن أساليبهم في الهجاء، والهجاء طبيعة في النفس البشرية، والمنافسة عادةً هي المِحك الذي يدفع الناس إلى الهجاء قديماً، على أنه أثر من آثار حب الانتقام والتشفي، وقد لازم الهجاء الإنسان على مر العصور وإن اختلفت وسائله وطرقه، وما تدله هذه العصبيات من حروب واحتفاءً بين الناس، فالشاعر لسان قبيلته، الذي يذب عنها ويهجو خصومها.

<u>الهجاء عند الشعراء وعلاقته بالعصبية القبلية</u>:

للشعراء في هجائهم طرق وأساليب فمنهم الذي يحتال في اتخاذ الوسائل الهادئة الذكية الموجعة، كأن يهزأ بخصمه أو يسفه رأيه أو يقارنه بغيره، ويفضل عليه عن طريق التعريض والتلميح، فإن هذا الأسلوب أحدق وأليق وأشد ذكاءً وأكثر

---

1 ــ ينظر: تاريخ الأدب العربي، د. عمرو فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ص363.

2 ــ في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية، دراسة وصفية تحليلية، منشورات كلية الدعوة، محمد عثمان علي، ط3، 1414هـ – 1994م، ص92.

إيجاعاً، فمنهم الذي يهجم على خصمه فيذكره صراحة وينهال عليه تهديداً ووعيداً وإنذاراً وشتيمةً، ومن الشعراء من يتناول خصمه بالهجاء الساخر، فاستهزأ به وتجاهل قدره وحط من شأنه، وأنكر عليه فخره، ومن أخبث الهجاء الذي يتخذ شكل المقاومة والمخابرة، فيوازن الشاعر بين من يريد هجائه وبين من يريد مدحه، فيجعله أقل شأناً، فيشعر المهجو بالضعف والحقارة والانحطاط، ومن الشعراء من يُعرِّض بمهجوِّهِ تعريضاً، وهذا أقسى وأشد من التصريح، وهجاءٌ آخر يتناول الخصم صراحةً ويهاجمه فيقذفه بالشتيمة الصريحة، وهذا النوع قد يتناول الأعراض والعورات ويجاهر بالفحش.

والهجاء أو التهاجي بعامة يقوم على سلب المعاني الكريمة والمثل العليا، فالشاعر يهجو خصمه ويصفه بالغدر والخيانة والجبن واللؤم والبخل، ومن ناحية أخرى فإن الهجاء نقيض للفخر، فالشاعر قد يفتخر بنفسه بتعداد مآثره، أما الهجاء فإنه يعبر عن وجوه القبح واليأس وذكر المعايب والمساوئ، والهجاء الجاهلي كان نوعاً من التهاجي الذي كان يعقب الأيّام الجاهلية والعصبيات القبلية وما فيها من تهاجي بين القبائل في الحروب، فيأتي هنا دور الهجاء في العصبيات القبلية، فعندما يلتقي فريقان في الحرب أو شاعران فلابد أن ينتصر أحدهما على الآخر، ويحدث تناقض بينهما وكل شاعر يفتخر بقبيلته ويهجو العدو، وفي هذا الصدد تجد امرأ القيْس الذي تهاجى مع كثير من الشعراء عند مقتل أبيه واندفاعه للثأر من الذين قتلوه وهم بنو أسد قال[1]:

والله لاَ يَـذْهَبُ شَـيْخِي بَـاطِلاَ حَتَـى أُبِيـرَ مَالكـاً وكَـاهِلاَ
يا لهْـفَ هِنْـدٍ إذْ خَطِـئنَ كَـاهِلاَ نَحـنُ جَلبنَـا القُـرَّحَ القـوافلاَ
يَحْمِلْنَنَـا والأَسَـلَ النـواهلاَ مُسْـتَفْرِتٍ بالحَصَـى حَـوافلاَ
تَسْـتَثْفِرُ الأواخِـرُ الأوائـلاَ فسـرتُ فـيهِم غَانِمـاً وقَـاتِلاَ

1 ــ ديوان امرئ القيْس، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5، ص58.

فامرؤ القيْس يتوعد ويهدِّد ويقول : إن دم والده لن يذهب هباءً، وأنه سيقتل به قوماً كثيرين، وأنه أعد الجِمال والرماح للغزو وللتقتيل، فرد عليه عبيد الأبرص[1]:

يـــا ذَا المخُوِّفنَـــا بقَتـــ ـــلِ أَبيـــــــهِ إذلالاً وَحَيْنَـــــــا
أزَعَمْـــتَ أنّـــك قَـــدْ قتَلـــ ـــتَ سَـــــرَاتَنا كَـــــذِباً ومَيْنَـــــا
هـــلاَّ علَـــى حُجْـــرِ بـــن أُ مِّ فظَـــــامٍ تَبكـــــي لا عَلَيْنَـــــا

وهناك مثال آخر لآثار العصبيات القبلية على الشعراء، فعندما احتدم الصراع بين المسلمين وكفار قريش الذين سَلّوا ألسنتهم على رسول اللهﷺ، وأصحابه فأشار الرسول ﷺ على حسان بن ثابت، بأن يدفع عن الإسلام شر هؤلاء الشعراء، فتصدى لهم حسان بن ثابت وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وهاجت بين شعراء الفريقين حرب كلامية مواكبة لحرب السيف، من مناقضة بعضهم لبعض جاء مسانداً للحرب الدموية في ساحة المعركة، غير أن في بعض الأحيان تكون الحرب الكلامية أو الشعرية أقوى من الحرب الدموية، لأن الكلام والشعر هو الذي يبقى في النهاية.

فالشاعر متحزب لفريقه وقومه يفتخر بقومه ويهجو عدوه، فالعصبية القبلية هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة، وأن من فقدها عجز عن جميع ذلك كله[2]، وكما جاء في سورة يوسف عليه السلام عن إخوانه حين قالوا لأبيه في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ**﴾[3]، قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذاً لخاسرون، لا خير فينا، ولا نفع يرجى منا، حلفوا له لئن أكله الذئب وهم عصبة إنهم إذاً لقوم خاسرون، أي هالكون ضعفاً وعجزاً، أو مستحقون أن يهلكوه لأنه عناءٌ عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقون لأن يدعي عليهم بالخسارة

---

1 ــ ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص65.

2 ــ ينظر: مقدمة ابن خلدون، هيثم جمعة هلال، ص161.

3 ــ سورة يوسف، الآية: 14.

والدمار[1]، فالقصد من هذا الوعد هو أنه لا يتوهم على أحد مع وجود العصبية له[2]، وهذا الدليل واضح وصريح على أن العصبية لها تأثر قوي في الجماعة في ترابطهم وتوحدهم على كلمة واحدة، فإذا كان شاعر يجدر به الرد على الشعراء ويناقضهم بما يقولون، كان ذلك بمثابة السيف إذا وقع على أحد أفرادها وقتله، فالهجاء يهين قبيلة بأكملها ودحضهم بما كانوا عليه، فالعصبية جاءت مرتبطة بهجاء مؤرخ يُعرّف الأنساب وأسمائها، فمتى صنع الشاعر قصيدة قرأها كل الناس فإذا وجدوا فيها خطأً عابوا عليه ذلك، مثل ما فعل حسّان بن ثابت ﷺ عندما استأذن النبي ﷺ في أن يهجو قريشاً قبل إسلامهم أمره أن يستعين بأبي بكر الصديق ﷺ فكان عالماً بالأنساب العربية في زمنه[3]، فعلى الشاعر الجيد القوي أن تكون له الخلفية بالأنساب والأحساب والأعراف والمثالب لكي يتسنى له الرد على الشعراء، من هجاء وغيره، فالشعر المتناثر بين القبائل إما أن يكون فخراً أو هجاءً، فالفخر لهم والهجاء لعدوهم، وكان الهجاء عندهم مما ينذر على هجاء قبيلة لأنه لا يشرّف إذا فخرت وجعلته مهْد ألسنتها فيما بينها وعنوان شرفها بينها، أو هجاء شخص ما.

وفي الخلاصة يمكن القول: إن للنظام القبلي في الجاهلية والعصبيات وتعصب الشعراء لمن في حوزتهم، وزادت في إثراء الشعر عامة والشعراء بصفة خاصة، لأن كل قبيلة لديها شاعر يدافع عنها ولسانها الذي يتكلم به فإذا هُجيت يكون الرد جاهزاً، لأن كل شاعر متعصب لقبيلته، والعصبية هي بمثابة الروح للقبيلة فعلى الشاعر أن يضع مصلحة القبيلة فوق أي مصلحة فالفردية الشخصية

---

1 ــ ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط.ت، ج2، ص423.

2 ــ ينظر: مقدمة ابن خلدون، هيثم جمعة هلال، ص147.

3 ــ ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج3 ، ص88.

منعدمة في النظام القبلي[1]، فالفرد في القبيلة يعيش مع الجماعة ومع العصبية التي في القبيلة وهو قانونها الذي يربط بينها[2] ، فحروب الجاهلية وأيّامها تجد فيها الأخذ بالثأر وهو الدافع الرئيس أو الأغلب وراء الحروب والعصبيات، فهذه الحروب والعصبيات بدورها أدت إلى تنافر الشعراء فيما بينهم للرد، فهذا الرد أدى إلى ظهور فنّ النّقائض في الجاهلية الذي كان النظام القبلي والعصبيات القبلية والحروب والأيّام والأنساب أسباباً رئيسة وراء ظهوره[3].

---

1 ــ ينظر: النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، محمد زكي العشماوي، ص130.

2 ــ ينظر: تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص55. والنابغ الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، ص178.

3 ــ ينظر: في النص الإسلامي والأموي، دراسة تحليلية، أعدها: محمد علي الهدفي، عبد الرزاق حسين ونبيل المحيش، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر، ط2، 1427هـ – 2006م ص66.

المبحث الثالث
النقائض والحياة الاجتماعية

النّقائض والحياة الإجتماعية:

إنَّ الحياة الاجتماعية في الجاهلية قوية ومترابطة يرتبط أفـراد المجتمـع بعضهم ببعض من ناحية النسب والقرابة أو الزواج، فكل شاعر ينتمي إلى قبيلتـه ويدافع عنها، فالحياة الاجتماعية وصعوبة ظروفها وقسوتها سـبب فـي تعصـب بعض الشعراء لأنفسهم أو لذاتهم أو لقبيلتهم، فهذا التعصب ينتج عنه حالة نفسـية ذاتية للشاعر نفسه، تجعله يتجه للشاعر الآخر، وفي هذه الحالـة يكـون الـدور الاجتماعي الأبرز في الشعر من الفخر بالأمجاد والأيّام والأنساب، لأنهـا صـلب الحياة الاجتماعية بالإضافة إلى الفضائل الحربية التي تعتز بها القبيلة، فجميع هذه الأشياء تحتاج إلى قريحة شاعر يظهرها على الساحة الشعرية، وبالنظر إلى الحياة الاجتماعية الخاصة بين الشعراء التي لا تتصل بالأيّام وإنما قيلت على سبيل أمور اجتماعية أو حوادث جزئية يسيرة بين الشعراء، وإن في نشأتها أموراً اجتماعيـة خاصة بين الشعراء وما فيها من تناقض بينهم.

فالنّقائض الاجتماعية هي مقوم من مقومات النّقائض وأصل من أصـولها العامة " فالحياة الاجتماعية الجاهلية وما جرت عليـه مـن الأوضـاع العرفيـة والعادات المرعية، لأن هذه الأصول لم تُراع، فخرج عليها الناس أو قصروا فيما يستدعي من سلوك، فقام الشعر يثور لها أو عليها، وبذلك كان الحوار والملاحـاة، فكانت العرب تحب الحروب وتعدها مجال الفروسية، وكـانوا يحبـون الحريـة،

وكانت المرأة ملمس العفة والشرف فقد دخلت النّقائض في فن النسب"[1]، فكان الحلم والوفاء والكرم والحزم والفضائل والجود من الأشياء الاجتماعية التي يتجاذبها، فالمدقق يدرك بوضوح أن الحياة العربية في الصحراء حياة صعبة، تختار منها رمز الصراع فهو في هذه البيئة على أشده بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان والإنسان، فالطبيعة والأرض ميدان للصراع اليومي للإنسان، فالطبيعة الصحراوية هي طبيعة شحيحة مفتقرة الموارد وقليلة الحياة والكلأ، فمن الطبيعي أن يحدث صراع[2].

إنّ الصراع الذي تولده ينتج عنه صراع بين الإنسان والإنسان وهو ما يسمى بالهجاء أو فن النّقائض، فالهجاء في الشعر أدى إلى تولّد فنّ النّقائض بين الشعراء في الجاهلية فالهجاء الجاهلي اتجه في اتجاهين أولهما: شخصي أو ذاتي، والثاني: قبلي وهو ما يمكن أن يسمى بالهجاء السياسي، فالهجاء السياسي أو القبلي يصور الطور السياسي والحربي عند العرب في نظام الدولة والأحزاب وتقديس القبيلة، أما الهجاء الشخصي الاجتماعي الذي يجمع بين شخصين فقط فهو يتجه إلى ذم الأفراد والنيل منهم ونشر مخازيهم ومعايبهم وهو من أقدم أنواع الشعر الهجائي الذي يبدو متأثراً بالأهواء الشخصية[3]، والعادات الاجتماعية، ويتورط فاعله في أحيان كثيرة بالشتم والسباب والفحش، وأكثر ما يكون الهجاء الشخصي ناجحاً إذا استطاع الشاعر أن يخفي فيه حقده نحو الأفراد، فيأتي غضبه منصباً على رذائل سائدة وعادات اجتماعية منتشرة، وألاّ يعرض فيها أسماء الأشخاص إلا على سبيل التوضيح والمثال.

فالهجاء قد يدفع صاحبه وقد يحط صاحبه، ومن الشعراء الذين لهم باع في الهجاء الشخصي والقبلي طرفة بن العبد، فقد كان سليط اللسان جريئاً على هجاء

---

1 ــ تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص69.

2 ــ ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص173.

3 ــ ينظر: شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام، د. عبد الله جبريل مقداد، جامعة العلوم التطبقية – عمّان، دار عمّار، د.ط.ت، ص196.

من يعاديه، لا يحسب حساباً لأحد ولا يقف في هجائه أحد حتى قضى عليه هجاؤه[1]، فقد وقع تحت لسانه عمرو بن المنذر[2] وأخيه قابوس بن المنذر، فقال فيهما هجاءً مُقذعاً[3]:

فَليتَ لنَا، مَكَان الملكِ عمرُو، رغوثاً حَولَ قُبّتِنا تَخُورُ[4]
مِن الزَّمَراتِ، أَسْبِلَ قادِمَاها، وضَرّتُها مُركَّنَةٌ دَرُورُ[5]
يُشَارِكُنَا رَخِلانِ فيها، وتعلُوهَا الكِباشُ فَمَا تَنورُ[6]
لَعَمرُكَ إنّ قابوسَ بن هندٍ لَيخلطُ ملكَهُ نُوكٌ كثَيرُ[7]

يُفاضِلُ طرفة بين عمرو بن هند ونعجة مرضعة غزيرة اللبن، ثم يفضل النعجة عليه، لأنه يراها أكثر فائدة من ابن هند، فهي تغذيهم باللبن، وكذلك أخوه قابوس بن هند فيه كثير من الحمق والسفه والجهل في معالجة الأمور[8]، فهذا الهجاء يعتبر من أبرز الهجاء الشخصي؛ لأن فيه السخرية والتهكم والفحش وسب الأعراض وذكر معايب الآخرين، وقال أيضاً طرفة بن العبد لعمرو بن هند يلوم أصحابه في خذلانهم إياه[9]:

أَسْلَمَنِي قَوْمِي ولَم يَغضَبُوا لسوءةٍ حلّتْ بِهِم فَادحَهْ[10]
كلُ خَلِيلٍ كُنتُ خَاللتُهُ لا تَركَ الله لَهُ واضحَهْ[11]

---

1 ــ ينظر: شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام، د. عبد الله جبريل مقداد، ص197.

2 ــ أحد ملوك الحيرة في الجاهلية واسمه عمرو بن منذر بن ماء السماء، عرف بنسبته إلى أمه هند تمييزاً له عن أخيه عمرو ت 45هـ ، 578م. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج5– ص86.

3 ــ ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلام، الشنتمري، تح: دريد الخطيب، ط1975،2م، م2، ص101.

4 ــ رغوت: مرضع، الخوار صوت البقر واستعارة للنعجة.

5 ــ الرخل: كالكتف، الأنثى من ولد الضأن، تنور: عفيفة تنفر من القبيح.

6 ــ الزملات: قليلات العوف، وأسبل قادماها أي طالا وكملا، ضره مركنة:– كثيرة اللبن

7 ــ النوك: الحمق والجهل والسفه.

8 ــ ينظر: شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإسلام، ص198.

9 ــ ديوان طرفة بن العبد، ص118.

10 ــ الفادحة: الثقيلة الحمل.

11 ــ لا ترك الله له واضحة: لا تر ك الله له سناً واضحة البياض، الخليل: الصديق.

كلّهُـــم أرْوَغُ مـــن ثعْلَـــبٍ مـــا أَشْـــبهَ الليلـــةَ بالبَارِحَـــهْ[1]

طرفة بن العبد يهجو ويذم أصحاب عمرو بن هند في خذلانهم ومراوغتهم إياه، فهذا هجاء شخصي ينشأ من المنازعـات الفرديـة الشخصـية الاجتماعيـة والخلافات التي لابد أن تنشأ من احتكاك الناس، ويعارض مصالحهم في أي بيئة تقوم على القتال والنزاع في سبيل الحياة[2]، " والصراع أيّاً كان سببه إذا ما أخـذ شكل الاقتتال بين جماعتين يتردى برداءة عداوة قد تغدو مزمنة سوءاتها الأجيـال ويكون فيها المعارك سِجالاً"[3]، فالهجاء سجل لمعركة بين فردين أو شاعرين ترى فيه كل أنواع العنف الذي يصحب هذه الظاهرة، فيه الاستعلاء على الخصم بكـل شيء بالمال والأهل والنسب والصحب، وفيه السباب المقذع الذي يتعرض لعورات الناس دون احتشام، وفيه التعبير والتهديد، وفيه الفخر بالقوة والقدرة على البطش بالسيف، وبالشعر الذي يبقى معناه، والهجاء الاجتماعي ذائع الصيت بين شـعراء الجاهلية، فمن أمثلة ذلك ما حدث بين امرئ القيْس وبين سبيع بن عـوف[4] فنـزل عليه سبيع وسأله فلم يعطه شيئاً فذمه سبيع بقوله[5]:

إذَا مَـــا نزلنـــا دارَ آل مُغـــرّزٍ بلَيـــلٍ فَـــلاَ يُخلـــفْ عَليهَـــا الغَمَـــامُ[6]

مُغَـــرِّزُ أبَكـــارِ اللِّقـــاح إذَا شَـــتا وضَـــيفُك جَـــارُ البيـــتِ لأيَّـــا ينـــامُ

فردَّ عليه امرؤ القيْس يجيبه[7]:

لِمَـــنِ الـــدِّيَارِ عَشِـــيَتُها بسُـــحَامِ فعَمَـــايتَين فهُضْـــبُ ذِي إقْـــدامِ

---

1 ــ ما أشبه الليلة بالبارحة، أي لشبه بعضهم ببعض في روغانهم عنه وخذلانهم إياه.

2 ــ ينظر: الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين، دار النهضة، بيروت – لبنـان، ط3، 1389هـ - 1980م، ص115.

3 ــ شرح ديوان طرفة بن العبد، د. سعد الضناوي، دار الكتاب العربـي، بيـروت – لبنـان، ط1، 1414هـ - 1994م، ص18.

4 ــ هو: سبيع بن الخطيم من سادات بني التيم بن عبد مناة، من تميم: شاعر فارس جاهلي، وكـان فارس نخلة، وشهد يوم جزع. الأعلام، الزركلي، ج3 ص77.

5 ــ ديوان امرؤ القيْس، ص44.

6 ــ يدعو عليهم بعدم السقيا لبخلهم.

7 ــ ديوان امرؤ القيْس، ص45.

فصَفَا الأَطِيط فصَـاحتين فغاضـرٍ تَمشـي النَّعَـاجُ بهـا مَـع الأَرْآمِ[1]
دَارٌ لهنـدٍ والرَّبَـابِ وفَرْتنيـا ولَمِـيس قَبـلَ حَـوادِثِ الأيّـامِ
عُوجَا علَى الطلـل المُحِيـلِ لعَلّنـا نَبكي الديَارَ كَمَا بكـى ابـن حُـذَامِ[2]
أَبْلَغ سُـبَيْعاً إن عَرضـتَ رسَـالةً إنـي كهمَّـكَ إنْ عَشـوتُ أحَـامِي[3]
فأقصُرْ إليكَ مـن الوَعيـدِ فـإنَّنِي ممـا أُلاَقِـي لا أشُـدَّ حِزامِـي[4]
وأنا الـذي عَرَفْـتَ مَعَـدُّ فَضْـلَهُ وَنَشَدْتُ عَنْ حُجْـرِ بـن أُمِّ قِطَـامِ[5]

فامرؤ القيْس أبياته حماسية وفيها إشارة إلى وعيد سـبيع وفخـرٌ عليـه بالأهـل والأقارب والأنساب، وإباء للضيم، وهناك مثال آخر لحسَّان بن ثابت ﷺ عنـدما تزوج امرأة في الجاهلية فولدت له غلاماً فقال يهجوها[6]:

عَلامَ أتاه اللؤمَ مـن شِـطرِ خَالـه لـه جَانـب وَافٍ وآخـرَ أكْشَـمُ[7]

فقالت تجيبه[8]:

علام أتاهُ اللـؤمَ مـن نَحـو عمّـه ومن خَير أعرَاق ابن حَسـان أسـلم

فجاء نقض المرأة تكذيباً وقلباً هجته بهجاء قومها ومدحت قومها وأكرمتهم، فالبيئة الاجتماعية جلّها في رحاب الصحراء القاحلة التي لا نبت فيهـا ولا مـاء، ولكن تنبت القيم والأخلاق والمبادئ والكرم، وهذا لا يعني عدم وجود صراع بين الإنسان والطبيعة وبين الإنسان والإنسان، فعلى الإنسان أن يصـارع الجـانبين، فالبيئة الجاهلية الاجتماعية جاءت زاخرة في الشعر، فالشـعر صـورة للصـراع

---

1 ــ النعاج:بقر الوحش، الأرام: الغزلان.

2 ــ المحيل:الذي غيرته الأحوال، وابن جذام: شاعر بكى على الديار قيل امرؤ القيْس.

3 ــ كهمك:كحالك، عشوت:- نظراً ضعيفاً.

4 ــ الوعيد :الوعد.

5 ــ نشدت :قلت دقعت ذكره وفخرت به.

6 ــ ديوان حسان بن ثابت، تح: بدر الدين حاضري، لمحمد حمامي، دار الشعر العربي، بيـروت – لبنان، ط2، 1419هـ - 1998م، ص177 – 178.

7 ــ أكشم:ناقص.

8 ــ شرح ديوان طرفة ابن العبد، د. سعد الصناوي، ص19. وديوان حسـان بـن ثابـت، لمحمـد حمامي، ص177 ــ 178.

الدائر بين الأفراد والجماعات والحوارات والمناقضات التي كانت تقام في الأسواق المعروفة كسوق عكاظ والمربد وغيرها، حيث كان يلتقي الشعراء لتداول الشعر والأخبار، الذي يكون فيه الحديث عن القبيلة بضمير المتكلمين، أو بضمير الغائبين، ففي ذلك يقول المهلهل بن رَبِيعَة[1] في إحدى مرثياته لأخيه كُليب[2] مشيراً إلى قتلهم، بجبير بن الحارث بن عباد[3] وهمام[4] مرة أخو قاتل كُليب[5]:

فَإني قَد تركتُ بواردات ٍ جُبيراً في دمّ مثل العبير[6]
وهمَامَ بن مُرَّةَ قَد تَركنَا علَيه القَشعَمانِ منَ النسورِ[7]
وَصَبَّحنا الوُخُومَ بيومِ سَوْءٍ يُدَافِعْنَ الأَسِنَّةَ بالنُّحُورِ[8]

---

1 ــ هو:عدي بن رَبِيعَة بن مرة بن وائل أخو وائل الذي هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب وسمي مهلهلاً، لأنه هلهل الشعر أي رقّه وهو أحد الشعراء البلغاء. ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ج1 ص288. ومعجم الأعلام ص872. والأعلام، الزركلي، ج4، ص220.

2 ــ هو: وائل بن رَبِيعَة بن بكر، كان سيد بكر وفارسها قتله جساس بن مرة وبمقتله قامت حرب البسوس. سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م، ص237. ومعجم الأعلام، الزركلي، ص629.

3 ــ هو: جبير بن الحارث بن عباد بن ثعلبة بن بكر بن وائل وهو من الذين اعتزلوا حرب البسوس بين بكر وتغلب وقتله المهلهل في هذه الحرب. الأعلام للزركلي، ج3، ص345.

4 ــ هو:– همام بن مرة بن نهل بن شيبان، جد جاهلي من سادات قريش وهو أخو جساس وله شعر وأخبار ومن نسله بنو مرة بن الحارث توفي 131هـ. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج8، ص 94. ومعجم الأعلام، ص414.

5 ــ ديوان الأصمعيات، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م، ص 171 – 172. والأغاني، أبي فرج الأصفهاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.ط.ت، م5 ، 1685.

6 ــ الواردات: موضع لهم كانت لهم فيه وقعة بجير الحارث بن عباد، العبير: أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران.

7 ــ القشعمان: الكبير من النسور.

8 – الوخوم: من بني عامر بن نهل بن شيبان، النحور: جمع نحر وهو الصدر، عنيزة: موضع بين البصرة ومكة.

كأنَّـــا غِـــدْوَةً وبَنـــي أبينـــا بِجَـــوفِ عُنيـــزَةَ رَحَبـــاً مُـــدِيرِ[1]
فلـــولا الـــريحُ أَسْـــمَعَ أهـــلَ حَجْـــرٍ صـــليلَ البـــيضِ يُقْـــدَعُ بالـــذكورِ[2]

المهلهل يرثي أخاه كُليباً عند مقتله، فجاءت العاطفة الاجتماعية مع أخيه كُليب وبدأ برثائه، فالهجاء بين الشعراء يتناول السيئات بالمهجو والتفضيح به صراحة، ويهاجمه مهاجمة سافرة، فيقذفه بالشتيمة الصريحة والسباب الواضح.

فالهجاء بين الشعراء ينشأ بسلب الفضائل الاجتماعية والأخلاقية والمثل العليا، فالشاعر يهجو خصمه ويصفه بالغدر والخيانة والجبن والبخل، فقد ورد "أن دريد بن الصمَّة[3] خطب الخنساء[4] من أبيها فقالت: يا أبتِ أتَراني تَاركة بني عَمِي مِن عَوالي الرماح وناكحَة شَيخ بني جَشمِ"[5]، وقالت الخنساء[6]:

مَعـــاذَ الله ينكحنـــي جَبركـــى قَصِيرُ الشِّبْر مِـن جُشـمِ بـن بَكـرِ
يـــرَى شَـــرفاً ومَكْرُمَـــة أتَاهَـــا إذا أغْـــذى الجَلـــيس جُـــريم تمـــرِ
لئن أصـــبحت فـــي جُشَـــمٍ هَـــدَايًّا إذَا أصْـــبحتُ فـــي ذلٍّ وفَقْـــرِ
قبيلـــةٌ إذا سَـــمِعوا بـــذُعْرٍ تُخفَّـــى جَمْعُهُـــمْ فـــي كـــل حُجْـــرِ
أتَخْطِبُنـــي هَبِلْـــتُ علـــى دُريـــدٍ وقَـــد طـــردتُ سَـــيدَ آل بـــدرِ

1ــ حجر: هي مدينة باليمامة أو موضع باليمن.

2 ــ البيض: السيوف

3 ــ دريد بن الصمة: معاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة بن قيس عيلان، نشأ في أسرة من الفرسان الشجعان، لم يسلم وقتل يوم حنين سنة 8هـ. ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ص504، والأعلام للزركلي ج2 ص339.

4 ــ الخنساء: تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصبة بن خفاف بن إمرئ القيْس، أسلمت بين يدي رسول الله ﷺ، أعظم شاعرات العرب، قيل توفيت سنة 24هـ. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص213.

5 ــ ينظر: الأغاني، الأصفهاني، ج9 ، ص11.

6 ــ ديوان الخنساء، طبعة دار الأندلس، ص80. وبها بعض الاختلافات عن طبعة دار الأرقم، شرح عمر فاروق الطباع، ص52. وهذه الأبيات بها اختلاف أيضاً في الأغاني، ج9، ص11.

فغضب دريد بن الصّمة من قولها فقال في ردٍ عليها يهجوها[1]:

وقَــاكِ الله يــا ابنَــة آل عَمْــرٍو مــنَ الفتيَــان أمثَــالي ونفسِــي
فــلا تلِــدي ولا يَنْكِحْــكِ مِثلِــي إذا مَــا لَيلــةٌ طَرقــتْ بِنَحْسِــي
لقَد عَلِمَ المَراضِــعُ فــي جُمــادى إذا اسْــتَعْجَلنَ عَــنْ حَــزٍّ بنهسِــي

وكذلك هناك في الشعر الجاهلي هجاء يقترب بمعانيه من الهجاء الذي يحدث بين الطرفين ولكنه يحدث من جانب واحد فقط، مثل القصيدة التي هجا بها زهير بن أبي سلمى[2] بني الحصين، فقد كان رجلاً من بني عبد الله بن غطفان[3] أتى قوماً من آل حِصن[4] فأكرموه وجواره، وكان مولعاً بالقِمار فنهوه عنه فأبى إلا المقامرة، فقمر مرة فردوا عليه، ثم قمر مرة أخرى فردوا عليه، ثم قمر مرة ثالثة فلم يردوا عليه، فرحل عنهم إلى قومه وزعموا أنهم أغاروا عليه، فهجاهم زهير، فلما علم الحقيقة ندم، وكان يقول: ما خرجتُ في ليلةٍ ظلماء إلا خفتُ أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم[5] ففي ذلك يقول[6]:

---

1 ــ ديوان، دريد بن الصمة، قدم له د. شاكر الفحّام، جمع وتح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، 1401هـ - 1981م، ص82 و83.

2 ــ هو: زهير بن أبي سلمى بن رياح المزني حكيم الشعراء في الجاهلية قيل كان ينظم القصيدة وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى الحوليات، توفي سنة 609م. معجم الأعلام، معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بسّام عبد الوهاب الجالي، دار الحفّان والجابي، ط1، 1407هـ - 1987م، ص283. والأعلام، الزركلي، ج3، ص52.

3 ــ ولد غطفان: ربيث، وعبد العزى، بدّل رسول الله ﷺ اسمه فسماه عبد الله، فهم بنو عبد الله بن غطفان. المصدر السابق، ص248.

4 ــ بنو الحصن بن ضمضم بن عدي بن جنّاب ومنهم امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي نائلة بنت الفرامضة. ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط21، 1424هـ -2003م، ص456.

5 ينظر: فنّ الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1418هـ - 1998م، ص14.

6 ــ ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: د. عمر فاروق الطباع، دار العلم، بيروت – لبنان، ص15.

فـــإن قَـــالوا النسَـــاءُ مُخبّـــآتٌ فَحُـــقَّ لكُـــلِّ مُحْصَـــنةٍ هِـــداءُ[1]

وَإمَّـــا أن يقـــولَ بنـــو مَصَـــادٍ: إلَـــيكُمْ إنَّنـــا قَـــومٌ بَـــراءُ[2]

وإمَّـــا أن يقُولـــوا قـــد وَفَيْنَـــا بِـــذَمَّتنا فعَادتُنـــا الوفـــاءُ [3]

وإمَّـــا أن يَقولـــوا قَـــدْ أَبَيْنَـــا فشـــرٌّ مَـــواطنِ الحســـبِ الإبَـــاءُ

وإن الحـــقّ مقطعُـــه ثـــلاثٌ يَمـــين أو نِفـــارٌ أو جِـــلاءُ

وكذلك يقول[4] :

جـــوَارٌ شَـــاهدٌ عـــدلٌ علَـــيكُمْ وسَـــيّانِ الكَفالَـــةُ والـــتَلاءُ[5]

بـــأيِّ الجِيـــرَتين أجَرْتُمُـــوه فلـــم يَصْـــلُحْ لكُـــم إلاَّ الأداءُ

وجَـــارٍ سَـــارَ مُعتمِـــداً إلـــيكُمْ أَجاءتْـــهُ المخَافـــةُ والرَّجَـــاءُ[6]

فجَـــاورَ مُكْرِمـــاً حَتـــى إذا مَـــا دَعَـــاهُ الصـــيفُ وانقطـــع الشِـــتاءُ

ضَـــمِنْتَهُم مالَـــهُ وعْـــداً جَميعـــاً علَـــيكُمْ نَقْصُـــهُ ولَـــهُ النَّمَـــاءُ

فالشاعر يستهل قصيدته بالتهكم مساوياً بين رجال بني حصن والنساء، ثم يستطرد في هذا القول مسرفاً في التهكم فيذكر أنهم حقيقون بالهداء أي الزواج ماداموا نساءً، الشاعر هنا بعيد عن الفحش والأقذاع، وقريب بالعتاب والتحذير، فتجد كذلك الهجاء بين لبيد بن رَبِيعَة وبين جماعة من بني عامر فضمنوا عندما أخصبت بلاد غطفان فقال رجل من بني عامر[7]:

فـــإنْ أخْطـــأتْ قومـــكَ يايزيـــداً فـــأنعى جَعفـــراً لـــك الوحيـــدِ

فقال لبيد يرد عليه:[8]

---

1 ــ المحصنة: ذات الزوج وهي بكر، الهداء: رفاق العروس إلى زوجها.

2 ــ بنو مصاد: قبيلة من بني حصن، انظر جمهرة أنساب العرب، ص457.

3 ــ وفينا: أي نفي بما عندنا.

4 ــ ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: د. عمر فاروق الطباع، ص16.

5 ــ التلاء: الحوالة.

6 ــ جارٍ سارٍ: يمشي بالليل.

7 ــ ديوان لبيد بن رَبِيعَة العامريّ، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط.ت، ص213.

8 ــ المصدر السابق، ص213.

لسْـــتُ بغـــافرٍ لبنـــي بغَـــيضٍ ســـفَاهَتهمْ ولا خَطْـــلَ اللســـانِ[1]
سَـــنأخذُ مِـــن ســـراتهم بعَرضِـــي وليسُـــؤا بالوفَـــاء ولا المـــدانِي[2]
فـــإنّ بقيـــة الأحْســـاب منّـــا وأصْـــحابُ الحمالـــة والطّعَـــانِ[3]
جَـــراثيمٌ مَـــنَعْنَ بيـــاضَ نجـــد وأنـــتَ تعُـــدّ فِـــي الـــدِّوانِي[4]

لبيد بن رَبِيعَة يعنف بعض قبائل بني عامر ويعيّرهم بعدم الحفاظ وقَبـول الديـة فقال[5]:

ولم تحْـمِ عبـد الله لا درّ درُّهـا عَلى خَير قتلاهَا ولَـم تحـمِ جَعفـرَ[6]
ولم تحـمِ أولاء الضَـباب كأنّهَـا تُساق بِهـم وسـطَ الصِّـريمة أبكـرَ[7]
وَدُّوكُم عَرضَ الوادِي فلَـم تكُـن دمنةٌ ولا تِرَةٌ يسـعَى بهَـا المتـذكرَ[8]
أجِدكُم لم تمنعُـوا الـدّهْر تَلِعّـةً كَمَا مَنعَتَ عـرضَ الحِجـازُ مشّـرَ[9]

---

1 ــ خطل اللسان: طول اللسان.

2 ــ السراة: الأشراف.

3 ــ الحق له تحمل الديّان.

4 ــ جراثيم: أصول راسخة.

5 ــ ديوان لبيد بن رَبِيعَة العامريّ، ص61.

6 ــ عبد الله: بنو عبد الله بن كِلاَب، جعفر قوم لبيد نفسه، لم تحم: لم تأخذ الحمية والأنفة.

7 ــ الضباب: أولاد معاوية بن كِلاَب، أبكر: الأبكر الفتية من الإبل.

8 ــ ودُّوكم: دفع الدية، دمنة: حقد، الترة: الثأر.

9 ــ الدهر : الزمن.

الفصل الثاني

مقوِّمات فن النّقائض وعناصرها في الجاهلية

المبحث الأول: التفاخر والتعاظم بالأنساب ودوره في خلق النقائض في الجاهلية.

المبحث الثاني: الأيّام وأثرها في نشوء فنّ النقائض.

المبحث الثالث: خصائص فنّ النّقائض في الجاهلية.

المبحث الأول
التفاخر والتعاظم بالأنساب
ودوره في خلق النقائض في الجاهلية

التفاخر والتعاظم بالأنساب ودوره في خلق النقائض في الجاهلية:

لقد شكلت القبيلة في الجاهلية وحدة سياسية قائمة بذاتها لها القدرة على تسيير أمورها الداخلية وعلاقاتها الخارجية فقد كانت الوحدة السياسية للقبيلة هي النموذج السائد في بوادي شبه الجزيرة العربية، فالقبائل في الجاهلية مرتبطة

بعضها ببعض في أكثر الأحوال، لأن مصلحة القبيلة هي وحدها التي تحدد صلاتها بالقبائل الأخرى المجاورة، وغالباً ما تتضارب مصالح القبائل المجاورة، والدافع هو قسوة الطبيعة وكثرة الحروب وربما يكون السبب الرئيس الافتخار بالأنساب والأحساب والسيادة التي كان لها الدور الأكبر عند الشعراء الجاهليين.

فقد كان التفاخر والتعاظم بين أهل الجاهلية سمة اجتماعية سائدة إذ كانت المفاخرة بمآثر الآباء والأجداد والسيادة والريادة أمراً شائعاً، فمن أهم مظاهر التزام الفرد بالقبيلة، حرصه الشديد على النسب والاعتزاز به فقد كان أقوى صلة تربطه بقومه، فلا غرابة في أن يطمح ليجعل نسبه في الذروة من الشرف والرفعة، وأن يجعل الآباء والأجداد الذين ينتمي إليهم في مقام السيادة والرفعة والعظمة مثل ذلك في قول معاوية بن مالك[1] سيد بني كِلاَب مفتخراً بنسبه مشيراً إلى حقه في السيادة يقول[2]:

إنِّي امرؤٌ من عُصبةٍ مشْهُورةٍ حُشُدٍ لهُمْ مجدٌ أشمُّ تَلِيدُ
ألفَوا أباهُمْ سَيِّدا وأعَانهُمْ كَرَمٌ وأعْمامٌ لهمْ وَجدودُ
نعطِي العشيرةَ حَقَّها وحَقيقَها فيهَا ونَغْفِرُ ذَنبهَا ونسُودُ

فالشاعر يؤكد انتماءه إلى قومه، الذين يشكِّلون عصبة قوية ملتحمة الأطراف، تتشمخ متطاولة بأمجادها نحو السماء، قد رعاها الآباء والأعمام والأجداد، وعلى هذه الشاكلة يسير سلامة بن جندل السَّعدي[3] إلى الفخر بانتسابه

---

[1]– هو: معاوية بن مالك بن جعفر بن كِلاَب، من أشراف العرب في الجاهلية ومن شعرائهم المشهورين لقبه معوذ الحكماء. الأعلام، الزركلي،ج 7، 263. ومعجم الشعراء الجاهليين، عزيز فؤاد بياتي، ص 341.

[2]– المفضليات، المفضل الضبي، ص 346 و 347.

[3] – سلامة بن جندل(000 – نحو 23 ق هـ = 000 – نحو 600 م) بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان.من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة. يعد في طبقة المتلمس. وهو من وصاف الخيل. له (ديوان شعر – ط) صغير، رواه الاصمعي. وأكثر المؤرخين على أنه (جاهلي قديم). ينظر: الاعلام،الزركلي، ج3، ص106.

إلى قومه الذين يجمعون شرف الأصل والشجاعة والقتال، ورأياً صائباً في حل قضايا القبيلة، وإحلال الوفاق والوئام بين أفرادها فيقول[1]:

إنِّي امْرؤ مِن عُصبة سعْدية دَربي الأَسنَة كلَ يَوم تلاقِي[2]
لا ينظرُون إلى الأكنة أجْمحَت نظر الجمَال كربن بالاوسَاق[3]
يَكْفُون غَائبهم ويَقضى أمرَهم في غَير نقصٍ منهمُ وشقَاق
والخيلُ تعلمُ من يُبل نحُورَها بدمٍ كَما العَندمِ المِهْرَاق[4]

فاعتزاز الإنسان العربي بنسبه جعله يغلو فيه أحياناً فلا يرى نسباً يضاهي نسب قبيلته نبلاً و شرفاً، ولا يرضى أن يتطاول أحد من القبائل الأخرى فيدعي لنفسه نسباً اشرف من نسبه أو حسباً أشرف من حسبه، فالفخر بالأصل والنسب من عادات الجاهليين، فبهذا الشيء يعطون المرء داخل القبيلة دعماً قوياً في الفخر بالأنساب والأحساب والمآثر والبطولات، فهؤلاء بداخلهم العجب بدواتهم، وإحساس بالتفوق يورث ترفعاً عن الآخرين، وحتى تكبراً أنهم الأصل والآخرون تابعون، وكل جيل منهم يفخر بمآثر قومه على الجيل السابق ويضيف إليها مفاخر جديدة، ولطالما فخر الشعراء بهذه العراقة وتمسكوا بالانتساب إلى تلك الأصول حتى يُخيّل للمتابع أن العرب جميعهم أصول وليس فيهم من ينتمي إلى الفروع[5]، فقد ورد أن بدر بن معشر[6] من بني مدركة وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفخر بنفسه وبنسبه يقول[7] :

نحنُ بن مُدرِكة بنْ خَندَقٍ مَن يطعنُوا فِي عَينه لم يطرفِ[8]
ومَن يكُونوا قَومه يغطرف كأنّهم لجّة بحرٍ مُسْدَفِ[1]

---

[1]– ديوان، سلامة ابن جندل، محمد بن الحسن الأحول، ص 151 و 152.

[2]– درب الشيء أي صار حديداً.

[3]– الأوساق : جمع وسق وهو ستون صاعاً .

[4] – العندم : شجر أحمر.

[5]– ينظر: شرح ديوان طرفة بن العبد، سعد الصناوي، ص 24.

[6]– لم أعثر على ترجمته.

[7]– ينظر: العقد الفريد، ج6، ص101.

[8]– لم يطرف أي مات .

قال ومد رجله وقال: أنا أعز العرب، فمن زعم أنه أعز مني فليضـــربها، فضربها رجل من بني مازن فأنذرها أي أسقطها من الركبة، وقال خذها إليك أيها المخندق، لأنه رفع نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستل سيفه وضـــرب رجله فأسقطها[2]، فهذه صورة للغلوّ الشديد في النسب والتعصب القبلي هي الصورة السائدة في العصر الجاهلي، فالأنساب مادة رئيســـة لفـــن النّقـــائض، فالشـــعراء يتفاخرون فيما بينهم بالأنساب والبطولات، وهو سبب التعارف والتواصـــل كمـــا يقول ابن عبد ربه: " النسب الذي هو سبب التعارف وسلم التواصل به تتعـــارف الأرحام الواشجة" [3] ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّـــن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[4]، فالأنساب سبب رئيس للتعـــارف بين الناس، وكذلك مما حدث لبني أنف الناقة، عندما كانوا لا يحبون هـــذا الاســـم حتى أن الرجل منهم يسأل ممن هو فيقول من بني قريع، فيتجاوز جعفر أنف الناقة بن قريع ويلغيه، فراراً من هذا اللقب إلى أن قـــال الزبرقـــان بـــن بـــدر (000، نحو45هـــ) الذي أحسن ضيافته بغيض بن عامر بن لؤي بن جعفر بن أنف الناقة فقال[5] :

سَـــيرى أمَـــام فَـــإن الأكثـــرين حَصَـــاً والأكْـــــرمِين إذَا مَـــــا يُسَـــــبُّون أَبـــــا

قوم هُم الأنفُ وَ الأذنابُ غيرهُـــــم ومَـــن يُسَـــاوي بـــأنفِ الناقـــةَ الـــذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم جهارة فأصبحوا يحبون هذا الاسم ويتفاخرون به وبمن ينتسب لهذه القبيلة، فالنسب الذي يفتخر به العربي هو من جهة الأب لأن الأبناء ينسبون إلى أبائهم، فالعناية بالنسب ظـــاهرة بدويـــة قديمة تحرص عليها الجماعات الأولى التي كوّنت العصبيات القبليـــة والجنســـية الجنس البشري أو السلالة البشرية حفاظاً على القربى وتوطيداً للوحدة والعصبية،

---

[1]- يغطرف : يمشي مختالاً فخوراً. ينظر: قاموس المحيط، (غ ط ر ف) ومسدف مظلم.

[2]- العقد الفريد، ج6، ص101.

[3]- المصدر السابق، ج3، ص265.

[4]- سورة الحجرات، الآية: 13.

[5]- العمدة، ابن رشيق، ج1، ص42.

فالشاعر عندما يفخر بنسبه في قبيلته يضم نفسه إليها تلقائياً[1]، ويفخر بها وبقومه، فالشاعر له الحق في الفخر بنسبه وقبيلته ليدفع العدوان المنافس لتعيش قبيلته عزيزة آمنة، متعاطفة الآباء والأبناء وله أن يفخر ببطولاتها وأيّامها ومثالبها، فيسجلها الشعراء ويناقضون بها خصومهم من شعراء القبائل الأخرى.

فالعرب أمة امتازت بحفظ أنسابها والعناية بها، ولعلهم تأثروا باليونان في ذلك، كما اشتهروا في بعض مؤلفاتهم الأولى، فقيمة الأنساب عند العرب قيمة عظيمة[2]، لأنها بسببها تقوم عليها الحروب، والحروب تقوم عليها أيّام، والأيّام تقوم عليها شعر، والشعر يقوم عليه النّقائض " وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية فلابد من الرئاسة على القوم أن تكون عصبية غالبة لعصبياتهم"[3]، وأن العصبية إنما تكون في الالتحام بالنسب وصلة الرحم والقرابة والنسب والصهر واللحمة الحاصلة من لحمة الولاء حيث يقول رسول الله ﷺ :" تعَلّمُوا مِنْ أنسَابَكم مَا تَصلُونَ بِه أَرْحَامَكُم"[4]، بمعنى أن النسب إنما فائدته الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة[5]، ولما كانت المناصرة بين الشعراء فهذا يستدعي العصبية القبلية والاعتزاز بالنسب على ألسنة الشعراء في الهجاء والمدح والذم[6]، فجاء الفخر بالحسب والنسب على حساب الآخر ويقول رسول الله ﷺ : " النّاسُ مَعادِن خيارهُم في الجاهِلية خيَارهُم في الإسْلامِ إذَا فقَهُوا" [7]، فمعنى الحسب راجع إلى الأنساب، فثمرة الأنساب هي العصبية والتناصر، فهذا الذي

---

[1]– ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص45، و 46.

[2]– ينظر: المصدر السابق، ص45 .

[3]– مقدمة ابن خلدون، ص151.

[4]– سنن الترميذي المعروف بالجامع الصحيح، تح: محمد علي محمد عبد الله، تصحيح الألباني، دار ابن الهيثم، 1425هـ – 2004م، ص 2045.

[5]– ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص148.

[6]– ينظر: تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج3، ص88 و 89.

[7]– صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، دار نهر النيل، اغلقاهرة ، د. ط.ت، ص3203. وصحيح مسلم، للامام مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط.ت، ج99، ص 25 و26.

كانت عليه الأنساب في الجاهلية التي شكلت مادة قوية لكي تقوم عليها النّقـائض الشعرية بين الشعراء، فالأنساب في الجاهلية علم بحد ذاته لها علماء متخصصون بها، فابن خلدون يروي أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في الفقر من العرب لما اختصوا به من شطف العيش، فلا يأتي إليهم أحد ولا يحـاربهم أحـد فيؤمِّن عليهم ذلك من اختلاط الأنساب وفسادها، فالفقر يؤمن للقبيلة الفقيرة عـدم اختلاط النسب لا في الفروع ولا في الأصول[1].

فالأنساب في الجاهلية كانت متصلة بالحياة الاجتماعيـة أولاً، ثـم الحيـاة السياسية والحربية وما فيها من اقتتال ومعارك هجائية بين الشـعراء ثـم الحيـاة الأدبية، التي جرت على الأنساب أمور مقررة وكانـت آثارهـا وحركاتهـا فـي الجاهلية تمثل ما دار بين القبائل من صلات القرابة والنسب والفخر به[2]، فقامـت الأيّام وعقدت المحالفات، وكانت المفاخرات، وقامت المناظرات على أساس هـذه الأنساب، فالشاعر لا يكون هجَّاءً ولا شاعراً إلا وهو في نفس الوقت مؤرخ وعلى دراية بعلم الأنساب[3]، فاعتزاز الإنسان الجاهلي وحرصه الشديد على نسبه كـان أوثق صلة تربطه بقومه وقبيلته ونسبه وتتشد أواصر العصبية معهم، فلا غرابة أن يجعل نسبه في القمة من الشرف والرفعة، وأن يجعل الآباء والأجداد فـي مقـام الرفعة والسيادة، وكذلك من مظاهر العصبية القبلية في الجاهلي الطبقية فقد كـان هناك سادة القوم وأشرافهم من أمراء العرب ورجال الدين والشـعراء وغيـرهم، وهناك من ينتمون إلى الطبقة الدنيا كالفقراء والصعاليك والمحتاجين وأبناء السبيل وغيرهم[4]، وكذلك أيضاً الأخذ بالثأر فهو مظهر شائع جدا في العصـر الجـاهلي وكذلك الحروب والمعارك والقتال التي دارت في الأيّام ومع ذلك لم تكـن حيـاة الجاهليين ثأراً ودماً وحسب، ولم تحُل روح العصبية بينهم وبين التمسك بـبعض

---

[1]- ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص148.

[2]- ينظر: دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، د. محمد عثمان بن علـي، دار الكتـب الجامعيـة المفتوحة، 1991م، ص 188 و189.

[3]- ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص 55 و 56.

[4]- ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص96 و 97.

القيم والفضائل التي أقرها الإسلام وقد صورتها لنا بعض أشعارهم وكذلك ما جاء في الخطابة، بل إن قيم العصبية نفسها لم تكن عليها مما يرفضه الدين وتنبذه طبيعة الحياة المتحضرة، فإذا كانت هذه العصبية في الأنساب وغيرها رفعت العرب إلى الثأر والدماء والرغبة في البطش والعدوان، وقد رفعته إلى الجانب الآخر إلى ضروب من الشجاعة والاستبسال والحفاظ على الكرامة والاعتزاز بالشرف والنسب والرجولة والتكبر، ليكتسب بها الشرف، فالتفاخر بالأنساب والأصل والحسب والقبيلة والطعن بالأحساب، فقد كثر تنقيص أنساب الناس وعيبها على قصد الإحتقار لهم والذم، فالمفاضلة تكون في الدين والخلق الحسن ففي هذا الصدد حسان بن تابث يقول[1] :

ويثربُ تعلمُ أنَّا بِها إذا التبسَ الأمرُ ميزانُها

ويثرب تعلم أن النبيت عِنْد الهزاهزُ ذُلَّلا نِها

فأجابه قيس بن الخطيم[2] فقال[3]:

ونحن الفوارس يوم الربيع قد عَلمُوا كيف فُرسانُها[4]

ويثربُ تَعلمُ أن النبيتَ راسٍ بيثربَ ميزانُها

حِسانُ الوجُوهِ حِدادُ السيف، يبتَدِرُ المجدَ شُبَّانُهَا

تدور هذه الأمثلة من الناحية العامة على فخر الشاعر بقومه والإشادة بمواقفهم ومآثرهم، مع التهوين في شأن عدوهم وفي معانيها الجريئة التي تحت

---

[1]– ديوان، حسان بن ثابت، تح: عبد المهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص 476.

[2]– هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي أبو يزيد شاعر الأوس في الجاهلية أدرك الإسلام فقتل قبل أن يدخل فيه وهو من بني ظفر وكانت امرأته مسلمة. ينظر: طبقات الشعراء، ابن قتيبة، ج1، ص228.

[3]– ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، دار العروبة، مصر، 1962م، ص 53.

[4] – يوم الربيع: يوم من ايام الحرب في الجاهلية حدث فيه حرباً.

على الصبر والتآزر والسيادة والفوز في الحروب ورفعة الأنساب والفخر بها.وهذا امرؤ القيْس حين لقيه بنو أسد قال[1] :

ألا يَـــالهفَ هنـــدٍ أَثـــرَ قَـــومٍ هُـــمُ كَـــانوا الشِّـــفَاءَ فلَـــم يُصـــابُوا
وقَـــاهُمْ جَـــدهُم ببنـــي أَبـــيهِم وبالأشْقَـــين مَـــا كَـــانَ العقَـــابُ
وأفلَـــتَهنَّ عَلبـــاءُ جَريضـــاً ولَـــو أدركَنَـــه صَـــفَر الوطَـــابُ

فقال عبيد يرد عليه[2] (وافر):

أتوعَدُ أُســرتي وتَركــتَ حُجْــراً يُزِيـــغُ سَـــوادَ عَينيـــهِ الغُـــرابُ
أبَـوْا دِيـنَ الملـوكِ فهـمْ لَقَـاحٌ إذا نُـــدبُوا إلـــى حَـــرْبٍ أجـــابُوا
فلو أدركَتَ عَلباءَ بـن قَيْـــسٍ قَنعـــتَ مـــنَ الغَنيمـــةِ بالإيـــَابِ

وكذلك من المفاخرة بالأنساب والأصل عندما جاء وفد قبيلة رَبِيعَـة عنـد النُّعمان بن المنذر، فجاءه وفود رَبِيعَة ومُضر فمن بين وفود مُضـر عـامر بـن الطفيل[3] ومن وفود رَبِيعَة بسطام بن قيس[4]، فلما انتهوا إلى النُّعمان أكرمهم، وكان إذا وُضع الشراب سقي النُّعمان أولاً، فمن بدء به على أثره فهو أفضل الوفد، فلما شرب النُّعمان قامت القينة[5] تنظر إلى النُّعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتفضـله من الوفد، فنظر في وجهها ساعة ثم رفع رأسه وهو يقول[6]:

أسْقِي وفُودك مِمـا أنـتَ سـاقِيني فابدِي بكأس ابن ذي الجَدَّينِ بِسـطامِ[7]
أغر يَمِينه مِـن شـيبان ذُو أنـفٍ حامي الديَار وعَن أعْراهـا رامِـي
قَد كَانَ قيْس بـن مَسـعود ووالـدهُ تبدأ بهم الملوك مهم أيّـامُ أيّامـي

---

[1]– ديوان، امرؤ القيْس، ص65 .

[2]– ديوان، عبيد بن الأبرص، ص82.

[3]– هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كِلاَب العامري وهو ابن عم لبيد الشاعر، وكان أعوراً وعقيماً لا يولد له. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص207.

[4]– هو بسطام بن قيسبن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين. طبقات الشـعراء، ابـن سـلام، ج1، ص184.

[5]– القينة هي خادمة النُّعمان بن المنذر.

[6]– الأبيات في العمدة، ابن رشيق، ج2، ص191.

[7]– يقصد نفسه بسطام .

فَارضُوا بمَا فعَل النُّعمان في مُضر ... وفـــي رَبِيعَـــة مِـــن تعظِـــيم أقـــوامِ
هُم الجَماجِم والأذنـــــابُ غيـــرهم ... فإرضُـــوا بـــذَلك أو بـــوءوا بإدغَـــامِ

فقال عامر بن الطفيل[1]:

كَان التبايعُ في دَهـــر لهُـــم ســـلف ... وابن المِرار وأَمـــلاكٌ علـــى الشّـــامِ
حَتى انتهَى الملك مِن لخمٍ إلى ملـــك ... بـــادي السِّـــنان لـــم يرمـــهِ رامِ
إنْحنـــى عَلينـــا بأظفـــارٍ فَطوقنَـــا ... طوق الحمـــام بإتعـــاسٍ وإرغَـــامِ
إنْ يمكن الله مِن دَهـــر نسَـــاء بـــه ... نتركَكَ وحدَك تَدعو رَهـــطَ بســـطَامِ
فَانظرإلى الصَّيدلم يحموك من مُضر ... هل في رَبِيعة إن لم تدعونا حـــامِ ؟؟

فأجابه بسطام بن قيس فقال[2] :

لعَمري إن ضـــجت تَمـــيمٌ وعـــامرٌ ... لقد كنتُ يَوماً فـــي حلـــوقهِم شـــجى
أرونـــي كَمســـعود وَقـــيس وخَالـــد ... وَعمر وعبد الله ذي البـــاع والنـــدى[3]
وَكانوا على إفناء بكـــر بـــن وائـــل ... ربيعاً إذا ما سَـــال ســـائلهم جَـــدي[4]
فَسرتُ على آثـــارهم غيـــر تـــاركٍ ... وَصيتهم حَتى انتهَيـــتُ إلـــى مَـــدى

---

[1]– ديوان، عامر بن الطفيل، ص52. والأبيات في العمدة، ابن رشيق، ج2 ، ص191.

[2]– العمدة، ابن رشيق، ج2 ، ص68.

[3]– ملوك كانوا قبلهم ولهم الرفعة والشرف في تقدم المجلس ويقال إنهم أباء وأجداد بسطام .

[4]– بكر بن وائل ورَبِيعَة : أسماء قبائل عربية .

المبحث الثاني
الأيَّام وأثرها في نشوء النقائض

<u>الأيام وأثرها في نشوء النقائض:</u>

يقصد بأيّام العرب في الجاهلية الأيّام التي نشبت فيها المعارك بين القبائل العربية في الجاهلية، وقد سميت هذه الوقائع بـ (أيّام العرب ووقائعهم)[1]، أي الوقائع التي حدثت في تلك الأيّام وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**

[1] – ينظر: العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبدر ربه، تح: عبد الحميد الرحيني، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ – 1997م، ج 6، ص3.

أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ﴾[1] أي أنذرهم بوقائعهم التي وقعت على الأمم قبلهم في الأيّام، وقيل لبعض أصحاب الرسول ﷺ ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم، قالوا كنا نتناشد الشعر ونتحدث بأخبار الجاهلية[2] وقال بعضهم وددتُ أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية[3]، وتُعَدُّ هذه الأيّام ينبوع نجاح من ينابيع الأدب، بما اشتملت عليه من روائع القصص، وبدائع القول ومأثور الحكم وبليغ الخطب والشعر، كما أنها صورة صحيحة للعرب وعاداتهم وتقاليدهم وتصوير صادق لأسلوب حياتهم وشأنهم في الحرب[4].

وقد تقدم فيما سبق أن أسباب النزاع بين القبائل العربية كثيرة جداً، وتبعاً لذلك فإن حروبهم كثيرة أيضاً ولكثرة الحروب وكثرة سفك الدماء، جعل العرب أشهراً حرموا فيها القتال، ومع ذلك فقد كان منهم من ينسئ الشهور أي يؤخرها ويضعون مكانها أشهراً يُحلّ فيها القتال[5] وللعرب كثير من الوقائع العظيمة التي هاجت قبائلهم وأثارت عصبياتهم، والتي تحدّث عنها الشعراء في أشعارهم والتي جاءت في الأيّام من نقائض، بسبب الحروب والعصبيات، وكانت مادة رائعة للسّهار والمحدثين في حقب طويلة[6]، ويقول صاحب العمدة: " قد أثبتُ في هذا الباب ما تأدّى إليّ من أيّام العرب ووقائعهم مستخرجة من النّقائض وغيرها" [7]، فهذا دليل واضح على أن الأيّام وما دار فيها من عصبيات وحروب وشعر كان لها الدور الأكبر في بدايات النّقائض في الجاهلية، ومقوم من مقومات النّقائض بجانب الأنساب والعصبيات القبلية، وهناك سبب آخر بتسمية أيّام العرب ووقائعها بهذا

---

[1] – سور إبراهيم، الآية: 5.

[2] – ينظر: العقد الفريد، ج6، ص3

[3] – المصدر السابق، ج6، ص5.

[4] – ينظر: الشعر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص93.

[5]– ينظر: المصدر السابق، ص 64.

[6]– ينظر: الشعر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص 93.

[7]– العمدة، ابن رشيق، ج2، ص174.

الاسم وذلك لأن الحروب كانت نهاراً واليوم عندهم النهار من طلوع الشمس إلى غروبها[1]، ومهما يكن من اختلاف في السبب أو التسمية فالغرض والمعنى واحد، فأيّام الجاهلية كثيرة أُلّفتْ فيها كتب خاصة بها.

أما عن أسباب هذه الأيّام فأسبابها ترجع إلى عاملين هما : *مادّي* أي التناحر على المراعي والماء، فتنشأ الحروب كيوم (سَحْبَل) ويمكن مردها إلى العوامل السياسية، كما حدث في يوم (كِلاَب)، وربما تكون الجيرة من أسباب الأيّام، فحرب سُمير نشأت عن غضب مالك بن عجلان لكعب الثعلبي الذبياني جاره في المدينة، فالأصل كان في هذا الخصام المفاخرة والملاحاة، والآخر *أدبي* أي قريب الصلة بالأدب والشعر، وربما يحمل شيئاً من المناقضة، فشعر الأيّام كان سجلاً للمعارك وما يدور فيها من كر وفر[2]، ويمكن ردها إلى الثأر والانتقام ورفع الضيم والتشبث بالحرية، فأيّام العرب كثيرة، ولو حُصرت أيّام العرب لأعيا ذلك الحاصر ولن يظفر بمبتغاه ويتوسع الموضوع، فقد ذكر الإخباريون أن أبا عبيدة النحوي (ت 209 هـ) صنّف وحده كتاباً أفرد فيه لرواية ألف ومائتي يوم من أيّام العرب، ولم يصل شيء من ذلك الكتاب وكتاب آخر له حوى خمسة وسبعين يوماً، فتجد في العمدة لابن رشيق تسعة وخمسين يوماً[3]، ولكن هذه الأيّام مختلطة بين الجاهلية والإسلام، ومهما يكن من هذه الأيّام ومن مسمياتها فتأثيرها في الأدب تأثيراً واحداً، وموقفها في النّقائض موقف يحسب له حساب، فجاء الشعر زاخراً في هذه الأيّام مما جرى فيها من حرب بين القبائل، فهذه الأيّام منها ما كان بين العرب والفرس كيوم ذي قار[4] وما كان بين النزاريين واليمنيين كيوم خزازى[5]، وما كان بين اليمنيين بعضهم مع بعض كيوم بُعاث الذي حدث بين

---

[1]- ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص61.

[2]- ينظر:المصدر السابق، ص63.

[3] - ينظر: العمدة، ابن رشيق، ج2، ص174.

[4]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج6، ص111.

[5]- العمدة، ابن رشيق، ج2، ص183. والعقد الفريد، ابن عبد ربه،ج 6، ص97.

الأوس والخزرج[1]، وغيرها من الأيّام كثيرة، وإذا جئتَ لهذه الأيّام وما تحمله من أثر واضح في الأدب وشعر النّقائض خاصة تجدها تهيجُ من عاطفة تتبع من شعور شخصي حرّكته الأحداث، فالشعراء والخطباء في أوج حماستهم وشجاعتهم يصفون خيلهم وسلاحهم ويشيدون ببطولاتهم ومواقفهم البطولية في الأيّام وما حدث فيها، ويحرضون ويشجعون على الحرب[2]، ومن آثار هذه الأيّام:

1- إن الشعر الجاهلي عامة والفخر والحماسة والرثاء والهجاء خاصة، ترتبط بهذه الأيّام ارتباطاً وثيقاً، فأكثر القصائد في هذه الفنون الأدبية في الشعر الجاهلي قِيلت في هذه الأيّام، وكانت صدى لها، ونظمها أصحابها فخراً بمآثر القبيلة ودفاعاً عن أحسابها، وهجاء لخصومها وسلباً لأعدائها.

2- الشعر الجاهلي ضم قصائد كثيرة قيلت في وصف المعارك والدعوة إلى السلام وتصوير فظائع الحرب.

3- الأوصاف في شعرهم للخيول والرماح والسيوف والدروع، وهي من أدوات القتال، وهي تعدّ أثراً من آثار هذه الأيّام في الشعر الجاهلي.

4- لا يقتصر أثر هذه الأيّام على الشعر فقط، بل جاءت نثراً أيضاً، ومفاخرات ومُنافرات ومحاوراتٍ تتصل بأيّام العرب في الجاهلية.

5- نظراً لأهمية أيّام العرب فقد أُلِّفت فيها كتب كثيرة جاء ذكر بعضها في بداية هذا المبحث[3].

وسأتناول أهم أيّام العرب في الجاهلية وبالأخص التي حوتْ دلائل واضحة على بزوغ فن النّقائض الذي ظهر في البداية على شكل هجاء في الجاهلية، ومن هذه الأيّام ما حدث في الأيّام العدنانية وما حدث في الأيّام القحطانية، وفي ما يلي سرد لبعضٍ من الأيّام المشهورة عند عرب الجاهلية التي جاءت زاخرة بالنّقائض

---

[1]- ينظر: الشعر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص 93.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص94.

[3]- ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص61.

الشعرية، وهي الأيّام العدنانية والتي حدثت بين قبائل معد ابن عدنان، وبالأخص ما حدث في أيّام رَبِيعَة التي دارت فيها حرب البسوس بين بكر وتغلب ابني وائل[1] وقد قيل في هذه الوقائع شعر كثير ومناقضات كثيرة منها ما حدث بين جَسّاس بن مُرة[2] وأبيه[3] مما يشبه المناقضة بينهما، عندما قتل جَسّاس كُليباً قال أبوه (مُرة) وددتُ أنك وإخوتك كنتم مِتّم قبل هذا، يعني كُليب فأقبل قوم مرة عليه وقالوا: لا تقل هذا ولا تفعل فيخذله وإياك فأمسك مرة، فقال جَسّاس بن مرة[4]:

تأهَبْ عنك أهبة ذِي كفاح ... فإن الأمر جَلّ عن التلاحِي
فإنّي قَد جَنيتُ عليك حَرباً ... تَغُصُّ الشَيخ بالمَاء القرَاحِ
مذكرة مَتى يَصح منهَا ... فتى نشبَت بآخر غَير صاحِ
تعدّت تغلب ظُلماً علينا ... بلا جُرم تُعَد ولا جَنَاحِ
فلما أن رَأينا واستبنّا ... عقاب البغيِ رَافِعةُ الجَنَاحِ
صَرفتُ إلي نحساً يَوم سوء ... لهُ كأسٌ مِن الموتِ المُتَاحِ

فعندما سمعه أبوه رد عليه يجيبه[5]:

فإن تَكُ قد جَنَيتَ علَينا حَرباً ... تغص الشيخ بالماء القراحِ
جَمَعْتُ بِها يديكَ على كُليب ... فلا وكل ولا ورثٌ السلاحِ
ولكني إلى العلاّتِ أجري ... إلى الموت المحيطِ معَ الصباحِ
وإني حينَ تشتجرُ العوالِي ... أُعيدُ الرمحَ في إثرِ الجراحِ

---

[1]- ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج6، ص111.

[2]- هو: جساس بن مرة (000 – نحو 85 ق هـ = 000 – نحو 535 م) بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل: شجاع، شاعر، من أمراء العرب في الجاهلية، شعره قليل، وهو الذي قتل كليب وائل، فكان سببا لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة، قتل جساس في أواخرها. الأعلام، الزركلي، ج2، ص119.

[3]- هو: مرّة بن ذهل بن شيبان: جد جاهلي، هو أبو (جساس) قاتل كليب، وأبو (همام) وآخرين، من نسله المثنى ابن حارثة (أول من حارب الفرس، أيام أبى بكر) وبسطام بن قيس الشيباني، وكثير من المشاهير. الأعلام، الزركلي، ج7، ص 205.

[4]- تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص95.

[5]- ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص96.

شديد البــأس لــيس بــذي إعيــاء ولكنـــي أَبـــو إِلـــى الفـــلاحِ

وهناك يوم آخر وهو يوم (جَذُوذْ)[1] لبني منقر من تَميم على بكر بن رَبِيعَة، غزا فيه الحوفزان[2] من بكر بني يربوع على جَــذُوذْ، فمنعــتهم يربــوع المــاء فصالحهم البكريون على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم التي كانت معهــم، وعلى أن يخْلي اليربعيين بينهم وبين الماء، ولما علم بذلك بنو سعد قال قيس بــن عاصم المنقري[3] في ذلك[4]:

جزى الله يربوعــاً بأســوأ سَــعيها إذا ذُكرتْ في الغـــائبَات أُمورهَــا
ويوم جَــذُوذْ قــد فَضَــحْتُمْ أبــائكُم وَسَالَمْتُمْ والخيــل تــدمِي نُحُورهَـــا
ســتخطم ســعدٌ والــذِّبابُ أنــوفَكُمْ كَمَا غاظ في أنف للقضيبِ جَريرُهــا[5]
أَفخراً على الموَالي إذا مَــا بَطِشــمْ ولؤماً إذا ما الحرب شــبَّ ســعيرُها
أَتَاني وعيدُ الحــوفزان ودُونـــــه من الأرضِ صــحرَوان فجُ وقودِهــا
أقِم بِسَبِيلِ الحَيِّ إنْ كُنْــتَ صَــادِقاً إذَا حَشَدَتْ سعدٌ وَجَــاشَ نَضِـــيرُهَا
عَصَمْنَا تَميماً في الحُروب فأصبحتْ يلـــوذُ بنـــا ذُو وَفرِهـــا وَفقيرهـــا

فأجابه مالك بن مسروق الربيعي فقال:

سَأسأَلُ مَنْ لاقَــى فــوارِس منقَــرٍ رِقَابُ إمــاءٍ كَيْــفَ كَــانَ نكيرُهــا

وهذا يوم (مِبياض)[6] الذي كان لبكر على تَميم، وذلك أن طريف بن مالك العنبري من تَميم كان لا يتقنع عكس الفرسان الذين كانوا يتقنعون، لأن لا يعــرفهم أحــد فوافى عكاظ وكان قد قتل شرحبيل الشيباني فجاءه حصيصة بن شــرحبيل يســأل

---

[1]- الجَذُوذْ اسم موضع من بني تَميم، العقد الفريد ج 6-ص57. العمدة، ج 2، ص197.

[2]- الحوفزان: هو الحارث بن شريك بن عامر الشيباني، شاعر جاهلي. الأعلام، ج2، ص155.

[3]- هو قيس بن عاصم بن شيبان المنقري السعدي أحد أمراء العــرب. الأعــلام، الزركلــي، ج 5، ص206.

[4]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج6، ص58.

[5]- غاظ: دخل، القضيب الناقة التي لم تروض، الجرير:- الحبل.

[6]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 6، ص 65. وديوان، شعر الأيّام، دراسة وتــح: د. عفيــف عبــد الرحمن، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص263.

عن طريف حتى دُلّ عليه فأخذ يتأمله ففطن لذلك طريف وسأله عن شأنه فقال:" أريد أن أعْرِفْكَ لعلّي ألقاك في جيش فأقتلك فقال طريف[1]:

أوكلما وردتْ عُكَاظٌ قَبيلةً بَعَثُوا إلى عَرِيفِهِم يتوسَّمُ
فَتَوسَّمُونِي إنَّني أناذلكم شَاكِي سلاحِي في الحوادثِ سُعْلَمُ
حَولي فوارِس مِن أُسيدٌ شجعة وإذا نزلتُ نزلتْ فُحول بيتي خُضَّمُ
تحْتِي الغُرُّ وَفوق جِلدي رةٌ زَعَفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وَهُو مثَلّمُ[2]

فأجابه حصيصة الشيباني[3]:

ولقدْ دعَوتُ طريف دَعوةَ جَاهلٍ سَفَهَاً وَأَنْتَ بمْعلمٍ قَد تَعلمُ
وأَتيتَ حَياً في الحروبِ محلهم والجيشُ باسم أبيهم تُستقدمُ
فوجَدتُ قوماً يمنعُون دمَارهم بسلاً إذَا هَابَ الفوارِس أَقْدَمُوا[4]

فرد حصيصة على طريف ما ادعاه من شجاعته وشجاعة قومه ووضع قومه بازاء قومه وتساوى الاثنان. ويوم المَروت[5]، هو لبني حنظلة وبني عمر بن تَميم على قشير بن كعب بن رَبِيعَة بن عامر بن صعصعة، فأغارت قُشير على بني العنبر والذي أغار هو بجير بن سلمة بن قُشير فقُتل بجير فقال يزيد بن الصعق يرثي بجيراً[6]:

أَواردة علَى بنو رباح بفخرِهم وَقد قتلوا بجُيراً

فأجابته إمرأة من بني سليط بن يربوع[7]:

---

[1]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 6، ص58. وديوان، شعر الأيّام، ص 263.

[2]- تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص95. والعقد الفريد، 6-65. وديوان، شعر الأيّام، ص264. أيّام العرب في الجاهلية، علي محمد الحجاوي مطبعة البابي بمصر، ط 3 ، ص 208.

[3]- هو حصيصة الشيباني بن عمرو المازني شاعر جاهلي له شعر وفير في الجاهلية والإسلام. الأعلام، الزركلي، ج2، ص165.

[4]- ديوان شعر الأيّام، ص264. والعقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 6، ص65.

[5]- المَروت: بفتح الميم وتشديد الراء اسم نهر وقيل وادي بالعالية كانت فيه الموقعة، العمدة ج 2- ص179. والعقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 6، ص42.

[6]- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 6، ص42.

[7]- المصدر السابق، ج6، ص42.

قعيدَك يا يزيـــــدُ أبَـا قيـــــسٍ أتُنذِر كَيْ تلاقـــــــــينا النـذُورا
وتوضع تخيـــر الركبان أنـّـــا وجَدنَا في مِـرَاسِ الحـربِ خـورا
ألم تعْلم قعِـــيدك يا يَزيـــــــدُ بأَنَّا نقمع الشيخَ الفَـــــــــخُورا
وَنَفْقَأُ ناظِريــه ولا نُبـــــالـــي ونجعلُ فوقَ هامتـــــــهِ الـدرورا
فـأبلغ إنْ عرضـتْ بَنِـي كِـلاَب فإنَّـــا نَحْـــنُ أقْعَصْـــنَا جُبَيـــرا
وضرَّجنَا عُبيدة بالعَـــــــوالي فأصْبحَ مُوثَقـاً فينـا أسِـــــــيرا
أَفخراً في الخلا بغَيـر فـــــخرٍ وَعنـد الحَـربِ خَـوّاراً ضَـجُورا

يوم سُمير[1]، كان هذا اليوم للأوس على الخزرج، فقد دارت فيه مناقضة شـعرية ساخنة بين عدد من الشعراء، منها ما دار بين قيس بن الخطيم[2] وحسّان بن ثابت، حيث يقول قيْس بن خطيم في قصيدته المشهورة وهي طويلة منها[3]:

أَبلـــغ بـــنْ جَحْجَبـــي وقَـــومِهُمُ خطمـــة أنّـــا وراءهُـــمْ أُنُـــفُ
وإننـــا دُونَ مـــا يَسُـــومهم الأعـــ دَاءُ مِـــن ضَـــيمٍ خُطَّـــةٍ نُكُـــفُ
نفلِـــي بحـــدِّ الصِّـــفيح هَـــامُهُمْ وفَلينـــا هـــامَهُم بِهـــا عُنُـــفُ

فرد عليه حسان بن ثابت فقال[4]:

مـــا بَـــال عينـــي دُمُوعُهـــا تَكِـــفُ مِن ذَكرِ خـــودٍ شـــطَّتْ بهـــا قَـــذَفُ
بانـــتْ بهـــا غُربـــةٌ تَـــؤمٌ بِهَـــا أَرضـــاً سِـــوَانا والشَّـــكلُ مختلـــفُ

ثم قال:

بلِّـــغْ عنِّـــي النّـــبـــيتَ قافيـــةً تُـــذِلُّهم إنَّهُـــمْ لنـــا حَلَفـــوا[5]
بـــاللهِ جَهْـــداً لَنَقْتُـــلَنَّكُم قَـــتْلاً عنيفـــاً والخيـــلُ تَنْكَشِـــفُ
أو تدْعُ فـــي الأوسِ دعـــوةً هَرَبـــاً وقـــد بَـــدا فـــي الكتيبـــةِ النَّصَـــفُ

---

[1]– ديوان شعر الأيّام، ص113.

[2]– سبق ترجمته.

[3]– ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة، مصر، ط1، 1962م، ص53 و66. وديوان شعر الأيّام، ص115.

[4]– ديوان حسان بن ثابت، شرح البرقوقي، ص339 و 341.

[5]– النبيت: بطن من الأوس.

كُنْـــتُم عَبيـــداً لنَـــا نُخَـــوِّلُكُمْ مَـــنْ جَاءنـــا والعبيـــدُ تُضـــطعفُ[1]

فمعاني قيْس هنا قائمة على الحماسة والهجاء بالبغي والطغيان والإســراف ومجاوزة الحد، فجاء رد حسان بن ثابت سُخراً من وعيده، مفتخراً بقومه هاجيـاً خصومه بأنهم دونهم في الشرف، رامياً القوم بالطغيان والسفاهة والطيش، فسـلك في نقضه مسالك القلب والموازنة وزيادة الهجاء بأن حول خصومه إلى خدم عند قومه، فبهذا تتحقق المناقضة، ومن أيّامهم أيضاً حرب كعب بن عمـرو المـازني الخزرجي وهو يوم للخزرج على الأوس فجاءت مناقضة شعرية بين عاصم بـن عمرو المازني[2] وأُوحيحة بن الجلاّح[3] فقال أُوحيحة بن الجلاّح [4]:

نئبـــت أنـــك جئـــتَ تَسْـــرِى بـــــين دارِي والقُـــــــبابه
فلقـــدْ وَجـــدتُ بجانـــب الحيـــان شـــــــانُ مُهَـــابـــــــة
فِتيـــان حَـــربٍ فِـــي الحـــــديدِ وشامِرِينَ كأســـدِ غابـــــَـــة
هُم نكَّبـــوك عـــن الطَّـــــــريق فبـــتَ تركـــــبُ كـــلّ لايـــةٍ
أعُصَـــيمُ لا تجْـــــزع فـــإنَّ الحربَ بالقوم إذا دخَلـوا الرحَابـــة
وقتـــــلتُ كعبـــاً قَبْلهـــا وعَـــــلوتُ بالسيـــــفِ الدؤابـــة

فأجابه عمرو بن عاصم المازني[5]:

أَبلـــغ أوحيحـــة إن عرضـــتْ بـــداره غنـــي جَـــــــوَابَه
وأنـــــا الـــــذِي أعْجلتـــــه عـــن مقعـــد ألهـــى كِلاَبـــه
ورميتُـــه سَـــهْمَاً فأخْطـــأه وأغلـــــقَ ثـــّم عليه بَابَـــه

---

[1]– نخولكم: نجعلكم عبيداً وخدماً.

[2]– هو: عامر بن عمرو بن قيس المازني التميمي، (...– بعد 15 هـــ =...– بعـد 636 م) مـن شعراء الجاهلية. الأعلام، ج2، ص 252.

[3]– هو: أحيحة بن الجلاح بن الحريش، الأوسي،(000 – نحو 130 ق هـ = 000 – نحـو 497 م) أبو عمرو: شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم، قال الميداني: كان سيد يثرب (المدينة) وكان له حصن فيها سماه (المستظل) وحصن في ظاهرها سماه (الضحيان)، ومزارع وبساتين ومـال وفيـر، وقال البغدادي: كان سيد الأوس في الجاهلية، وكان مرابيا كثير المال. الأعلام، ج1، ص277.

[4]– ديوان شعر الأيّام، ص 121.

[5]– ديوان شعر الأيّام، ص121.

الرد تناول معنى الهجوم على الخصم وأخطائه الهدف فلعله أُوحيحة يخوف عاصم منه.

ويوم آخر هو يوم (السُّرارة[1]) وهذا اليوم كان للأوس على الخزرج، وهو أن رجلاً من الخزرج لقي رجلاً من الأوس خارجاً من بئر للماء وكان مع الخزرجي نبل له فرمى به الأوسي فقتله، فلما بلغ قومه قتلُ صاحبهم خرجوا على الذي قتل صاحبهم فقتلوه ليلاً، فرأت الخزرج ذلك فخرجوا لهم الأوس فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال كل فريق من صاحبه، وكان القتال في السُّرارة وهو وسط الوادي، فقال في ذلك قيس بن الخطيم[2]:

ألا إنّ بينَ الشَرعبي ورَاتج ضرَاباً كتحدام السيَال المُعْضَدِ
لهَا حَائطَان الموتَ أسفلَ منها وجمعٌ مَتى يصرخ بيثربَ يصعدِ

ويستمر مفتخراً بخلقه ملماً بشيء من الحِكم:

فمَنْ مبلغ عنْ شريد بن جَابرٍ رَسُولاً إذا مَاجَاء وابن مرثدِ
فأقسمتُ لا أُعطِي يزيد رَهينةً سِوَى السيفِ حَتى لا تنوء له يدي
فلا يُبعدنّكَ اللهُ عبُد بنْ ناقدٍ ومنْ يعله رُكنٌ منَ التربِ يبعدِ

فرد عليه حسان بن ثابت رداً شديداً بقوله[3]:

لعَمرُ أَبِيكَ الخيرِ باشعتُ مَا نَبَا عليَّ لسَانِي فِي الخُطُوبِ ولا يَدِي[4]
لِسانِي وسَيفي صَارِمانِ كلاهما ويبلُغُ مالا يَبْلُغُ السيفُ مذْوَدِي

ويقول حسان موجهاً الخطاب لقيس شخصياً[5]:

فلاَ تعجَلَنْ يا قيسُ وارْبَع فإنما قُصَارَاك أن تُلقَى بكلّ مهنّدِ[6]
جُسَامٍ وأرْماحٍ بأيدي أعزةٍ مَتَى تَرهُمْ بابن الخطَيم تَبلَّدِ[1]

---

[1]- المصدر السابق، ص123.

[2]- الكامل في التاريخ، ابن الأثير،ج 1، ص 621. وديوان شعر الأيّام، ص 123وص 124.

[3]- ديوان حسان ين ثابت، شرح البرقوقي، ص183 و ص341.

[4]- الخطوب: الأمور العظيمة، نبا:- امتنع.

[5]- ديوان حسان ين ثابت، شرح البرقوقي، ص183 و 341. وديوان شعر الأيام، ص 125.

[6]- اربح: قف، قصارك: آخر أمرك.

لُيُوثٍ لها الأشْـبالُ تحْمِـي عَرينهـا مداعِيسُ بالخطىِّ فـي كـلّ مشـهدِ[2]
فقد ذَاقَـتْ الأوسُ القتـالَ وَطْـرِّدَتْ وأنتَ لَدَى الكُنَّاتِ فـي كُـلِّ مَطْـرَدِ

الشاعران كلاهما فخر بنفسه على طريقة المقابلة، وقد قالا في الحكمة علـى طريق التحدي، فقد أنهى قيس قصيدته بالوعد التهديد، وحسان أنهاها بتهديد قيس وهجاء قومه الأوس، فالظاهر أن المناقضة كانت لينة لولا عنف حسان في نقيضته عنفاً نسبياً.

ويوم الكِلاَب الأول والثاني ففي الأول دارت فيه مناقضات كثيرة منها الذي دار بين امرئ القيْس وشهاب وعاصم اليربوعيين فقال امرؤ القيْس فيهما[3]:

أبلِغْ شِـهابَاً بـل فـأبلغْ عَاصِـماً هـل قـد أتـاك الخبـرُ مَـالِ
أَنَّـا تَركنَـا مـنكُم قَتلَـى وجَـر حـى وسـبَايا كالشَّعـالِي
يَمْشِـينَ فـي أرحُلنَـا مُعترفـا تٍ بـجُـوعٍ وهُـزَالِ

فرد عليه شهاب بقوله[4] :

لـم تُسَـبِنا خـيلكُم فِيمَـا مَضَـى حتّى استفأنا الحي مـن أهـلٍ ومـالِ
ذاكَ وكـمْ كِنديـةٍ سَـوداءَ قـد تسـتقبلُ القـومَ بوَجـهٍ كالجِـعَالِ
فأيقظننـا يـأكُلنَ فِينَـا عـفَراَ نُطْعمها قِـدّاً ومحـروتْ الخـمالِ
أيّـام صَـبحَنا كـم مَلومَـةً كأنها قَد نُطِّقـتْ مِـن حَـزْمِ آلِ

وقال سلمة بن عمرو بن الحارث في هذا اليوم[5]:

ألاَ أَبلـغْ أَبـا حـنشٍ رسـولاً فمالَـك لا تجِـئ إلـى الثـوابِ
ومَالـكَ لا تجِـئ إلـى هـجانٍ منصـبة الغـوارب بالهضـابِ
تَعلـم أنّ خيـرَ النـاسِ طُـرّاً قبيـلٌ بـين أحجـار الكِـلاَب

---

[1]- تبلد: تحير.

[2]- مداعيس: طعّان.

[3]- ديوان امرئ القيْس، ص 164.

[4]- المصدر السابق، ص 186. وأيّام العرب في الجاهلية، ص44.

[5]- الأنوار ومحاسن الأشعار، علي بن محمد الشمشاطي، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإعلام، ط1، 1978م، ص216. و ديوان شعر الأيّام، ص71.

تـــداعتْ حولـــهُ عمـــرو بـــن غَـــنمٍ وأسْـــــلمهُ جعاســـــيس الربِـــــابِ

وفي ذلك قال عُصَيمُ مجيباً[1]:

قُل لِذا الأكْـــل المـــرَارِ خُـــذ المُلْـــكَ ولاتبكِـــــين قتيـــــل الكِـــــلاَب
قَدْ تركنَا أَخيكَ فـــي حَمَـــس النقـــعِ صَـــــريعاً مُـــــدرَّج الأثـــــــوابِ
أَســـلَمْته علَـــى الكِـــلاَب تَمـــيم بعدَ طعْن الكُلَـــى وضَـــربِ الرقـــابِ

إلى أن يقول:

أصْبحُوا بالكِلاَب تعتفـــر الضَّـــــبعَ عَلـــــيهم وعَادِيـــــاتُ الـــــذئابِ
فاعتدل يابن ذِي المرَارِ عَلَى القَصـــدِ ولا يَغُرنّـــــك تِيـــــهُ الشـــــبابِ
وإختزلْ بينَ مَا يقول لك النـــــّاسُ وحـــــربٌ تجـــــر بـــــردَ الشـــــرابِ

فيتبع يوم الكِلاَب الأول يوم الكِلاَب الثاني الذي يقول عنه أبـــو عمـــرو بـــن العلاء:" كان يوم الكِلاَب متصلاً بيوم الصفقة" [2]، وفي العمدة لابن رشـــيق يـــوم الكِلاَب الثاني يسمى بيوم (الشعبية) [3]، وهو يوم الكِلاَب الثاني لبني تَميم على قبائل اليمن. ومن أيّامهم أيضاً يوم (مُلزَق) [4].

" وهو أيضاً يوم السوبان كان لبني تَميم على عبس وعامر" [5]، حيث يقول سلامة بن جندل التَميمي في هذا اليوم[6]:

الأهْل أتـــتْ أنباؤُنـــا أَهـــل مـــأربِ كما قَـــد أتَـــت أنبَاؤنـــا أهْـــل مـــأرقِ
بأنَّا منعْنـــا بـــالفُروق نسَـــــاءَنا ونحـــــن قَتَلْنَـــا مـــــن أتانـــا بمُلـــزَقِ

إلى أن يقول:

فمَن يكُن ذا ثـــوابٍ تنلْـــهُ رمَاحُنـــا ومـــن يكُـــن عريانـــاً بوائـــلٍ فيســـبقِ

---

[1]– ديوان شعر الأيام، ص72.

[2]– العقد الفريد، ج 6، ص79.

[3]– شعبية: واد في ارض كِلاَب ويصب في قناة مياه.

[4]– ينظر: العمدة، ج2، ص184. وديوان شعر الأيّام، ص302.

[5]– العمدة، ابن رشيق، ج2، ص184.

[6]– ديوان سلامة بن جندل، تح: لويس شيخو، بيروت، لبنان، 1990م، ص 16. وديوان شعر الأيام، ص 304، و302، و303.

وَمَن يدعُـــــو فِينا يعُاش نسـيئةً ومن لا يُغـالي بالرغائِـبِ نَعـــتِق

وكذلك يقول :

ولولا سَوَدَاء الليلِ مـا آب عَـامرٌ إلـى جَعفـرٍ سـرْ بالِـهِ لـم يُخَـرّق

بضَرب تظل الطّير في جَـــوَانِحاً وطعـــنٍ كـــأفواهِ المـــزادِ المفتـــق

وقال الأحدب بن أخي رَبِيعَة بن جراد[1]:

ذاكَ وعمِّـي يـومَ جـيشَ مُلـزَق لَـاقَى قَطِينَـاً فـوقَ ظهـرِ الأَبلـق

فاختلفنـا وضَـرب الأسـوق ثـمَّ عـلاه بحسـامٍ مُخفـق

يجتثُ كـلّ سـاعدٍ ومـرفق

يوم بُرْزة[2] لبني فراس من كنانة على بني سليم من قيس عيلان[3] حيث قال عبد الله بن جندل الطعان حينما غزته بنو سليم[4]:

تجنبتـهُ رغبـةً عـن قتـالهِ إلى مالكٍ أعْشَوا إلـى ضـوء مالـكِ

فأيقنـتُ أَنـي ثـائرُ ابـن مكـدمٍ أو هالـكٌ فـي الهَوالـكِ

فأنفَذتُـه بـالرُمحِ حـينَ طعنتـهُ معَانقة ليْسـتْ بطعنة باتـكِ

واثني لكرز فـي الغبـارِ لطعنـةٍ علَت جِلـدُه منهـا بـأحْمر عاتـكِ

قتلْنـا سُـلَيماً غثهـا وسَـمِينُها فصَبراً سُـلَيماً قَـد صَـبرنا لـذلكِ

فإنْ تَكُ نسْواني بكـين فقَـد بكَـتْ كمَا قَـد بكَـتْ أُم لكـرزٍ ومالـكِ

فرد عليه عباس بن مرداس في نفس الصدد في كلمته التي قالها يوم بُرْزة[5]:

ألا أَبلغنَ عني ابنَ جنـدَل ورهْطـهِ فكَيـف طلبنـاكُم بكـرزٍ ومالـكِ

---

[1]– ديوان شعر الأيام، ص 305. وديوان سلامة بن جندل، ص 16.

[2] – برزة: موضع، وقد اتصل به يوم الفيفاء، وهو لبني سليم على بني فراس، وأصل الفيفاء: المفازة لا ماء فيها، واطلقت على موضع. نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، القلقشندي، نشرة الأبياري، القاهرة، 1963م، ج1، ص 149.

[3]– ينظر: العقد الفريد ،ج6، ص123. وأيّام العرب في الجاهلية، ص319.

[4]– ديوان شعر الأيّام، ص458.

[5]– عباس بن مرداس الصحابي الشاعر، د. عبد الله عبد الرحيم عيسلان، دار المنهج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1978م، ص95. والأبيات في ديوان شعر ألأيام، ص 458.

غداة فجَعناكُم بحِصنٍ وبابـــــــهِ وبابنِ المعلّـــى عَاصـــمٍ والمعـــاركِ

ويقول:

تلُـــوحُ بأيـــدينا كَمَـــا لاحَ بـــارقٌ تـــلألأ فـــي داجِ الليـــلِ حَالـــــكِ
صبحناكُمْ عوج العَنَاجيجِ في الضُّحَى تمـــرُ بنـــا مـــرَّ الريـــاحِ الســـواهكِ

فالمناقضة قامت على الموازنة ووضع آثار بإزاء أخرى، فقد قامت علـــى ذكر الثأر والانتقام والحرب والضغينة والحقد.

وكذلك تجد يومي أُوارَة الأول والثاني، فقد كان يوم أُوارَة الأول للمنذر بن ماء السماء وتغلب على بكر، فقد دارت فيه مناقضات شعرية منها ما جرى بـــين رجل من أهل اليمن حينما أغاروا على النعم وطردوه فقال في ذلك[1]:

فـــي كُـــل عـــام نعـــمٌ تنْتابـــهُ عَلـــى الكِـــلاَب عَيبـــاً أَربابـــهُ[2]

وبين رجل من بني سعد فأجابه[3]:

عمَّـــا قليـــلٌ تلحقـــن أربابُـــه صـــلبَ القنـــاةِ حازمـــاً شـــبابهُ
علَى جِيادٍ ضُمَّر عيابهُ[4]

ويقول أيضاً[5]:

عمَّـــا قَليـــلٌ تلتحـــق أَربابـــهُ مِثـــلَ النجُـــوم حُســـراً ســـحَابهُ
لَيمـــنعنّ الـــنِّعم اغتصَـــابهُ ســـعدٌ وفرســـانُ الـــوغَى أربابـــهُ

فالمناقضة جاءت في الحرب والفخر بالنصر والتنقيص من عزيمة العـــدو وتقليل شأنه. وكان يوم أُوارة الثاني الذي كان لعمرو بن هند على تَميم منها مـــا دار بين عمرو بن ملقط الطائي[6]، الذي يقول[1]:

---

[1]- ديوان شعر الأيّام، ص66.

[2]- أربابه: أصحابه.

[3]- ديوان شعر الأيّام، ص67.

[4]- عيابه: صدوره.

[5]- الكامل، لابن الكثير، ج1، ص624. ينسبها لقيس بن عاصم وعبـــاس بـــن مـــرداس الصـــحابي الشاعر ص96. وديوان شعر الأيام، ص 68.

[6]- هو: عمرو بن ثعلبة عمرو بن هند،ى ليس له ترجمة كافية. الأعلام، الزركلي، ج5- ص86.

مـــن مُبلـــــغُ عمـــــراً بـــــأ ن المـــرء لـــمْ يخلـــق صُبـــــاره
وحَـــــــــوادث الأيّـــــــام لا تبقـــــي لهـــا إلاّ الحجـــــارَه
هـــــا إنْ عَـــجـــــزة أمـــــهِ بالســـــفحِ أســـــفلَ مـــــن أوارَه
تسْـــفي الريـــاحُ خـــلالَ كشـــــ حيـــــه وقـــــد سَلبـــــوه إزاره

في القومِ أوفى من زرارة

فرد عليه الأعشى[2]:

وتكُـــون فـــي الســـلفِ المـــوازي منقـــــــراً وبـــــــــني زُرارَة[3]
أبنـــــاء قـــــوم قُتّـــلـــــــوا يـــــــومَ القصـــــــيبةِ أُوَارَة
فجَـــروا علَـــى مَـــا عـــــــوِّدُوا ولكـــــلِ عـــــــاداتٍ أمـــــارَة

ولعل أهم النّقائض ما حدث في الأيّـام القحطانيـة مـا دار بـين الأوس والخزرج فقد كانت أيّامهم من أشر حروب الجاهلية، فقد اقترنت بذكر جماعة من كبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين من العرب واليهـود، فقـد كانـت الأوس والخزرج قبيلتان من أزد كهلان اليمانية رحلتا من الجنـوب بعـد سـيل العـرم واستقرتا عند يثرب ويثرب مهد اليهود، فنزل عليهم الأوس والخزرج فتعايشوا في سِلم وأمن إلى أن كان يوم سُمير، وهو أول حروبهم وفاتحة البأس بينهم كما وُضح سابقاً في هذا المبحث من يوم سُمير، ومن أيّام الأوس والخزرج يوم بُعاث الـذي دارت فيه مناقضة شعرية بين قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة حول يوم بُعاث قال قيس بن الخطيم[4]:

أتعـرفُ رَسْـماً كـاطّرادِ المـذاهبِ لعمرةَ وَحشاً غَيْـرَ موقـفِ راكـبِ

---

[1]– الكامل لابن الأثير ج1– ص335. ومعجم البلدان، ج7، ص114. وديوان شعر الأيّام، ص44. و أيّام العرب في الجاهلية، ص103.

[2]– ديوان الأعشى، شرح وتح: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1950م، ص161

[3]– بني منقر، بكسر الميم وفتح القاف، بطن من تميم من القحطانية، وهم بنو منقر بـن عبيـد بـن مقاعس ، واسمه الحارث بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم. نهاية الأرب في معرفـة أنسـاب العرب، القلقشندي،ج1، ص 128. وجمهرة أنساب العرب، ص216 وص 217.

[4]– ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، ص33. والكامل، ابـن الأثيـر، ج1، ص682 و 683.

ديارَ التي كادتْ ونحــنُ علَــى مِنــى تَحِلُّ بنــا لــولا نَجــاءُ الركائـــبِ

وبعد هذا النسيب ينتقل إلى الحماسة وذكر الحرب:

دعوتُ بني عوفٍ لحقنِ دمـــــائهمْ فلمّا أبو سامحتُ في حــربِ حاطــبِ
وكنت امرءاً لا أبعثُ الحربَ ظالمــاً فلمّا أبــو أشْعــلتُها كُــلَّ جانـــبِ

ثم ينتقل إلى يوم بُعاث فيقول:

ويومَ بُعــاث أَسْــلَمَتْنَا سيـــوفُنَـــا إلى نسبٍ في جذم غِسَّــانَ ثاقـــبِ
يُعرِّينَ بيضَاً حــين نلقــى عَـــدوَّنا ويُغْمَدْنَ حُمراً نــاحِلاتِ المضــاربِ
أطاعتْ بنُو عــوفٍ أميــراً نهـــاهُمُ عن السِّلمِ حتــى كــان أوَّلَ واجــبِ
أويــتُ لعَــوف إذْ تقــولُ نسَــاؤهُمُ و يَرمِينَ دفْعاً ليتَنــا لــم نحـــاربِ

ثم يقول في آخر القصيدة:

وغُيِّبتُ عن يــومٍ كَنَتْنِــي عشِــيرتي ويــومُ بُعــاثٍ كَــان يــومَ التغَالُــبِ

فهنا قيس بن الخطيم يفخر بنفســه وقومــه ويــذكر مــآثرهم وأمجــادهم وبطولاتهم، فجاء الرد سريعاً من عبد الله بن رواحة فأجابه بعد النسيب يقول[1]:

إذَا غُيــرَتْ أحْســاب قــومٍ وحــدتنا ذوي نائل فيهــا كِــرام المضــاربِ
نُحامِي على أحْســـــابنا بتلادِنــا لمفتقــرٍ أو سَــائل الخــف راغــبِ[2]

ثم أنهى قصيدته مخاطباً قيساً وقومه:

فخَرتُم بجمــعٍ زارَكــمْ فــي دِيــاركُم تغلغل حتــى دُوفِعــوا بالرَّواحِــبِ[3]
أباحَ حصُــوناً ثــمَّ صــعَد يبـــتغِي مطية حَيٍ فــي قريظــةَ هَـــاربِ

فهذه المناقضة حماسية وهي مناقضة عامة دون التحام وسباب فالمناقضــة قامت على القلب والموازنة، وقال أنس بن الملأ الخزرجي[4]:

ألمَ خَيَــالٌ مــن أميـــمة مُوهِنــا فلم أغــتَمضْ ليــلَ التّمــامِ تهَجُّــدَا
وكَان يراها القلــبُ جيــداء ترتَعــي ســوائلَ يمُــنٍ فالحســاءَ فأرْثــدا

---

[1]- الكامل، ابن الأثير، ج1، ص683.

[2]- تلاد: المال الأصلي القديم.

[3]-الرواحب:مفاصل أصول الأصابع .

[4]- ديوان قيس بن الخطيم، ص153. والكامل، ابن الأثير، ج1، ص683.

ثم يقول[1]:

صـــبحنَاهُمُ عنـــدَ القتـــالِ بغـــارَةٍ فأصـــبَح قـــيسٌ بعـــدَها مُتـــلِدِّدَا
يعضُ علـــى أطْرافـــهِ كُلـــما بَـــدَا لنـــا فَـــارسٌ يَبغـــي القتَـــالَ تَنَجُـــدا

فرد عليه قيس بن الخطيم مجيباً[2]:

ألا أبلِغـــا ذَا الخـــزرجِ رســـالةً رسَالةَ حقٍ لَســـتُ فيهـــا مُفَنَّـــذا
فإنّـــا تركنـــاكُمْ لـــدى الـــردْمِ غُـــدوةً فريقينِ مفـــتولاً بـــه ومطـــرّدا
صـــبَّحناكُمُ منّـــا بـــه كُـــلُّ فـــارسٍ كريمُ النثا يحمِـــي الزمـــارا ليُحمـــدا
أتـــذكر أمـــراً لـــم تَتْلَـــهُ وإنمـــا تناولَ سَجْلَ الحربِ من كـــان أنجـــدا

ثم يختم:

ونحنُ حمُاةُ الحربِ ليســـت تضـِيرُنا بسُـــوقٍ خميســـاً كالقطَـــا متبـــدِّدا[3]

فهذا النقض السابق بين الشاعرين التزم بالنّقائض التي لم ترد فيها ســباب ولا فحش ولا فسق بل أخذت الألفاظ منحنى الالتزام بالألفاظ والكلمات الحســنة، وكان يوم الربيع من أعقاب حاطب يوماً شديداً على الفريقين، واقتتل فيه الحيّــان حتى كاد أن يفني بعضهم بعضاً، وانهزمت الأوس ولحقتها الخزرج، يقول حسان بن ثابت مشبباً بليلى بنت قيس بن الخطيم في مطلع قصيدته[4]:

ويَثـــــرب تعلـــمُ أَنَّـــا بهَـــا إذَا التـــبسَ الأَمـــرُ ميـــــزَانُهَا[5]
ويَثـــــربُ تعلَـــمُ أنَّـــا بهَـــا إذا قَحَـــطَ القَطْـــرُ نُوآنُهَـــا
ويثـــــربُ تعلَـــمُ أنَّـــا بهـــا إذَا خَافـــتْ الأوسَ جيرَانُهـــا

ويقول:

متـــــى ترَانـــا الأوسُ فـــي بيضِنا نهـــزُّ القنَـــا تخـــبُّ نيرانُهَـــا
وتُعـــطِ القيـــادَ علـــى رَغْمِهـــا وتـــنزلُ مُلهَـــام عُقبانُهـــا

---

[1]- المصدر السابق، ص153.

[2]- المصدر السابق والصفحة السابقة.

[3]- القطا : سرب من الحمام، متبددا : متفرق

[4]- ديوان شعر الأيّام، ص128.

[5]-غادرها: في بعض الطبعات للديوان: عاودها.

فأجابه قيس بن الخطيم مشبباً بعمرة زوج حسان بن ثابت[1]:

أَجـــــد بِعمـــــرَة عنـــــيانُهَا فتهجـــــر أمْ شَـــــأنَنَا شأنـــــها
وإِن تُمْـــسِ سَـــطتْ بِهَـــا دارَهَـــا وبَـــاحَ لـــكَ اليـــومَ هِجرَانُهـــا

ثم ينتقل إلى الفخر على الخزرج فيقول مناقضاً حسّان:

ونَحـــنُ الفـــوارسَ يـــومَ الرَّبِيـــعِ قَـــد علِمـــوا كيـــفَ فُرســـانُها
جَنِبنـــا الحـــرابَ وَرَاءَ الصَّـــرِيخِ حتَـــى تَصَـــــــفّ مُزَّانُهـــا
ولاقَـــى الشـــقَاء لـــدَى حَـــربِنا دحـــي وعـــوف وإِخْـــوانُها[2]
ولَـــولا كَرَاهـــة سَفْـــكُ الـــدِّماءُ لعـــادَ ليثـــرِبَ أدْيانـــــــهَا[3]

ويقول:

يَهُـــونُ علـــى الأوْسِ أثمـــانَهُمْ إِذَا رَاحَ يَخْطُـــرُ نَشـــــوانُها
أَتَـــتْهمْ عَرانِيـــــنُ مـــنْ مَالـــكٍ سِـــراعٌ إِلـــى الـــرَّوعِ فِتيانُهـــا

هكذا انتهت المناقضة، ولكن الذي جَدّ في هذه المناقضة هو دخول النسيب في عناصر النّقائض، فتجد حسان يفخر على الأوس ويهجوها بالخضوع والذلـة، فيرد عليه قيس بالظفر والحزم والشجاعة فكانت المناقضة مـن بـاب الموازنـة والقلب دون سباب أو فحش في القول، فهذه عينة من الأيّام القحطانية وما دار فيها من نقائض بين الشعراء فقد جاءت النّقائض في هذه الأيّام زاخرة وأرست دعائمها في الجاهلية وكانت الأيّام وما تبعها من حروب هي إحدى هذه الأسباب الرئيسـة فأيّام العرب كثيرة ومليئة بالمناقضات، ولن يتسع المجال لذكرها جميعـاً، ومـن مواقف القبائل العربية من هذه الأيّام فتلاحظ عدة أمور:

الأول: أنه في أيّام العرب والفرس كالصفقة وذي قار كانت هناك قبائـل عربيـة بجانب الفرس تحارب معها، مما دلّ على أن هذه القبائل تظفر بمزايا مادية مـن الفرس.

---

[1]- ديوان قيس بن الخطيم، ص24 و 25. وديوان شعر الأيّام، ص129

[2]- دحي وعوف: من الخزرج أبناء عم مالك بن النجار.

[3]- أديانها: العادة.

الثاني: إن أيّام القحطانية فيما بينها تدخلت فيها العدنانية، ففي يوم الكِـلاَب الأول كانت قبائل معد بن عدنان قسمة بين أمراء كندة المتحاربين وغيرها على شـاكلة هذا اليوم.

الثالـث: إن سائر الأيّام تنضم فيها بعض القبائل إلى قبائل بعيدة في النسب علـى القريبة لحلف أو طمع[1].

والواقع في هذه الأيّام أنها حفظت اللغة من الضياع، لأن هـذه النّقـائض جاءت في وقت مبكر وجاءت عن طريق الجاهلية والسليقة البدائية، فتجد شـعراً جيداً قيل في تلك الأيّام في الجاهلية ومغاوراتها في الحماسـة والفخـر والرثـاء وغيرها من أغراض الشعر، فشعر الأيّام جاء زاخراً بالمناقضات وتُعدّ مصـدراً خصباً من مصادر التاريخ ونوعاً من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث، وما روي من نثر وشعر، فقد وضحّت شيئاً من الصلات التي كانـت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، فهي في أسلوبها القصصي وبيانهـا الفني مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم، وشـأنهم في الحرب والسلم والاجتماع والفرقة والفداء والأسر، وهي أيضا مـرآة صـادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم كالدفاع عن النساء والوفاء بالعهد والانتصار للعشيرة وحماية الجار والصبر على الشدائد والصدق في القول، وغيرها ما كان واضـحاً في الأيّام، ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي جملةً وتفصيلاً وبخاصـة فـي الفخـر والحماسة والرثاء والهجاء فإنك تجد ارتباطه بهذه الأيّام ارتباطاً تاماً، فبينما كـان العرب يناضلون في المعركة بالسيف والرمح تجد من يحارب بلسانه عن الأحساب والأنساب ويطلقون ألسنتهم على خصومهم وأعدائهم، وفـي الختـام أقـول قـد اقتصرتُ على عرض الأيّام المشهورة عند العرب في العصر الجاهلي تلك الأيّام التي وصل إلينا تفصيل حوادثها.

---

[1]- ينظر تاريخ النّقائض، احمد الشائب، ص65 و 66.

المبحث الثالث
خصائص فنّ النّقائض في الجاهلية

خصائص فن النّقائض في الجاهلية:

لقد مثلت النّقائض الجاهلية الفن الشعري في طوره الأول في نشأته الأولى، وإن لكل شيء في البداية تعثراً وصعوبات وعقبات تظهر في أولية كل فن ثم تتسم بسمات البذاءة قبل توطيد أركانها وتقرر أصولها، ثم بعد ذلك هي خاضعة لكل ما يؤثر فيها من عوامل زمانية ومكانية واجتماعية وشخصية وحربية حتى تنتهي إلى صورتها العامة التي تمثلها في الطور القديم[1]، وقد لوحظ أن هذه النّقائض القديمة الجاهلية ظهرت نثراً أو حواراً عادياً في بعض المشاكل الاجتماعية، كما حـــدث بين امرئ القيْس ورؤوس بني أسد في أعقاب مصرع حجر والد امرئ القـــيْس، وهذا أمر طبيعي يحدث دائماً في العصر الجاهلي، لأن النثر أوسع صدراً وأرحب

[1]- ينظر: تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص 122.

مجالاً لهذه المحاجة الاجتماعية والجدل العقلي القديم القائم على البراهين ووجهات النظر والحجج والسرعة في إبداء الرأي والاحتجاج به والتمسك به، ثم أتت بعد ذلك زجراً، ولكنه استُعْمِلَ في النّقائض بصفة قليلة جداً.

وهناك الركن الأساسي الأهم التي قامت حولها النّقائض هو الشّعر ونقض المعنى، فالكثير من الشعراء يقلّب معنى الشاعر الذي هجاه فيرده عليه، وهي ظاهرة معروفة في الجاهلية، ومن أمثلة المزاجرة التي تتوافر فيها شروط المناقضة الموسيقية والموضوعية والمعنوية ما حدث في يوم الدار[1] حين حمل المغيرة بن الأخنس[2] الثقفي على الرهط الذين هجموا على دار عثمان بن عفان وهو يرتجز[3]:

قدْ عَلِمَتْ جَارِيةٌ عُطبولٌ لهَا وِشَاح ولَهَا حُجُولُ

إنِّي بنصْلِ السَّيفِ خنشليل

فحمل عليه عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول:

إنْ تكُ بالسَّيفِ كمَا تَقُولُ فإثبت لقَرْن مَاجَد يَصُولُ

بمشْرقِي حَدُّهُ مَصقولُ

فضربه عبد الله فقتله، ادّعى الأول الشجاعة والبراعة في النضال فتحداه الآخر وأفسد عليه دعواه قولاً ثم عملاً، أما عن أمثلة المعنى أو نقض المعنى فهو عبارة على أن الشاعر الأول يقول في موضوع محدد مثل الهجاء أو المدح أو الذم فيرد عليه الشاعر الآخر بنفس المعنى الذي قال فيه الأول، مثل ما قال جسّاس بن مرة لأخيه نضلة بن مرة[4] حينما قتل كُليباً[5]:

---

[1]- ينظر: العقد الفريد، ج4، ص168.

[2]- هو: المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمر بن وهب بن علاج الثقفي. ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ص268.

[3]- العقد الفريد، ج4، ص168.

[4]- هو : نضلة بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة. ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي، ص224 .

[5]- الكامل، ابن الأثير، ج1، ص315. وديوان شعر الأيّام، ص 191.

تأهـــبّ عنـــك أهبـــةَ ذي امتنـــاع فإن الأمـــر حـــلّ عنـــد التلاحـــي[1]
فـــإنّي قـــد جنيـــت عليـــك حربـــاً تَغُصُّ الشَـــيخَ بالمَـــاء القـــــدَاحِ

فأجابه أبوه[2]:

فَإن تَـــكُ قَـــد جَنَيـــتَ عَلَـــيَّ حَربـــاً تَغُـــصُّ الشَـــيخَ بالمَـــاء القَـــدَاحِ
جمعـــتُ بهـــا يـــديك علـــى الكليـــبِ فَـــلا وكـــل ولا رَثَّ الســـلاحِ

فجاء الرد سريعاً وعنيفاً في نفس المعنى الأول فنقض المعني الأول علـى صاحبه، ومثالاً آخر من صور نقض المعنى من نقائض العباس بن مرداس مـع خفاف بن ندبة السلمي[3]، حيث يقول الخفاف بن ندبة السلمي[4]:

أَلَا أَيها المُهدي إلَي الشَّـتْم ظَالِمـــاً تبَينْ إذَا رمَيْتَ هَضبةَ مَن تَرمـي
أبيُ الذّمِ عَرضي إنْ عرضِـي طَـاهر وإني أَبِي مِن أُبـاة ذَوي غَشـــمِ
وإنِّـي مـنَ القـومِ الـذينَ دمَاؤُهـم شِفَاءٌ لطلَابِ التـرَاثِ مِـنَ الـرغْمِ

فأجابه العباس فقال[5]:

أَلَا أيهَا المَهـدي إلـيّ الشَـتمَ ظَالمـاً ولستُ بأهـل حـينَ أَذكـر للشّـتمِ
أبي الشّـتم إنّـي سـيدٌ وابـن سـادة مطاعِين في الهِجاء مطاعِيم للجـرمِ
هُم مَنحـوا أبـاك الضُّـر وطَـاعنُوا وذاكَ الذي يرمِي دَليلاً ولا يرمـي

هناك تشابهاً بينهما في كثير من المعاني، فكلاهمـا رمـى صـاحبه بـالظلم وكلاهما إفتخر برفعة منزلته وشجاعته ويغلب على نقائض العباس مـع خفـاف

---

[1]– مذكرة: لا يقوم بها إلا الأبطال.

[2]– الكامل، ابن الأثير، ج1، ص315. وديوان شعر الأيام، ص 191.

[3]– هو: خفاف بن ندبة السلمي بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي شهد مع النبي ﷺ فتح مكـة. ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص112.

[4]– ديوان، خفاف بن ندبة السلمي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968م. جمع وتـح: د. نـوري حمـود القيْسي، ص105.

[5]– ديوان، خفاف بن ندبة السلمي، تح: يحي الجبوري بغداد، 1968م، ص59.

طابع الفخر من التهديد والوعيد[1]، وفي قصيدة أخرى يكثر خفاف من التهديد والوعيد، فحين قال خفاف قصيدته التي أولها[2]:

أَعبـــاس إنـــا ومـــا بيَننَـــا كصَـــدعِ الزجاجـــةِ لا يجبـــرُ

أجابه العباس منذراً من اتساع الشقة بينهما ومفتخراً بكريم الشيم وكثرة الخيل والعتاد والرجال والفرسان فقال[3]:

خفـــاف أَلَـــمَ تـــرا مَـــا بينَـــنَا يَزيـــدُ اســـتعَاراً إذ يَســـعرُ

أَلـــمَ تَـــرا أنَّـــا وهَـــبنْا التـــلَادَ للسَـــائلِينَ وَمـــا نَغـــدُرُ

يقول أحمد الشائب: " إن هذه النّقائض التي دارت بين شاعري سليم تمتاز بجريانها في حدود قبلية ملحوظة المكانة من قيس عيلان، وأنها بدأت على قصد صلات القُربى، وأن عناصرها فضائل اجتماعية حتى إذا اشتدت ودعت إلى القتال، وجدت من يحد من قوتها، ثم عادت قوية ملحة، ولكنها لم تُسَفُّ على كل حال وكانت طرائقها القلب، والموازنة والتكذيب وغلب عليها الفخر ولم تخل من الهجاء"[4]، فكان الهجاء هو الركن الأساسي الذي قامت عليه النّقائض في صورتها الأولية النشأة دون التزام ببحر أو قافية، فعاشت النّقائض الشعرية في صورة أولية لم تتكامل تقاليدها النصية المعروفة المشهورة، فعندما كثرت الأيّام وحميت العصبيات والحروب وبدأ الشعراء يتراشقون بالشعر واحتدم الهجاء احتداماً شديداً بتأثير العصبيات القبلية التي اشتعلت نيرانها في هذه الحروب الجاهلية، غير أن هذه العصبيات كانت مثلاً أعلى فلم تكد نيرانها تتحول إلى رماد حتى عادت إلى الظهور في حروب الردة في عصر صدر الإسلام، ولاشك أن نشأة الهجاء كانت مرتبطة بالعصبيات القبلية وما تثيره من أحقاد وحروب، فالشاعر لسان قبيلته الذي يدافع عنها ويهجو خصومها، ولذلك كان الهجاء مرتبطاً بالفخر حينما يكون هجاءً قبلياً تحركه الحروب والرغبة في الانتقام أو الثأر، أو بالمديح من ناحية ثانية.

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص92.

[2]- المصدر السابق، ص55.

[3]- ديوان العباس بن مرداس، ص63.

[4]- تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص115 .

فبهذه الأسباب تكون النقيضة أن تطول كثيراً فيأتي الشاعر على خصمه من حيث لا يدري، فيرد عليه الآخر بكل ما يملك فتطول الأسباب بطول النقيضة " التي أخذت النّقائض تتكامل وتتوافر عناصرها وتخضع للتحديث الموضوعي والمعنوي والموسيقي حتى اكتملت لها قواعدها المعروفة، وإن لم تبلغ من القوة والطول والدقة والصيرورة والعناية والتأثير ما بلغت أيّام الأمويين"[1]، ولكنها تُعدّ النشأة الأولى لهذا الفن، وقد كانت أصولها أو مقوماتها جاهلية فقامت على الأنساب والأصول الاجتماعية المقررة وأنشئت في ظل الأيّام وما قيل فيها من شعر.

وازدادت حميةً بنار العصبيات القبلية في الجاهلية والعدوان والمفاخرة بالأحساب والأنساب والتباهي بالقوة والجبروت، فإن هذه الأصول لم تشتد في سبيل الحياة الاجتماعية شدتها في الحروب، وهذا طبيعي ما دامت الحروب تهيج الانفعالات وتبعث الشعر وتقوي التحدي، وهناك سبب رئيس أكثر ما قامت عليه النّقائض وهو في الشعر الذي قيل في سبيل القبيلة والإمارة[2]، فكان هذا الشعر من قبيل الشعر السياسي، فقد كانت القبيلة ملاذاً للشاغر ومهربه الوحيد، وكانت الإمارة عرشه الوحيد وجماعته السياسية الأخيرة قبل الإسلام[3]، ثم قيلت النّقائض في سبيل الشاعر نفسه ولغرض هجاء شخصي، فلقد كانت متأثرة بغايتها القبلية و الملكية، ومهما يكن فإن أمر أصول النّقائض في الجاهلية صورة صادقة للعصر الجاهلي من حيث الأصول في الموضوعات والمعاني والأساليب والغايات، فلما جاء الإسلام وجد هذا الفن كامل الأداء، فاعتمد عليه شعراؤه في ظل النهضة الجديدة، وكان معهم هذا الفن الجاهلي من حيث أصوله الفنية، وإن طرأت عليه سمات جديدة بتأثير الحياة الإسلامية.

---

[1]- تاريخ النّقائض، أحمد الشائب، ص 123.

[2]- ينظر: المصدر السابق، ص 123.

[3]- ينظر: تاريخ الشعر السياسي، أحمد الشائب، ص 66.

الفصل الثالث

النقائض في عصر صدر الإسلام

المدخل: الشعر في العصر الاسلامي:

المبحث الأول: أسباب ظهور النقائض ونموّها وتطورها في عصر صدر الإسلام.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من العصبية القبلية.

المبحث الثالث: مو قف القرآن الكريم من فنّ النقائض.

المبحث الرابع: الغزوات الإسلامية وأثرها في النقائض.

المدخل/ الشعر في العصر الاسلامي:

يبدأ هذا العصر بظهور الرَّسول ﷺ حتى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ- 750م، وهو العصر الذي استكملت فيه الدولة الإسلامية الفتوح وتم لها الاستقرار ولكن هذا العصر قسمة بعض المؤرخين إلى قسمين:

الأول: عصر صدر الإسلام وهو الذي يمتد إلى نهاية خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وهو الفترة الزمنية التي تبدأ بظهور الإسلام وتنتهي بانتهاء خلافة علي بن أبي طالب فقد أتم الله نورة وانتشر الإسلام وعمّ أطباق الأرض وقد استلهمه الشعراء في أشعارهم ومضوا على هدى القرآن الكريم، وهذا هو صلب الدراسة.

الثاني: يبدأ بحكم معاوية وينتهي بسقوط الدولة الأموية " وهناك من المؤرخين في الأدب العربي من يقول أن عصر صدر الإسلام يبدأ ببعثة محمد ﷺ ودعوته وهو بمكة قريشاً والعرب والناس كافة إلى الإسلام وهو ما يقارب سنة *610*م، وينتظم ما بعد ذلك مما امتد من عهد الرسول بمكة والمدينة وعهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي وينتهي بإنتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وقيام دولة بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان"[1]، وهو من أعظم العصور في التاريخ الإسلامي أثراً وأكثرها في حياة العرب والمسلمين والعالم والإنسانية ازدهاراً، ففيه بدأت ونمت وازدهرت وانتشرت دعوة الإسلام دين البشرية الخالد، ومنقذها من الجهل والضلال والاستعباد والطغيان والرق الفكري والبشري والنفسي والاجتماعي، وهاديها الأمين إلى الأمن والإسلام والنور والحرية والمساواة، وناهيك به بعد ذلك عصراً ازدهرت فيه اللغة نبغ فيه شأن الأدب وتخلص فيه الشعر من الفكر الجاهلي المتعصب وصار فيه اللسان العربي له الغلبة والفوز والارتقاء[2]، وإذا حُددت تاريخياً فهو يمتد من عام 12ق‌ه إلى عام41ه، 610م إلى661م فتكون مدته ثلاثة وخمسين عاماً هجرياً[3]، فبهذه المدة التي تُعدّ قصيرة جداً في التاريخ، إلاّ أنه أحدث تأثيراً بالغاً في حياة العرب الاجتماعية والعقلية والسياسة والأدبية، فقد أثر الإسلام فيها تأثيراً كبيراً سواء في ألفاظ اللغة أم في أسلوبها أم في معانيها، أم في فنون الآداب المختلفة من شعر ونثر وخطابة، فقد جاء الإسلام بمعانٍ راقية ترقى عن المعاني الجاهلية، وحاول تهذيبها ونشرها بالصورة الحسنة، فجاء شعرهم فيه الحكمة والبلاغة والتصوف والمعنى الشريف وابتعدوا عن العصبة الجاهلية وما تسببه من أحقاد وضغائن بين الناس، والقتل والحروب، فقد صار العرب يخضعون لحاكم واحد وهو رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده، فتجمعت الأهواء المتفرقة وتآلفت القلوب المتنافرة، وتوحدت

---

[1] ــ الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، ص8.

[2] ــ ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ص9.

[3] ــ ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام، ص10.

صفوف المسلمين، فصار الشعر يُقال في المشركين والأعداء بدلاً من أن يقال من بعضهم لبعض.

موقف الإسلام من الشعر:

إن الدارس لشعر عصر صدر الإسلام يجد فيه القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة السامية التي جاء بها الإسلام، ونبذ التعصب الجاهلي والتحيز القبلي، فقد وردت لفظة الشعر والشعراء في مواضع متعددة في القرآن الكريم تنفي في معظمها ما حاول كفار قريش إلصاقه برسول الله ﷺ من اتهامات باطلة، فبعد أن أحسُّوا بروعة القرآن الكريم وعظمته وبيانه، قارنوا تأثيره بتأثير الشعر في

الأسماع والقلوب[1]، فادعوا الشعر على رسول الله ﷺ قال الله تعالي: ﴿**بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ**﴾[2]، فنقضهم القرآن الكريم ورد عليهم ونفى دعواهم هذه فقال الله تعالى: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[3] فالقرآن يرد عليهم دعواهم الباطلة وأن هذا القرآن هو وحي من الله عز وجل، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، فهو يبطل زعم المشركين "ولكن من حيث هو فن من القول يجوز للمسلم أن يقوله ويتعاطاه، ولا يحرم ذلك عليه فلا نستطيع القول بأن الآية التي وردت في صورة الشعراء حرب على الشعر وتحريم له، بقدر ما هي حرب على هذا المسلك والنهج الذي سار عليه الشعراء، فالقرآن يوجه الشعراء إلى الطريق الأمثل، وهو بعد يميز بين فريقين، فريق استعمل هذا الفن فيما ينافي هدي الدين وفريق اتجه نحو نصرة الحق، فالقضية إذاً ليست في الشعر ذاته، وإنما ما يتناوله الشعر من معان وأغراض"[4]، يقول الله عز وجل: ﴿ **وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[5]، يقول ابن رشيق في العمدة: " فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[6]، فهو غلو وسوء تأوّل لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ومسُّوه بالأذى، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه

---

[1] ــ ينظر في النص الإسلامي والأموي، دراسة تحليلية، محمد بن علي د.عبد الرزاق حسين، د.نبيل المحيش، مؤسسة المختار القاهرة، ط2، ص7 .

[2] ــ سورة الأنبياء، الآية: 5 .

[3] ــ سورة يس، الآية: 69- 70 .

4 ــ في النص الإسلامي والأموي، ص87 .

5 ــ سورة الشعراء، الآيات: 224-227 .

6 ــ سورة الشعراء، الآية: 224 .

عليهم فقال: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ يريد شعراء النبي ﷺ الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه"[1]، وما أثر عن الرسول ﷺ من تشجيع حسان بن ثابت للرد على شعراء المشركين، ومن سماعة للشعر والشعراء واستحسانه لما يقولون، دليل على إباحته لهم نظم الشعر، بل أنه كان يثني علي شعراء الإسلام ويقدر دورهم في محاربة المشركين والرد عليهم بالنقائض التي امتدت من العصر الجاهلي، ويخاطبهم الرسول ﷺ قائلاً:" أُهجوا بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل" [2]، ويروي: "أن عمر بن الخطاب ﷺ مرّ بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ثم قال أرغاء كرغاء البكر؟ فقال حسان دعني عنك يا عمر فو الله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك، مما يغيّر عليّ ذلك فقال عمر صدقت"[3]، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري، " مُرْ من قبلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"[4]. وروي عن عائشة قال : قال رسول الله ﷺ " الشّعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها وتسُلُّ به الضغائن من بينها"[5]، فقد جاءت عنه ﷺ أحاديث فيها ثناءٌ على الشعر الجيد وأثره في نفوس العرب فقد قال ﷺ :" إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"[6]، فالأصل في الشعر أن يوافق الحق، وقد كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يتجه الشعر نحو تمثيل مفاهيم إسلامية ونشر المثل العليا التي تبتعد عن ظلال الجاهلية وعصبياتها.

---

1 ــ العمدة، ابن رشيق، ج1، ص 26 .

2 ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، د.ط. ت، ج3، ص 460 .

3 ــ العمدة، ابن رشيق، ج1، ص24 .

4 ــ المصدر السابق، ج1، ص24 .

5 ــ العمدة، ابن رشيق، ج1، ص23 .

6 ــ المصدر السابق، ج1، ص23.

المبحث الأول
أسباب ظهور النقائض
ونموّها وتطورها في عصر صدر الإسلام

أسباب ظهور النقائض ونموّها وتطورها في عصر صدر الإسلام:

لقد كانت النقائض الإسلامية الأولى امتداداً للنقائض الجاهلية، فقد جاء الإسلام بنهضة عامة لكل الناس تناول الدين والسياسة والأدب والاجتماع، وما يتصل بها من طور جاهلي عصبي قبلي عربي إلى صورة إنسانية عامة لا تفرق بين جنس وآخر، ولا بين قبيلة وأخرى، فقد كان الرسول ﷺ يأخذ بيد هذه الأمة العربية الإسلامية، فيزيل عنها أحقادها ويؤلف بين القبائل المتنافرة، لهذه الأسباب كانت الأوضاع الإسلامية مغايرة للجاهلية من عدة أشياء، فالعصبية القبلية زالت وحلّت بدلاً منها الرابطة القومية في ظل الإسلام وانتهت الحمية الجاهلية، وكذلك انتهى الفخر بالأنساب والأحساب وفخر الشعراء بعضهم على بعض، وكذلك أخذت الديانات القديمة تزول أمام الإسلام.

فبهذه الأسباب التي ذكرتها صار الشعر في مجرى الإسلام والدعوة إلى الدين الجديد[1]، فهذه الدعوة الإسلامية الجديدة من شأنها أن تثير عواطف متناقضة بين دعاة الحق والباطل، أو بالأحرى بين الإسلام والجاهلية، فكل عاطفة مختلفة تمثل صراعاً بين عصرين مختلفين من حياة العرب، فأصبح فريق مع الرسول ﷺ والحق، وفريق على ضلال الجاهلية، وهذا أمر طبيعي أن يكون لحضارة ما معارضون، ومؤيدون، فمن الناس من جَمَدَ سلوكهم وتعلق بالماضي الذي دُرب عليه لا يحيد عنه، فهو سائر على ضلال الجاهلية العمياء، وهكذا كان الشأن أول الدعوة الإسلامية، فقد كانت الكثرة على الرسول والقلة معه، ففي البداية أنذر عشيرته الأقربين قبل أي أحد آخر، فدارت معركة بينه وبين قريش أول ما دارت، فثبته الله عز وجل على الحق فكانت هذه الحال إلى أن هاجر من مكة إلى المدينة، ثم أخذت الدعوة الإسلامية صورة عملية منذ ذلك الحين، فقامت بعد ذلك الأيام والغزوات الدينية في سبيل هذه الدعوة المباركة، وكان لابد لهذه الدعوة من شعر يساندها ويقويها، فهب الشعراء المسلمون لمساندة الإسلام ونصرته على الباطل فـ " جاء الإسلام ثورة على عهد جاهلي فغيّر كثيراً من نظمه ومثله، وكان الشعر قبل الإسلام يستمد عواطفه وقيمه من تلك المثل الجاهلية فصار على الشعر أن يستمد معانيه وأغراضه من طبيعة الظرف الجديد"[2]، ومع هذا كله بقي قلة من المشركين ساروا على نمط الجاهلية في الشعر وتحدي الإسلام مع إنهم على باطل وضلال، ومع هذا الضلال والشرك كان لهم المسلمون بالمرصاد فجاء الشعراء لنصرة الرسول ﷺ والإسلام، فقامت النساء تشارك أيضاً الشعراء في هذه النهضة الشعرية مع الرسول ﷺ وكن يحرضن على القتال والانتقام من أعدائهن[3]، فبهذه البداية القوية التي أحدثها الإسلام صاحبت الدعوة الإسلامية نهضة شعرية قوية بين حزبين كبيرين، وكان من ذلك ملاحاة ومهاجاة بين حزبي المسلمين

---

[1] – ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص66.

[2] – شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص66.

[3] – ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص129.

والمشركين ومنها كانت النقائض الإسلامية الأولى، فقد كانت النقائض أيام الرسول ﷺ امتداداً للنقائض الجاهلية من حيث أصولها الفنية وجذورها التاريخية.

وقد كان بعض شعرائها مسلمين والآخر مشركين، فمن أمثلة الشعراء المسلمين الذين وقفوا مع الدعوة الإسلامية ومع الرسول ﷺ منذ البداية حسان بن ثابت رضي الله عنه، ومع المشركين عبد الله ابن الزبعري وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه قبل إسلامهم " ونهض بهذا الفن في عصر البعثة المحمدية شعراء مخضرمون أدركوا العصرين، الجاهلي والإسلامي، سواء في ذلك شعراء من مكة والمدينة أو من اليهود، رجالاً ونساءً"[1]، فقد كانت النقائض في بدايتها نقائض مضطربة غير مستقرة عكس ما كانت عليه في الجاهلية نتيجة التغير في الأوضاع الحياتية والمعيشية والدينية في تلك الفترة، فهذا التغير قد أصاب الشعر وبالأخص المناقضة الشعرية بالتغير من عدة وجوه[2]:

الأول : من ناحية الموضوع، فقد دار موضوع النقائض حول الدين الجديد والأمة الإسلامية وابتعدت عن المواضع الجاهلية نسباً.

الثاني: المعاني، فقد تحولت المعاني الجاهلية إلى معان دينية إسلامية جديدة بعيدة عن السباب والفحش.

الثالث: الأساليب، فقد كانت الأساليب للنقائض الإسلامية الأولى مضطربة غير مستوية بين شعراء المدرستين كما حدث مع حسان رضي الله عنه.

الرابع: الغاية من النقائض الإسلامية أنها قيلت في سبيل الإسلام والأمة والدين وإعلاء كلمة الحق تبارك وتعالى[3]، ومع كل هذه الأحداث والبدايات لابد من دلائل ملموسة لفن النقائض وتطوره في الإسلام، تجد أول مناوشة بدأها حسان

---

[1] – المرجع السابق، ص130.

[2] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، عبد المنعم خفاجي، ص204 ــ205 . وشعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص112.

[3] – ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص131.

بن ثابت ﷺ على ضرار بن الخطاب بن مرداس[1] شاعر قريش وفارسها حيث قال ضرار[2]:

تَـــدَاركتُ سَـــعْداً عُنـــوة فأخذتـــهُ وكَان شفَاءً لـــو تَـــداركتُ منـــذرَا
ولَـــو نلتـــهُ طلَّـــتْ هُنـــاك جِراحُـــه وكَـــان حَريـــاً أن يُهـــان ويُهـــدرَا

وهذان البيتان اقالهما ضرار حين أرادت قريش أن تؤذي أصحاب العقبة الثانية الذين بايعوا الرسول ﷺ اثني عشر نقيباً فأجابه حسان بن ثابت[3]:

لَســتُ إلَــى سَــعدٍ ولا المــرء مُنــذَرٍ إذَا ما مطَايا القَوم أَصبحن ضُـمّرَا
فَـــلا تـــك كَالوســـنان يَحلـــم أنَّـــه بقرية كِســـرَى أو بقَريـــة قيصَـــرا
ولا تَـــك كـــالثكلَى وكَانَـــت بمعـــزَلٍ عَن الثُّكل لَو كَـــان الفُـــؤادُ تَفكَّـــرَا
وَلا تَـــك كَالشَـــاةِ التـــي كَـــانَ حَتفُهـــا بِحَفرِ ذِراعيها فَلم تَـــرْضَ محفَـــرا
فَانّـــا وَمـــنْ يَهـــدِي القصـــائدِ نحْونـــا كَمُستبضعٍ تَمراً إلى اَرض خَيبـــرا

ربما يكون هذه الأبيات أولى أبيات قالها حسان في الإسلام بعد إسلامه، وفي قصيدة أخرى يفخر بقومه ويعدد بعض أسماء القتلى، ثم يذكر خطاب الرسول ﷺ لأهل القليب[4]:

يُنَـــادِيهِم رَسُـــولُ اللهِ لمَّـــا قَـــذفنَاهُمْ كَباكِـــبَ فِـــي القَليـــبِ
أَلَـــم تجِـــدُوا كَلامِـــي كَـــان حَقًّـــا وأَمـــرُ اللهِ يأخُـــذُ بِـــالقُلوبِ
فَمـــا نَطَقُـــوا ولَـــو نَطَقـــوا لقَـــالُوا صَـــدَقْتَ وكُنـــتَ ذَا رأيٍ مُصـــيبِ

" وفي أُحد أصيب حمزة عم الرسول ﷺ فبكى حسان بكاءً صادقاً"[5] فقال[6]:

أَتَعـــرِفُ الـــدَارَ عَفـــا رَسُـــمهَا بَعْـــدَك صَـــوب المســـبَلِ الهاطِـــلِ

---

[1] – هو: ضرار بن الخطاب (...– 13 هـ =...– 634 م) بن مرداس القرشـي الفهـري: فـارس شاعر، صحابي، من القادة، من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أحد والخنـدق أشـد قتال، وأسلم يوم فتح مكة، ولم يكن في قريش أشعر منه. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3، ص215.

[2] – ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام تح محمد شحاته إبراهيم، دار المنار، م1، ج2، ص277.

[3] – ديوان، حسان بن ثابت، شرح البرقوني، ص248. والسيرة النبوية، لابن هشام، ج2 ص278.

[4] – ديوان، حسان بن ثابت، شرح البرقوني، ص73.

[5] – المصدر السابق، ص385.

[6] – المصدر السابق، ص386.

إلى أن يقول:

دَعْ عَنـــــك دَاراً عَفَـــــا رسْـــــمُهَا وابـــكِ عَلَـــى حَمـــزةَ ذِي النَّائـــلِ

ويقول:

ابـــيَضَ فِـــي الـــذروةِ مِـــن هَاشِـــم لَـــمْ يَمْـــرِ دُون الحـــق بِالباطِـــلِ
مَـــنَ لشَـــهيد بَـــينَ أرحـــامكُم شَـــلّتْ يـــدا وحْشِـــيٍّ مِـــنْ قَاتِـــلِ
إنَّ اِمـــراً غُـــودرَ فـــي ألَّـــةٍ مطـــروةٍ مارِنـــةِ العَامِـــلِ
أَظلمَـــــتِ الأرضُ لفقْدانـــــهِ وَاسْـــودَّ نُـــورُ القَمـــرِ النّاصِـــلِ

هكذا هي بطولات الشعراء الأقوياء الأفـذاذ الأشـداء الحريصـين علـى إسلامهم ودينهم وعقيدتهم، ولحسان في كل مناسبة إسلامية قصيدة يبقى لها الأثـر عند المسلمين فقال قصيدة الفتح – في فتح مكة – وهي التي يقول فيها[1]:

عَفَـــتْ ذاتُ الأصَـــابعِ فَـــالجَواءُ إلـــى عَـــذراء مَنزِلُهـــا خَلَـــاءُ

فهذا المطلع مطلع جاهلي يذكّره بأيامه الأولى عند الغساسنة بالشام وما كان له من لهو وشرب، وهذا الجزء لم يرقَ بحسان ولكن الذي رقـي بحسـان الجـزء الإسلامي الذي يقول فيه[2]:

عَـــدِمْنا خيلَنَـــا إن لَـــم تَرَوْهَـــا تُثيـــرُ النقـــعَ مَوعـــدُها كِـــدَاءُ
يُبـــارِعنَ الأعِنـــةَ مُصـــعِداتٍ عَلَـــى أكتَافهـــا الأسَـــلُ الظِّمـــاءُ
تظَـــلُّ جِيادُنـــا مُتمطِّـــراتٍ تُلَطمُهُـــنَّ بِـــالخُمر النِسَـــاءُ

فهو يعبّر عما يدور في صدور المسلمين من الحـق والإيمـان ويخاطـب المشركين بلغة الدين، و" لقد جاهد حسان بلسانه، طوال عشرة الأعوام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ، وكان له في كل موقف من مواقف مـع المسـلمين قصـيدة أو قصائد، لذلك يعد شعره مصدراً من مصادر التاريخ الإسلامي لتلك السنوات، فقد جاهد حسان بلسانه في يوم بدر ويوم أُحد، ورثي حمزة عم النبي ورثي خبيب بن عدي وأصحابه حين غدرت بهم هُذيل وهجاها هجاءً مُرّاً"[3]، فحسان أصبح شـعره

---

[1] – المصدر السابق، ص57. والسيرة النبوية، لابن كثير، م2 ، ج4 ، ص226.

[2] – ديوان حسان بن ثابت، شرح البرقوني، ص60. والسيرة النبوية م2، ج4، ص226.

[3] – شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص70.

منارة للإسلام والمسلمين ووقف معهم بلسانه ضد المشركين فأصبح يجيب المشركين في الغزواة والمعارك[1].

فهذه الأشياء بدأت تتير للشعراء المسلمين أن يحذوا حذو حسان في شعره، وأن يقفوا مع الحق والإسلام[2] والرسول ﷺ، فلذلك جاءت النقائض الإسلامية في سبيل الأيام والغزوات كبدر وأُحد والخندق والفتح وخيبر وغيرها من الغزوات، وذلك أمر طبيعي إذا كانت الحروب تهيج الشعر والشعراء، وتبعث في نفوسهم موقف التحدي وروح الرد والمناقضة، إذ كانت هناك حروب كلامية بجانب الحروب الدموية في ساحة القتال، لذلك كانت سيرة الرسول ﷺ ومغازيه من أهم مصادر النقائض الإسلامية الأولى[3]، التي كانت من الناحية الفنية امتداداً للنقائض الجاهلية، وأنها دارت وازدهرت وأكثر ما ازدهرت في الغزوات الإسلامية، وقد نهض بها شعراء مكة من جانب وشعراء المدينة من جانب آخر[4]، وربما حمِيت النقائض منذ غزوة بدر الكبرى وفترات من عام الوفود[5] فلما توفي الرسول ﷺ وكان العرب امةً واحدةً في البداية، وان لم تمحُ العصبية القبلية وحروب الردة حتى استقرت الأمور واتجه العرب إلى الفتوح الإسلامية، وشُغلوا بغيرهم من الشعوب عندما حارب عمر وعثمان رضي الله عنهما الهجاء وصرف الشعراء عنه، وفوق هذه الأنماط والأفكار والعصبيات لا وجود لخلاف مذهبي أو سياسي

---

[1] – ينظر: في النص الإسلامي والأموي، ص 11.

[2] – ينظر: شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص64، 65.

[3] – ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص134.

[4] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، عبد المنعم خفاجي، ص211.

[5] – عام الوفود سنة 9 هـ، جاءت الوفود تأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتعلن إسلامها إمامه لهذا سمي بهذا الاسم، ويزيد عددها على سبعين وفداً . ينظر: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، تأليف: الشيخ صفي الرحمن المبار كفوري، الجامعة السلفية الهند، دار الرحمة للنشر والتوزيع، 1411هـ – 1991م، ص226.

تحيا في سبيله النقائض إلا الحروب مع المشركين، فقد كانت هي الطريق الوحيد لظهور هذا الفن[1].

فقد كان للشعراء المسلمين الدور الأكبر في بروز هذا الفن واستخدامهم له للمحاربة ضد المشركين فهذا حسان بن ثابت قد بدأ ودافع عن الرسول ﷺ وعن الإسلام والمسلمين، ووقف يناقض المشركين ويهاجمهم ويدعو للوحدة الإسلامية الجديدة، فكذلك فعل كعب بن مالك الأنصاري، فقد كان مؤمناً قوي الإيمان فكانت صلته بالرسول ﷺ قوية "يسمع منه الحديث فيحفظه، فيحدّث به"[2]، وقد شارك في أغلب الحروب الإسلامية إلا غزوة تبوك، وقد ناضل كعب بن مالك بسيفه ولسانه مع من ناضل من شعراء المسلمين بروح إسلامية ظاهرة التأثر بالدين الحنيف، ففي غزوة بدر يجيب على قصيدة ضرار بن خطاب الفهري فيقول كعب بن مالك[3]:

عَجِبتُ لأَمر الله وَالله قَادرٌ ... عَلى مَا أَراد لَيسَ لله قَاهرُ
قَضَي يَومَ بَدر أنْ نُلاقي مَعشَراً ... بغوا وسَليلُ البَغْي بالنّاسِ جَائرُ[4]

ويقول :

وفينا رسُولُ الله وَالأوسُ حَولَهُ ... له مَعقلٌ مِنهم عَزيزٌ وَناصرُ
وَجَمْعُ بني النَجّارَ تحْت لِوائهِ ... يَمشُونَ في المَاذِيِّ والنقعُ ثائرُ5

يتضح من هذه القصيدة أن كعباً فاهمٌ ومتأثر بالقرآن الكريم ومعانيه، وكذلك سائر شعراء الإسلام في ذلك الوقت، فأخذت الشاعرية القرشية تستيقظ وتقوى بعدما كانت حبيسة الجاهلية، وذلك لمناهضة ومسايرة الدين الجديد الدين الإسلامي ولأنصاره، وحرصاً على ما كان لقريش من نفوذ بين العرب في الجاهلية، ديني،

---

[1] – ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص139. وتاريخ آداب العرب، الرافعي، ص 76.

[2] – شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص82.

[3] – ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، من 2 ، ج3، ص73. و شعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص74.

[4] – جائر : ظالم .

[5] –النقع : الحصى المتطاير من حوافر الخيل أثناء السرعة .

اجتماعي، اقتصادي، ثم تجد القبائل الأخرى غير قريش والأنصار، تذهب شيئاً فشيئاً إلى أحد الجانبين، إما مع الرسول ﷺ وإما ضده، فأخذ الشعراء بين الفريقين المُوالي للرسول والمعادي له وبانت النقائض الإسلامية أولاً بأول[1]، ومع هؤلاء الرجال ظهرت النساء في المواقف الإسلامية وبدأْنَ يَقُلْنَ الشعر مع الرجال، وكان شعرهن حميةً ثائرةً وتحريضاً على القتال وتحميس الجيش، وبكاءً على القتلى من ذويهن، وإستشفاءً من أعدائهن، وفي الجانب المقابل شعراء اليهود والمشركين، فقد وقفوا يدافعون عن كيانهم اليهودي أمام الدولة الإسلامية[2]، فلكل من الرجال والنساء تأثير في النقائض الإسلامية لأنهم حاربوا أعداء الإسلام بالشعر فهذه قصيدة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يذكر جلاء بن النظير وقتل كعب بن الأشراف، يقول فيها الإمام علي كرم الله وجهه[3] :

عَرفتُ ومَنْ يعتَدل يَعرفْ ... وَأيقَنْت حَقاً ولَم أَصْدفِ
عَن الكَلمِ والمحكم اللّاءِ مِن ... لَدى الله ذِي الرَّأفة الأَرأَفِ
رَسائلُ تُدرَس في المُؤمِنين ... بِهن اصْطفى أحْمد المصْطَفَى
فأصْبحَ أحْمدُ فِينَا عَزِيزاً ... عَزِيزَ المُقامَةِ والموقفِ
فَيأيهَا الموعُدُوهُ سِفاهَاً ... ولَمْ يأتِ جَوْرَاً ولم يعنُفِ
أَلَستم تخافُونَ أدنَى العَذَابِ ... وَمَا آمِنُ الله كالأخْوفِ
وإن تُصْرعوا تحْتَ أسْيافهِ ... كمَصرَع كَعبٍ أبي الأشْرفِ
غَدَاة رأى الله طُغْيانَهُ ... وأعْرض كَالجمل الأجْنفِ
فَأنزلَ جِبرِيلَ في قَتله ... بِوَحيٍ إلى عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَّسَ الرسُولُ رَسُولاً لَه ... بِأبيضَ ذي هبَةٍ مُرْهَفِ

---

[1] – ينظر: تاريخ الشعر السياسي، لأحمد الشائب، ص 84.

[2] – ينظر: المرجع السابق، ص 85. وفي الشعر الإسلامي الأموي، عبد القادر القط، ص359.

[3] – السيرة النبوية، ابن هشام، م2 ج3 ص78.

فرد عليه سماك اليهودي[1] فيقول[2] :

إن تفخَـــرُوا فهـــو فَخْـــرٌ لَكُـــم بمقْتَـــل كَعـــبٍ أبِـــى الأشْـــرفِ
غـــداةَ غَـــدوتُم علَـــى حَتفـــهِ ولـــم يـــأتِ غَـــدْراً ولَـــم يُخْلَـــفِ
فِعـــلَّ اللّيـــالِي وَصـــرَفَ الـــدُّهورِ يُـــدِيلُ مِـــن العَـــادَل المُنْصِـــفِ
بقَتْـــل النّضـــيرِ وَأحْلافِهـــا وَعَقـــر النخِيـــل ولَـــم تُقْطَـــفِ[3]
فَـــإن لا أَمُـــتْ نَـــأتكُم بالقنـــا وكُـــلِّ حُســـامٍ معًـــا مُرهَـــفِ[4]
بكَـــفٍّ كَمِّـــي بـــه يحتَمِـــى متَـــى يَلْـــقَ قِرْنـــاً لـــه يُتْلِـــفِ
مَـــع القَـــوم صـــخْرٌ وأشْـــياعُه إذَا عـــاوَدَ القَـــومَ لـــم يَضْـــعُفِ
كلَيـــثٍ بِتَـــرْجٍ حَمـــى غِلَيـــهُ أخِـــي غَابـــةٍ هَاصـــرٍ أجْـــوفِ[5]

وهناك قصيدة أخرى لكعب بن مالك في إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشراف، وسمّاك اليهودي يرد عليه أيضاً[6]، فهذه الروح الإسلامية ظاهرة في شعر الشعراء المسلمين في موضوعاتهم وأساليبهم ومعانيهم وغاياتهم، فجاءت مرتبطة بالنهضة الإسلامية وأحدثت تغييراً واضحاً في أسلوب الشعراء، أو كيفية تناولهم أو معالجتهم للقضايا التي أمامهم أو التعامل معها، فهذا عبد الله بن الزِّبَعرى[7] يبكي قتلى غزوة الخندق في أبيات قال فيها[8] :

---

[1] – هو: سماك: جد جاهلي، من بني لخم، من القحطانية، كانت منازل بنيه (بعد الاسلام) في البر الشرقي من صعيد مصر، قال القلقشندي: وهم بنو مر، وبنو مليح، وبنو نبهان، وبنو عبس، وبنو كريم، وبنو بكر. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج3 ص 138.

[2] – السيرة النبوية، ابن هشام، م2 ج3 ص78.

[3] – النظير : قبيلة بني النظير.

[4] – حسام : السيف .

[5] – أجوف : خالي .

[6] – ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، م2، ج3، ص79.

[7] – هو: ابن الزبعرى (نحو 15 هـ = نحو 636 م) عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه " حسان " أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم فأمر له بحلة، ينظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص 87.

[8] – السيرة النبوية، ابن هشام، م2 ، ج3، ص112.

حَي الدِيارَ محَــا معَــارِفَ رسْــمِهَا طُــولُ البِلِــى وَتــراوُحُ الأحْقــابِ[1]
فَكأنمَّــا كتبَــت الهُــودُ رسُــومَها إلّــا الكنيــفَ ومعقَــد الأطْنَــابِ
قَفْــراً كأنَّــك لــمَ تكُــن تلَهُــو بِهــا فــي نِعمَــة بــأوَانسٍ أتــرَابِ

هذه المقدمة جاهلية بدأها بذكر الديار والأطلال والحنين إلى الماضي، إلى أن قال في غزوة الخندق ووصف الحرب[2]:

حَتّــى إذَا وَردَا المدِينَــةَ وارتَــدوا للمَــوتِ كُــل مُجِّــرب قضَّــابِ
شَــهراً وعَشْــراً قــاهرينَ محَمَــداً وَصحابه في الحَرب خَيــرُ صِــحابِ
نــادُوا بــرحلَتهم صَــبيحة قُلْــتُمُ كِــدْنَا نكــون بهَــا مــعَ الخُيَّــابِ
لَولا الخَنَادقُ غَــادَروا مِــن جَمعِهِــم قَتلَــى لطَيــرٍ سُــغّبٍ وذِئــابِ

يصفهم بالردة في الحرب والخوف من الموت، ويقول شــهراً وعشــرة أيــام قاصدين محمد وصحابه، وأصحابه في الحرب خير صحاب، ويقول لولا الخنادق التي حفروها لبقوا للطير والذئاب طعاماً، فأجابه حسان بن ثابت فقال[3]:

هَــل رســم دِراســةِ المقَــام بيــابِ مُــتكَلِّمٍ لمحَــاورٍ بجَــوابِ
قُفــرٌ عَفــارِهُم الســحَابِ رسُــومَه وهُبــوبُ كُــلِّ مُطلَّــةٍ مِرْبَــابِ
ولقد رَأيــتُ بهــا الحُلــول يُــزينهُم بِــيضُ الوجُــوه ثَواقــبُ الاحْســابِ
فَــدَع الــدّيارَ وذِكْــر كُــل خَريــدةٍ بيضَــاء آنســةِ الحَــديثِ كِعــابِ
واشْكُ الهُموم إلى الإلــهِ وَمــا تَــرى مِن مَعشرٍ ظَلموا الرَّسُــولَ غِضــابِ

هذه المقدمة مثل المقدمة السابقة طللية جاهلية إن صحَّ التعبير، فحسان مجبــر بالرد عليه بنفس المعاني السابقة له، إلى أن قال حسان بن ثابــت فــي وصــف المعركة والحرب[4]:

جَــيش عُيينــةِ وابــنُ حَــرْبٍ فِــيهمُ مُتَخمِّطُــون بِحلبــةِ الأحــزَابِ
حَتــى إذَا ورَدوا المَدينَــة وارتجــوا قتْلــى الرسّــولِ وَمغــنَم الأسْــلابِ

---

[1] – الأحقاب : الأزمان.

[2] – السيرة النبوية، ابن هشام، م2، ج3، ص112.

[3] – المصدر السابق، م2، ج3، ص113.

[4] – السيرة النبوية، ابن هشام، م2، ج3، ص113.

وَغــــدُوا عَلينَـــا قَـــادرينَ بأيْـــدِهِم رُدُّوا بغَـــيظهِم عَلـــى الأعقـــابِ
بهُبُـــوبِ مُعْصِـــفَةٍ تفُـــزِّق جَمْعَهـــم وَجُنـــودِ ربِّـــكَ سَـــيدِ الأربـــابِ
فَكَفَـــى الإلَـــه المـــؤمنيَن قِتَـــالُهُم وأثابَهُم فـــي الأجْـــر خَيـــرَ ثـــوابِ
من بعْد مـــا قَنطـــوا ففـــرَّق جَمعهُـــم تَنزيـــلُ نَصْـــرِ مَليكُنـــا الوَهّـــابِ
وأقـــرَّ عَـــينِ محُمَـــدٍ وَصِـــحَابُه وأذل كُـــلَّ مُكـــذّبٍ مُرتـــابِ
عَـــاتي الفُـــؤادِ مَوقّـــعٍ ذي رِيبـــةٍ في الكُفـــرِ لـــيس بطَـــاهرِ الأثْـــوابِ
عَلِـــقَ الشّـــقاءُ بقلبِـــهِ ففُـــؤادُهُ فـــي الكُفـــرِ آخِـــرُ هَـــذه الأحْقـــابِ

جاء رد حسان بن ثابت ﷺ مواكباً للـروح الإسـلامية وللـدعوة والفخـر بالأمجاد الإسلامية وحب الانتصار للمسلمين و الإسلام على الأعداء، فحسان بـن ثابت يستخدم بعض معاني القرآن الكريم في شعره مثلاً حين يقول – فكفى الإلـه المؤمنين قتالهم– هذا المعنى مستنبط من القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَكَفَـى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾[1]، ولكن في ظل هذه البداية والنشؤ لهذا الفـن فـي طـور عصر صدر الإسلام يمكن القول إن النقائض الإسلامية والجاهلية تتشابه في أنهما "قويا وشاعا في ظل الحروب والأيام"[2]، فالنقائض الجاهلية كثُرت حـول الأيـام والحروب والصراعات الداخلية، فنشأ الصراع الشعري مواكبـاً لهـذه الحـروب والصراعات بين الشعراء، وكذلك النقائض الإسلامية نشأت فـي سـبيل الأيـام والحروب والغزوات الإسلامية " وذلك طبيعي لأنّ الحروب تهيج الشعر وتبعـث في نفوس الشعراء مواقف التحدي والمناقضة، إذ كانت هذه حرباً كلامية بجانـب الحروب الدموية، لذلك كانت سيرة الرسول ﷺ ومغازيه من أهم مصادر النقائض الإسلامية" [3].

وأما مايخصّ الفنون التي كانت قوام النقائض الإسلامية فهي نفس الفنـون الجاهلية من مدح وذم وهجاء وفخر ورثاء ووصف ووعيد، فكل هذه العناصر قد

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية: 25.

[2] – تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص133.

[3] – تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص133، 134.

تأثرت في عصر صدر الإسلام الأول بالنهضة الإسلامية للشعراء المسلمين في موضوعاتهم ومعانيهم وأساليبهم، كما سيأتي لاحقاً، ولذلك كانت النقائض الإسلامية عصر البعثة قد شغلت شعراء مكة والمدينة، كما شغلت في الجاهلية الأوس والخزرج وشعرائهم قبل الإسلام[1]، ولا شك بعد ذلك أخذت تتطور وتزدهر في ظل أيام الإسلام الأولى من الأيام والحروب والغزوات، وما يَجدُّ بين المسلمين من جهة والمشركين من جهة أخرى، حيث نشأت عنها حرب كلامية شعرية بين المسلمين والمشركين كان أثرها ونتاجها النقائض الإسلامية الأولى.

[1] – ينظر: تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص134، 135، وينظر: في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، ص45.

المبحث الثاني
موقف الإسلام من العصبية القبلية

العصبية ووجودها في النقائض:

انتشرت في العصر الجاهلي وبداية صدر الإسلام ظاهرتان خطيرتان على الأمة والفرد ألا وهما التفاخر بالأنساب والأصل، والعصبية الجاهلية والحرص على الدعوة للقبيلة والجنس والإقليم والدم، وقبل الغوص في العصبية وما يدور حولها لابد من فهم بعض المصطلحات:

أولا/ مفهوم العصبية في اللغة:

هي مشتقة من العصب وهو الطَّيّ والشَّد، وعصب الشيء يعصبه عصباً: طواه ولواه، وقيل شَدَّهُ، والتعصب : المحاماة والمدافعة، والعُصبة الأقارب من

جهة الأب[1]، وعصيبٌ : شديدٌ، ومنه قولة تعالى: ﴿ **هَـــذَا يَـوْمٌ عَصِـيبٌ** ﴾[2] والعصبة الجماعة قال تعالى: ﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[3].

ثانيا/ العصبية في الإصطلاح:

هي رابطة التلاحم بالعصب والالتصاق بالدم والتكاثر بالنسل ووفرة العدد والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول.

ثالثا/ مفهوم القبلية:

هي نسبة إلى قبيلة وينسب إليها فيقال قَبلي[4]، وهي عبارة عن مجموعة من الأسر المترابطة النسب التي تسكن رقعة واحدة.

أنواع العصبيات:

للعصبية أنواع متعددة بحسب الغرض الذي نشأت لأجله، والسبب الذي اعتمدت عليه، ولكن من الصعوبة حصر أنواعها مثل عصبية الجنس، اللون، اللغة، المذهب، الوطن، الفِرَق، وعصبية النسب، التي هي مدار المبحث، وللعصبية القبلية الجاهلية مظاهرها الخاصة بها، منها الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاعتزاز بالنسب فلا يرى نسباً إلا لقبيلته، ثم الطبقية، فقد كان أهل الجاهلية يعاملون الناس حسب منازلهم ودرجاتهم ثم عصبية الأخذ بالثأر، فوحدة الدم والمصلحة المشتركة تحافظ على كيان هذه الجماعة وصون بقائها، وتوفر أسباب العيش لها، وهذه المصلحة لا تكون إلا بالوحدة الاجتماعية التي تمثل العصبية القبلية، والعصبية موصّلَةٌ إلي المُلك، وحصة كل دولة من الملك بمقدار قوتها العصبية التي لها[5].

---

[1]– ينظر: لسان العرب، ج4، ص964، مادة (ع ص ب). والقاموس المحيط، للفيروزابادي، ص148.

[2] – سورة هود الآية 77.

[3] – سورة يوسف الآية 8.

[4] – لسان العرب مادة: (قَ لَ بَ)، ج4، ص 964 .

5 – ينظر: موسوعة الفلسفة، أبو العلاء المعري مبصر بن عميان، أ. خليل شرف الدين منشورات مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط2، 1993م، ص 162.

فالعصبية القبلية لها آثار قوية بعيدة المدى في الأحقاب السابقة، وأياً كانت تلك الحقبة من تاريخها، فإن هذه الآثار لم تكن وقفاً على الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية[1]، فقد كان لها الأثر الأكبر في التنازع بين القبائل سواء في العصر الجاهلي أو العصر الإسلامي، فالعصبية القبلية والنسب حينما يصطدمان بالعاطفة الزوجية تجد الغلبة تكون للعصبية في معظم الأحيان، مما يؤدى إلي تطليق الرجل زوجته كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنة بامرأته (عمرة الأوسية) حين فخرتْ عليه بقومها وبنسبها، فقد احتكم هذا العامل الاجتماعي في شتى مناحي الحياة آنذاك، فقد كان لـ–النسب– يد في إثارة كثير من الفتن، وفي اضطراب الأحوال السياسية وفي اختلاف بناء المجتمع العربي، وتقطيع الصلات التي كانت تربط بين أبناء البلد الواحد، وانعكاسها على عقول الشعراء آنذاك، وترسخت في عقولهم العصبية للأنساب والأقوام الذين يتبعون لهم، واستجابتهم للنزعة القبلية ومن أمثلة ذالك، موقف لقيط بن يعمر الإيادي[2] من قومه حين أراد كسرى غزوهم كان لقيط كاتباً في ديوان كسرى، فأمره أن يكتب إلى قومه يدعوهم إلى الاجتماع في موضع معين ليتاح لهم الإغارة عليهم، فما كان من لقيط إلاّ أن يرسل إلى قومه قصيدته المشهورة يحذرهم فيها من الخطر الذي يتهددهم، فلما بلغتهم القصيدة نجوا بأنفسهم، وقد جرّت عليه فعلته هذه غضب كسرى فقتله بسببها، ومن قصيدته قولة[3]:

سَلاَم فِي الصَحيفة مِن لقيطٍ إِلى مَن بِالجزيرة مِن إيادِ
بِأن اللّيثَ كسْرى قَدْ أَتَاكُم فَلا يشغَلكم سوق النِقّادِ[4]

---

[1] – ينظر: أمالي المترضي، للشريف المرتضي على بن الحسين الموسوي تح: مجمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م، ج1 ، 189 . 192.

[2] – هو: لقيط بن يعمر بن خارجة الايادي شاعر جاهلي،(000 – نحو 250 هـ = 000 – نحو 380 م)، كان يحسن الفارسية. ينظر: معجم الشعراء في معجم البلدان، كامل الجبورى، مكتبة لبنان ط 1، 2002م، ص 623 .

[3] – ديوان لقيط بن يعمر الإيادى، شرح : د محمد النويجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ص 73

[4]– النقاد : بكسر النون وهو الغنم.

أَتـــاكُم مـــنهُمْ سُـــتُون ألفَـــاً يزجُـــون الكَتائِـــبَ كَـــالجرادِ

فقد كان موقف الشعراء الجاهليين من هذه العصبية موقـف المـتحمس لهـا والمناضل في سبيلها، إذ هم لسان قبيلتهم الناطق فـي هجـاء شـعراء القبائـل الأخرى[1]، فهذا دريد ابن الصمة يقول[2]:

وَهَل أنـا إلا مَـنْ غَزيـةَ إنْ غَـوت غَويتُ وَإن تُرشـد غَزيَـة أرْشـدِ[3]

فالتعصب في العصر الجاهلي أصبح شيئاً ضرورياً وحتميـاً ولا يسـتغني عنه الشاعر مطلقاً، بكل ما لديه من طاقة وجهد، فيما يعود الخير والنفـع علـى قبيلته وعشيرته وسرعان ما كانت حلقات المفاخرة تنعقد بين شعراء القبائل، وكلٌ يشيد بمآثر قومه، ويعدد مكارمهم، وينتقض من القبائـل الأخـرى فكانـت تقـام للشعراء والخطباء منابر بسوق عكاظ، يتناشدون فيها أشعارهم، ويتفاخرون فيمـا بينهم وكان لهؤلاء الشعراء أثر المَلِك من قبيلتهم ويتناقضون فيما بينهم[4]، فقد رُوى أن لبيد بن ربيعة كان يحامى عن قومه فقال لبيد[5] :

وَكثِيـــرة غُربَاؤهـــا مجَهولـــةٌ تُرجـــي نوافلهـــا تُخْشَـــى ذَامهَـــا
عُلـــب تَشـــذر بالـــدَّخول كأنَهـــا حَـــنٌ البَـــدي رَواســـيا أقْـــدَمهَا[6]
أنَكَـــرتُ باطِلُهـــا وَبـــؤت بحَقهـــا عِندِي وَلَـــم يفخَـــر عَلَـــيّ كرامُهَـــا[7]

وموقف الشاعر الجاهلي من الأحداث المتصلة بقبيلته هو في الغالب موقف العصبي الغالي في عصبيته فهو يؤثر العدوان على المسالمة والحرب على الهدنة

---

[1] – ينظر: العصبية والقبلية وأثرها في الشعر الأموي ولا حسان النص، دار اليقظـة العربيـة، ص 57، 59 .

[2] – ديوان دريد بن الصمة الجيشمي، د. شاكر الفحام، محمد خير النعاعي، دار قتيبـه، 1981م، ص 47.

[3] – غزية : رهط الشاعر وأحد أجداده.

[4] – ينظر: آمالي، المرتضى، ج 1، ص 189 .

[5] – ديوان لبيد بن ربيعة، ص 7.

[6] – تشذر : توعد.

[7] – بؤت : انصرفت .

والثأر على الدية، والإفتخار بالنسب والأهل والتغني به على عدم الكلام به والإنصراف إلي غيره بعكس الشاعر الإسلامي، فالأيام والأنساب يعتبران من مقومات النقائض وعناصرها وأراد العرب الاعتزاز بالأنساب والافتخار بها في الجاهلية والإسلام وإحياء للعصبيات[1].

فالعصبية والأنساب في الإسلام أمام تحدٍ جديد وواضح وخصم قوى شديد المراس، فهذه العقيدة الجديدة التي تدعوا العرب كافة إلى التآخي والتآزر ونبذ أسباب العداوة بينهم التي أدت إلى صراع عنيف بين المؤثر الديني والعصبي القبلي الذي كان من بقايا الجاهلية، فلم يكن من اليسير أن يقتلع الدين الجديد التعصب والأنساب والإنتماء إليها والافتخار بها في نفوس العرب بين عشية وضحاها، نظراً لوجود جذور العصبية التي كانت راسخة منذ القرون الأولى، لذلك ظل هذا الصراع متواصلاً طوال العصر الإسلامي، لذلك جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحث على الروابط الأخوية التي تقوم بين المسلم وأخيه، ودعت إلى نبذ الحمية الجاهلية والتخلي عن الروح القبلية فيقول الله تعالي: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾[2]، وأثر عن الرسول ﷺ ،طائفة من الأحاديث في ذم العصبية، والتغير من دعوى الجاهلية ومنها قوله ﷺ " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة الجاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضبُ لعصبيةٍ، أو يدعوا إلى عصبية، أو ينصر عصبة فقتل قتلة الجاهلية" [3]، وجاء في خطبته يوم فتح مكة قوله ﷺ : "أما بعد يأيها الناس فإن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها، يأيها الناس، الناس رجلان، مؤمن تقي

---

[1] – تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص 55.

[2] – سورة الفتح الآية: 26 .

[3] – صحيح مسلم بشرح النووى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1983م، ج 21 ، ص 238 كتاب الإمارة.

كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله" [1]، والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن، فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية" [2].

وقد حرص الرسول ﷺ في بعض كتبه وعهوده التي وجهها إلى القبائل على التحذير من الدعوة القبلية، وألحَّ على تغليب داعي الدين على العصبية، ومن المبادئ الأصلية في الدعوة الإسلامية عدم المفاضلة بين الناس على أساس الأنساب أو الأجناس إنما تكون بالتقوى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[3] فالمفارقة تكون بالتقوى بالله فقط، وقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى في خطبته بمنىً[4] في قوله:" يأيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم" [5]، وفي سبيل إلغاء دواعي الخصومة والعداوة بين قبائل العرب والأحقاد القبيلة، حرص الرسول الكريم ﷺ، منذ قيام الدولة الإسلامية على إبطال دماء الجاهلية، وقد ألحَّ في هذا الأمر في خطبته التي قالها يوم فتح مكة وخطبة حجه الوداع، فقد ألغى الإسلام حق الثأر الفردي، واتجاه الإسلام نحو العقوبة كانت خطوة هامة للحد من المنازعات القبلية، فقد أبطل الإسلام مبدأ التكايل بالدم[6]، الذي كان عليه الجاهليون فجعل الدية واحدة في جميع الأحوال، ولا فرق بين شريف ووضيع في هذا الأمر، وقد أكد الإسلام مبدأ القصاص حين يكون القتل عمداً إلا إذا رضي أولياء المقتول بالدية، وهناك عصبية الشعراء التي تجلَّت إبَّان الأحداث التي

---

[1] – فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المنار ط 1، 1999م، ج 6 ، ص 577 .

[2] – المصدر السابق، ج 6، ص 576 .

[3] سورة الحجرات، الآية: 13.

[4] منى: بالكسر والتنوين ،تقع في درج الوادي الذي ينزل الحاج ويرمى فيه الجمار من الحرم. معجم البلدان، ج 5 ، ص 229.

5 – فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج6 ، ص 578.

[6] – التعارض بالدم أو الأخذ بالثأر.

تمخّض عنها عصر صدر الإسلام، فنهض الشعراء، فقد كانوا يصورون في شعرهم مواقف قبيلتهم من هذه الأحداث، وربما حاول بعضهم إثارة النزعة القبلية، أو حدَّث قومه على اتخاذ موقف ما من بعض الأحداث، وقد ارتفعت أصوات حكمية عاقلة تدعوا إلى إصلاح ذات البين بين قريش والأنصار، وتحُثُّهُما على أن يجتمعا معاً للدفاع عن الدين الإسلامي والتصدي لأعدائه فهذا خزيمه[1] بن ثابت الأنصاري يقول[2] :

أَيال قُريشَ أصْلحُوا ذَاتَ بينَنَا وبينكُم قَد طَالَ حبل التماحكِ
فَلا خَير فِيكُم بعْدنا فَارقُوا بنا وَلا خَيَر بعْد فِهر بن مالكِ
كِلانا عَلى الأعْداء كَفٌّ طَويلة إذا كَان يَوم فيهِ حُب الحَواركِ[3]

فقد ظل فن النقائض الذي شهد العصر الجاهلي نشأته، ظل قائماً في العصر الإسلامي، إلا أنه لم يحتفظ بطابعه الجاهلي القديم، فلم يعُد وقفاً على الأغراض القبلية فقط، وإنما خضع للمؤثرات الجديدة في هذا العصر – صدر الإسلام – وفي مقدمتها الدين والسياسة، فامتزجت فيه الروح القبلية بالروح الإسلامية، والأفكار الدينية الجديدة بالأفكار السياسية، ويُلاحظ ظاهرة الطابع الجاهلي في الشعر المقُول في أعقاب الغزوات، واضحاً وجلياً في شعر المشركين، سواءً كان هجاءً، أو فخراً أو رثاءً، وبالعكس عند شعراء المسلمين الذين طرأ على شعرهم نوع من التجديد، وهو الغالب في شعرهم[4]، فقد نظر شعراء قريش إلى الغزوات نظرة قبلية، فصوروها على أنها هزيمة للأوس والخزرج على يد قريش، وهذه أبيات لعبد الله

---

[1] – هو: خزيمه بن ثابت بن الفاكة بن ثعلبة بن ساعده المعروف بذي الشهادتين توفي سنة 37هـ. ينظر: الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار للشيخ موفق الدين بن عبد الله بن قدامه المقدمي تح أ. على نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر، ص 267.

[2] – ينظر: شرح نهج البلاغة، لأبي ابن الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجبل، بيروت لبنان، ط1، 1987م،ج2، ص282.

[3] – الحوارك : عظم على الظهر يقصد به هنا الشدة .

[4] – ينظر: العصبية والقبلية، ص 204.

بن الزبعرى تمثل هذه المناقضات في قوله متحدثاً عن غزوة بدر بالتحديد في قولة[1]:

لَيتَ أشياخِي ببدْر شَهدُوا جَزعَ الخَزرَج مِن وقع الأسلْ[2]
حين ألقَتْ بقُباءٍ برْكهَا واستْحرَّ القتلُ في عَبد الأشلْ[3]
فقتلنا النِّصْفَ من سَادَاتهِم وَعدل لَنا مِثل بدْر فَاعْتدلْ

وقد بلغت عصبية الشعراء ذروتها إبان الحروب بين على كرم الله وجهه ومعاوية، وظهرت في أشعارهم، بواكير العصبية القبلية القديمة، في نطاقها الواسع، وفي نطاق الأنساب وما يتصل بها والتفاخر بها، فكل شاعر ينطق بلسان قبيلته ويدافع عنها، ويتبادل الشعراء الطعن والتعريض، فقد كان للشعراء والخطباء يد في تهييج الخصومات القبلية وإثارة العصبيات، فمن القضايا التي تناولتها العصبية في عصر صدر الإسلام، هي تعلّق القبائل بأنسابها وحرصها عليها والاعتزاز بها[4].

<u>موقف الإسلام من العصبية:</u>

لقد بات من المسلَّم به أن الشريعة الإسلامية لم تأتِ لتهدم كل ما كان عليه الناس قبلها، لتؤسس على أنقاضه بناءً جديداً لا صله له بفطرة البشر، وما تعارف عليه الناس، وإنما جاءت لتحق الحق وتبطل الباطل، ومما لاشك فيه أن عادات العرب وتقاليدهم وأخلاقهم ومعاملاتهم في العصر الجاهلي، لم تكن سيئة كلها، بل منها ما كان ممدوحاً، فأقره الإسلام، ومنها ما كان مذموماً فأبطله الإسلام، أو صحح فهمهُ وطريق إعماله، فأصبح بعدها أمراً محموداً ممدوحاً، وبما أن العصبية الجاهلية بمثابة الأساس للأعراف القبلية السائدة في ذاك العصر، وكانت من أسباب الفرقة والتقاتل بين الناس، لذلك فقد ركّز الرسول ﷺ عليها، وحاربها

---

[1] – ينظر: شعر عبد الله بن الزبعرى، تح د. يحيى الجبورى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1، سنة 1978م، ص42.وشرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد، ج1، ص471.

[2] – جزع : هروب، الأسل : السيوف .

[3] – استَحر القتل: القتل فيهم حلال .

[4] – ينظر: العصبية والقبيلة وأثرها في الشعر الأموي، ص 280.

بكل قوة ودون رأفة وحذَّر منها وأغلق منافذها، لأنه لا بقاء للدين مع هذه العصبيات، ويمكن تلخيص حكم الإسلام في الأنساب والعصبية القبلية – الجاهلية – في الأمور الآتية :

1- إلغاء العصبية الجاهلية والتحذير منها، ويتجلى ذلك في كثير من أحاديث الرسول ﷺ والآيات القرآنية.

2- تقرير المساواة بين الناس، وعدم الاعتراف بالتعددية الطبقية أو النفوذ الموروث، فأساس التفاضل بين الناس هو العمل الصالح وتقوى الله عز وجل .

3- إلغاء كل مظاهر العبودية لغير الله تعالى من تقديس الأعراف القبلية والإنسياق معها دون تمعن بمجرد اجتماع الناس عليها .

4- النهى عن الطعن في الأنساب والتفاخر بها والتعاظم بالآباء والأجداد والمآثر والأمجاد .

إذاً الإسلام نهى عن السب والشتم والتفاخر بالأنساب والتعصب القبلي والطعن في الأنساب، وأيضاً فقد كان الشعر الإسلامي الذي أسهم أيضاً في إخفاء العصبية القبلية وترسيخ هذا البيان الضخم، حيث صار الشعر يمثل القيم الإسلامية الجديدة، فالعقيدة الإسلامية تذيب العصبية القبلية، ويكون المسلم ضد هواه، صلته بربه قوية وعلاقته مع إخوانه المسلمين مترابطة ومتينة .

المبحث الثالث
موقف القرآن الكريم من فنِّ النقائض

القرآن وفنّ النقائض:

إن القرآن الكريم كلام الله عز وجل كان ومازال الحدث الفكري والـــديني والإنساني الأهم، ولم يكن وقعه على الناس وقعاً جمالياً وبلاغياً فقط، بل فتح أفاق الحياة والنفس والوجود ما لم يخطر للعرب ببال، فالقرآن الكريم كـــان ولا يـــزال أشد اتصالاً بواقع الإنسان، ففيه آيات جاءت للأفراد كاللعنة والتعنيف التي أُنزلت على عم النبي ﷺ أبى لهب وزوجه في سورة المسد يقول الله تبـــارك وتعـــالى:

﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾[1]، " وقد غضبت أم لهب وقدمت إلى بكر ﷺ تقول أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته، لضربت بهذا الفهر فاه، ثم قالت : مُذمّماً عصينا وأمره أبينا، ودينه قلينا ثم إنصرفت"[2]، كأنه تحدٍ، فقد حكي القرآن الكريم أمثلةً كثيرة في هذا الشأن من الجدل الذي دارَ بين الرسول ﷺ وبين العرب واليهود من نصارى ومجُوس وغيرهم حول مسائل في مقدمتها الألوهية والرسالة والبعث، وسلك في هذا الأمر الجدل أساليب عدة، يوجد فيها صور للمناقضة، وقد اعتمد القرآن الكريم في نقض الدعاوى لخصومه وعقائدهم على طريقة التكذيب ورد الدعوة القائمة والمستندة على أدلة واقعية[3]، ويمكن إيراد بعض الأمثلة كقول الله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[4]، في هذه الآية ادعى اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فنقض دعواهم بأن هذه الدعوى تستدعى معاقبتكم لأنكم لا تذنبون، لكن الواقع أن الله تعالى عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، فقد أبطل الله سبحانه وتعالى قولهم بأنهم أولياء الله وأحباؤه، ثم أثبت لهم الوصف الطبيعي فقال عز وجل بل أنتم بشر من خلقه تعالى تجرى عليكم أحكام العباد، وفي آية أخرى يطالب خصومه بالبرهان والدليل ليثبتوا خلاف ما يدعون كقول الله عز وجل: ﴿ **وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[5]، فقد ادعى الفريقان أن الجنة وقف لهم فقط، فطالبهم بالبرهان والدليل في دعواهم إذا كانوا

---

[1]- سورة المسد من الآية 1 إلى الآية 5.

[2]- فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط 8، 1998م، ص 95.

[3]- ينظر: تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص93.

[4]- سورة المائدة الآية 18.

[5]- سورة البقرة الآية 111–112.

صادقين، ثم نفاها عنهم ونقضهم عنها وأثبت أن الجنة حق لكل من يخلص نفسه لله ويحسن في أعماله وأقواله[1]، ومثل هذه الآيات التزمت الجدلية والجدية، فقط أظهرت فساد رأى الآخرين، وتصفه بأوصاف تؤدي أقصى غايته ومعناه، فيوجد في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تغلب عليها النزعة الجدلية والمعان التي قد تأتى في حدود المعاني الهجائية – النقض – ومثال ذلك كثير في القرآن الكريم على سبيل المثال ما جاء في سورة المنافقون[2]، قال الله تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾[3] يقول الله تعالى أن هناك فئة من المنافقين، أي ممن يظهرون غير ما يضمرون، يأتون على النبي ﷺ فيعترفون له برسالته علناً، بينما هم يُسرُّون الإنكار ويدسُّون الخديعة، وقد سمتهم الآية (المنافقين) وهو وجه الهجاء في التسمية والقول، ثم تفضح هؤلاء بمكرهم، على أن الله يثبت ما ينكرون سراً، وهو يعلم بذلك أنهم كاذبون، وتتوالى الآيات مستكملة معنى واحداً متصلاً بالمنافقين، فهم يتخذون الإسلام ستاراً يكمنُ وراؤهُ النفاق أي وسيلة للحماية والوقاية من القتل والأسر[4]، لقد ارتدوا عن الإيمان والإسلام فعاقبهم الله تعالى، فختم على قلوبهم لا يصلهم الهدى والنور، ثم إنهم حين تراهم تعجبك أجسامهم وهيئتهم وحسن مطلعهم وبلاغة كلامهم، ثم جاء النقض رداً عليهم وعلى صفاتهم أن نعتهم الله عز وجل بالأخشاب المسندة التي لا عقل ولا وجدان فيها، ثم تنحدر الآيات إلى وجه آخر

---

[1]- ينظر: تاريخ النقائض، أحمد الشائب، ص 136.

[2]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، ص 94.

3- سورة المنافقون من الآية 1 إلى الآية 5.

[4]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، ص 95

في نفسية هؤلاء وهو وجه التأمر والدس، يؤلِّبون على النبي ﷺ وصحابته، أن تُمنع عنهم المؤن والأموال ليضعفوا ويفروا عاجزين، وإذا حُللت الآيات من الناحية الفنية أنها انطوت على المقدمات الهجائية في الآتي :

1 . اعتمدت الألفاظ التي فيها المعاني الهجائية بطبيعة أدائها ولفظها، مثل المنافقون – إن المنافقين لكاذبون – صَدّوا – سَاء ما كانوا يعملون – خُشُبٌ مسندة – قاتلهم الله – يُؤفَكون – مُستكبِرون – لا يهدى القوم الفاسقين[1]، فلو نُظِرَ إلى هذه الألفاظ كلها مجتمعة بذاتها، غير مرتبطة في سياق العبارة والآية أو الموضوع، لَوجِدَ أنها تعبر بذاتها عن نفسٍ غاضبة، مما يدل على الإنفعال الشديد، فهذا الإنفعال والسخط ليس سخط النقمة والحقد، بل سخط الحق والصدق على الباطل والكذب والنفاق، لهذا تكرر في الآية الألفاظ التي تدل على النفاق والكذب والفسق.

2 . تحدثت هذه الآيات على تحليل عميق لنفسية المنافقين وأظهرت صفاتهم وأنهم يتظاهرون بالإيمان ويُخفُون الكفر، ويتخذون ظاهر الإيمان ستاراً لهم لا أمل لهم بالإخلاص، لأن الله عز وجل أعمى بصائرهم وطبع على قلوبهم، يخدعون الناظر بأجسامهم والسامع لحديثهم، يستكبرون على الناس، يتحالفون ويمنعون المدد والمعونة عن المسلمين، جاهلين أن رزقهم ونصرهم مقدران من عند الله عز وجل، فهذه الأفكار التي في النص أنها وصفت سلوكاً نموذجياً تاماً متكاملاً، فالمنافقون لشدة تمرسهم بالخديعة والنفاق لا يستطيعون خداع الباري عز وجل، فهذه الآيات توحي أن لا طمأنينة للإنسان إذا كان منافقاً، فإن أي زلة لَهُ تُبَيّن حقيقتهم أنهم عُوقِبوا بخطيئتهم عقاباً في نفوسهم، فقد مُنِعوا من الخير والرحمة وخُتِمَ عليها بالنفاق[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[3]، يقول تعالى إخباراً عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لن

---

[1]- ينظر: معاني القرآن للقراء، ج 3، ص 158، 159، ومختصر تفسير أبن كثير، ج 3، ص500.

[2]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، ص 98.

[3]- سورة البقرة الآية 80 .

تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم يُنجون منها، فرد عليهم الله عز وجل ونقضهم بقوله تعالى:﴿**قُلْ أتخذتُم عِندَ اللهِ عَهْداً**﴾[1] أي بذلك، فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده، ولكن هذا ما جرى ولا كان، ولهذا أتى بـ(أَمْ) التي بمعنى (بَل) أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء عليه[2]، ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى**﴾[3]، وذلك عندما طالبوا الرسول ﷺ بآيةٍ تدل على صدقه في ادعاء النبوة، فرد عليهم القرآن ونقضهم بأن القرآن الكريم مشتمل على زبدة الكتب السماوية السابقة كلها[4]، وفي آية أخرى يقول الله عز وجل: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ، أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ، وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ**﴾[5]، **يظهر السخط هنا إذا جاز التعبير، فيما**

---

[1]- سوره طه الآية 133 .

[2]- ينظر: مختصر تفسير ابن كثير،ج 1، 82 .وتاريخ النقائض، ص 136. وفن الهجاء وتطوره عند العرب، ص 101.

[3]- سوره طه الآية 133 .

[4]- ينظر: تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص 137.

[5]- سورة البقرة الآيات من75إلى83.

تنسب الآيات لليهود من نفاق وفسق في نفسيتهم، فهي تحاجّهم وتهجوهم وتلعنهم، ومنذ المطلع يبدو أن ثمة يأساً من إيمانهم ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ ﴾[1]، والآية تخاطب المسلمين الذين ربما حاجّوا الرسول ﷺ في أمر اليهود وتنكُّرهم للإيمان ورفضهم لما صدع به النبي ﷺ، وتقول لهم كيف تأملون أن يؤمنوا مثل إيمانكم ويذهبوا مذهبكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، فقد أبوا منذ القدم على الزيغ والنفاق فقد تعمدوا تزوير كلام الله عز وجل بما يوافق هواهم ومكاسبهم ومآربهم وهم يعلمون، فلا حُرمة لهم لكلام الله عز وجل[3]، ووجه الأمر في هذا الكلام أنهم يتعمدون الكفر عن وعي، إذ يحرفون كلام الله بعدما عقلوه أي بعدما فهموه وتفطنوا إلى مراميه، والإشارة إلى تعقلهم له وتزويرهم له وهم يعلمون إنما كان نوعاً من استكمال الوصف لتحديد مسؤوليتهم، وهكذا فإن القرآن يظهرُ مَسَاوي الملحدين وشرورهم ولا يتهمهم بالإنفعال والنزوة، بل بالتعقل واستكمال شروط المسؤولية وحدودها، وفى آية ثانية يقول الله تعالى: **﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾**[4]، أي أن اليهود قد ينكرون دينهم تقية، ثم إذا خَلوا بعضاً بعضاً، عتب أحدهم على الأخر لأنه يبدل حقيقة الدين للمسلمين ليحاجوهم بها، وكان هؤلاء يمكرون حتى في العقيدة يكتمونها عن الآخرين طلباً للفائدة والسلامة، ولكي يضللوا المسلمين عن الحقيقة، وبين أن اليهود كانوا يكذبون بحقيقة دينهم، إذا إتفقت والتعاليم الإسلامية، وذاك وجه آخر للنفاق واللؤم يسخط عليهم به[5].

---

[1]- سورة البقرة الآية 75.

[2]- سورة البقرة الآية 75.

[3]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص101

[4] – سورة البقرة لاية 76.

[5]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص103. وتاريخ النقائض في الشعر، لأحمد الشائب، ص 137 .

وهكذا فإن فئة منهم منافقة تعبث بما أُنزل في الكتُب وتكتم الحق الموافق للدين الجديد، كما أنها تظهر غير ما تضمر، وهناك فئة من اليهود الجُهّال أو الأميين، كما تقول الآية يقرءون الكتاب ولا يفقهون له معنى، أو أنهم يظنون به ظناً[1]، وهؤلاء يؤاخذهم القرآن لكنه لا يعنف بهم، إذ يعرض واقعهم في سياق إنكاري عام، ولا يعقب عليه ولا يصفه بلعنة أو ما أشبه، وقد اقتصر على نعتهم بالقول: ﴿**وَإِنْ هُمْ إِلاّ يظُنون**ْ﴾[2]، أي أنهم أخطئوا اليقين وأخذوا بالوهم، فتبعثهم أقل من الفئة الأولى التي صدرت عن عقل وعلم، ويبدوا أن هناك فئة ثالثة من اليهود، هؤلاء، يتَّجِرون بكتبٍ ويزعمون أنها منزَّلة، فيما هي تكون من وضعهم، وقد أشار إليهم القرآن بالقول: ﴿**فَوَيلٌ للذِينَ يكْتُبُون الكِتَابَ بِأيدِيهِم** ﴾[3]، أي أنهم يضعونه وضعاً بأنفسهم وينسبونه إلى الله عز وجل، فهم قارئون، كاتبون بخلاف النبي ﷺ الأمي غير القارئ، أو الكاتب، وبخلاف الفئة السابقة فإنه يتهددهم بالويل العظيم مراراً﴿**وَيلٌ للذِين يكْتبُونَ**﴾[4]، فويل لهم مما كتبت أيدهم، وويل لهم مما يكسبون، والويل سيلحق بهم لما كتبوا ولما كسبوا من تلك الكتابة، وهذه الحاجة متصلة إتصالاً حميماً بواقع القرآن، إذ أن هؤلاء، ربما كانوا يعارضونه بكتابتهم أو يزعمون أنهم حريُّون أن يماثلوه، لذلك نزلت عليهم آيات السخط والنقمة والويل مكررة، مضاعفة، إذ أن عملهم كان يتعمد تسفيه القرآن وإزالة الصفة الإلهية عنه[5].

وهكذا فإن القرآن يعقب على المعاني التي يعرضها بالنسبة إلى العقيدة والحقيقة، وبقدر خروجه على جوهرها، بقدر ذلك يرد تسفيهه لها، وكان اليهود يزعمون، منذ العصور القديمة، أن الله عاهدهم عهد مقيم أن يخصَّهم بالخلاص من دون سائر الشعوب، إذ أنهم شعب الله المختار، قال تعالى:﴿**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا**

---

[1]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص104.

[2] – سورة البقرة الاية 78.

[3] – سورة البقرة الاية 79.

[4] – سورة البقرة الاية79.

[5]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص 105.

النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1]، ولقد عرض قولهم ثم أتت الآية التي تدحضه بالإستفهام والاستنكار، والقرآن يُسائلهم إذا كانوا قد اتخذوا من الله تعالى عهداً على ما يزعمون لأنفسهم من خاصية الخاصة، وكأنه يسفه قولهم، ويرده عليهم لأنهم ينطقون عن الله ما لا يعلمون، والقرآن يؤاخذ هؤلاء بالعدالة الإلهية ومبدأ الشفاعة، إذ لا فضيلة لقوم على قوم أو لفئة على فئة أخرى، وإنما الناس جميعاً، سواسية، يُعاقَبون بذنوبهم ويجازون بطاعتهم ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[2]، وفي هذه الآية تسفيهٌ لمزاعم اليهود في اختيار الله تعالى، لأن الله تعالى لا يدفع إلى النار إلا من كسب بملء اختياره سيئة وأحاطت به خطيئته، فهو ينظر في الأعمال وليس في الأشخاص أو الجماعات والأقوام فالحسنة ليست لليهود، أيضاً، بل إنها للذين آمنوا وعملوا الصالحات[3]، وبذلك تظهر العدالة الإلهية وتمتنع عنها المحاباة، وفي المقطع الثاني يفيد القرآن من تاريخ اليهود ومن ماضيهم ومن تعاليم كتبهم ليُبيّن على قبح أفعالهم ومخالفتهم لأمر دينهم وفسقهم ومنافقتهم، فالله قد واثَقهم على عبادته وحده، دون شريك له، وأن يحسنوا إلى الوالدين ويكرمهم وأن لا يبخلوا عن ذوي القربى والفقراء والمعوّزين وأن يقيموا الصلاة ويؤذوا الزكاة، فلم يقم بذلك العهد إلا نفرٌ قليل منهم، فيما تولى الآخرون وأعرضوا، فأشركوا بالله وعقّوا والديهم وجافوا الأقارب ونبذوا الفقراء، فالقرآن ينعى عليهم قيماً أخلاقية جديدة لم يتركها قوماً أو فرداً من قبل، وذلك كله من قيم الدين الجديد ومما ستظهر إشارة في أهاجي هذا العصر وما يليه من عصور حيث بات المسلمون يتفاضلون في التقوى والجهاد والتقدم في الإسلام وما إلى ذلك[4].

---

[1] – سورة البقرة الاية 80.

[2]- سورة البقرة الآية 81.

[3]- ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، ص 106.

[4] – ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، ص 107.

مدى تأثير القرآن في تهذيب فنّ الهجاء:

يقوم الهجاء على إظهار المثالب والعورات والنقائض، أي أنه مرتبط أشد الإرتباط بالقيم الأخلاقية والاجتماعية القديمة والجديدة وإذا كان القرآن لم يؤثر تأثيراً مباشراً على الأهاجي التي عاصرته، إذ بقى بعضاً منها يقتفى على أثر الجاهلية في العِرض والشرف والقتل والنصر والهزيمة وسائر المثالب المأثورة، إلا أن كثيراً من الشعراء أفادوا من واقع الدين الجديد ليتداولوا معاني هجائية جديدة بعد أن زالت دولة عبادة الأصنام الجاهلية وتوطد الإسلام، إلا أن القرآن مع ذلك كله، يعتبر منذ قيام الدولة الإسلامية، منبعاً جديداً للمعاني الشعرية وبخاصة في فنون المدح والفخر والهجاء، وهى المعاني التي تؤخذ في سبيل القيم الأخلاقية.

وقد غدت المعاني بنشوء الإسلام دينية بقدر ما هي اجتماعية، فقد كان للقرآن والإسلام حضور في مدائح الشعراء الإسلاميين، وأن القرآن اقتضى الهجاء على الكفار والمنافقين، ليفضح خداعهم أمام الناس كأداة للتبشير والوعظ وإظهار الحق بدحض الباطل المقنَّع بقناعة الخُدَّاع[1]، " وقد يعتمد القرآن في نقضه على الانفعالات والعواطف فيستخدم التهويل والتخويف"[2] يقول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾[3]، فعندما دعوا الله ولداً بيّن لهم شناعة هذه الدعوى ومبلغ خطورتها وعدم قبولها، لأنكم قلتم شيئاً إدّاً قال ابن عباس أي عظيماً[4]، ثم بين الله تعالى أن الخلق كلهم عبيد له يقدر عليهم ويحشرهم يوم القيامة لا سند لأحدهم على الآخر إلا عمله الذي قدمه، وهذا فيه ما فيه من التهويل ما يخفيه الدليل

---

[1]- ينظر: المصدر السابق، ص 111.

[2]- تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص137 .

[3]- سورة مريم 88،95.

[4]- ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص 464.

فنقضَهُم بالحجة البالغة فقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً**﴾[1]، وختم بقوله تعالى: ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾[2]، أي لا مفر من الحساب منفرداً[3].

وقد يستخدم القرآن الكريم التنفير من الصفات البغيضة فيصف بها خصومه ويردها عليهم لعلهم يتحولون عليها كقوله تعالى: ﴿**بِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[4]، أي الكافرين نقضوا الميثاق وكفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق، وادعوا أن قلوبهم غُلُف، فلا تدرك شيئاً، فرد عليهم الله عز وجل بأنه قد حجبها عن المعرفة بسبب كفرهم فَقَلّ إيمانهم، فقال عز وجل: ﴿**بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[5]، وفي أية أخرى يقول الله عز وجل:﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ، قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ، أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ، أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[6]، يقول الكفار أن النبي ﷺ شاعر فننتظره ونصبر عليه حتى يموت فتستريح منه وقال تعالى: ﴿**قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ**﴾[7]، فجاء الرد سريعاً لهؤلاء الكفار بقولٍ يناقض قولهم، أي انتظروا إني معكم منتظر وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة ثم يقول تعالى: ﴿**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا**﴾[8]، أي تأمرهم عقولهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة، التي يعلمون في أنفسهم أنها كذبٌ

---

[1]- سورة النساء الآية: 155.

[2]- سورة النساء الآية: 155.

[3]- ينظر تاريخ النقائض، لأحمد الشائب، ص 137.

[4]- سورة النساء الآية: 155.

[5]- سورة النساء، الآية: 155.

[6]- سورة الطور، الآية: 29. 34.

[7]- سورة الطور، الآية: 31.

[8]- سورة الطور، الآية: 32.

وزور﴿**أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾[1]، ولكن هم قوم طاغون في ضلال معاندون، فهذا الذي يحملهم على القول فيك، أم يقولون تقوله أي اختلقه وأفتراه من عند نفسه، يريدون به القرآن الكريم ولكن ﴿ **بَلْ لا يُؤمِنُونَ**﴾[2]، أي كفرهم هو الذي يحملهم على قول ذلك، ولكن جاء التحدي في الإتيان بمثل هذا القرآن في قوله تعالى:﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾[3]، أي إن كانوا صادقين في قولهم فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القران، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاؤوا بمثله ولا بسورة ولا آية[4]، في هذه الآيات جاء الرد قاسياً وسريعاً على الكفار فنقضهم ورد عليهم في آخر الآية أن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين، وقد يصفهم الله عز وجل بالنفاق، يقول تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[5]، يخبر الله تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، ويقولون قولاً بألسنتهم آمنا بالله وبالرسولﷺ وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون، فقال فيهم وما أُولئك بالمؤمنين، ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ**﴾[6]، أي إذا طُلبوا إلى إتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم، وإذا كانت الحكومة لهم

---

[1]- سورة الطور، الآية: 32 .

[2]- سورة النساء ،الآية: 155.

[3]- سورة الطور، الآية: 34.

[4]- ينظر: مختصر ابن كثير ،ج 3، ص 389.

[5]- سورة النور، الآيات من 47 إلى 52.

[6]- سورة النور، الآية78.

لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين، وهذا معنى قوله: ﴿**مُذْعِنِين**﴾[1] وإذا كانت الغلبة والتحكم عليه أعرض ودعا إلى غير الحق، وقد وصفهم بالمرض ﴿**أفِي قُلُوبهِم مَرَضٌ**﴾[2]، أي لا يخرج الأمر عن كون في قلوبهم مرضٌ من شكٍ في الدين، أم يخافون أن يحيف الله تعالى ورسوله عليهم في الحكم، وأيّاً كان فهذا كله كفرٌ محض والله عليم بهم وبصفاتهم، وزادهم صفةٌ أخرى وهى الظلم يقول بل أولئك هم الظالمون أي هم الظالمون الفاجِرون، فجاء الرد عليهم بأن المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا سمعنا وأطعنا، فهم المفلحون[3]، بيّن الله عز وجل في هذه الآيات صفات المنافقين الكاذبين وبين طريقة تعاملهم مع الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ، وفي المقابل بيّن الله عز وجل أمر المؤمنين أنهم إذا سمِعوا أطاعوا وفي الآخرة هم الفائزون فنقض الله عز وجل على المنافقين أقوالهم وأفعالهم بما كانوا يزعمون وبما كانوا يتبجّحون به من أفعال تناقض ما نَزل من آيات الله تعالى، وأنهم أبوا على تحريف كلام الله عز وجل، وأنهم يتظاهرون بالإيمان ويضمرون الكفر وأن بعضهم يقرءون كتابهم ولا يفهمونه وكذلك يكتبون كتاباً وينسبونه إلى الله عز وجل، وقد خصّهم بالجنة وأخذ عليهم بعمل الخير والصلاح فنقضوه في كل مرة[4]، وقد يتناول بالنقد ما يستدعي خصومه في المستقبل أو ما قد يدور بخلدهم أو بفرض أمر ليقطع عليهم سبل المعارضة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الذِينَ أشْرَكُوا لَو شَاء الله مَا أشْرَكنا ولا آبَاؤنَا وَلاحَرمْنَا مِنْ شَيء كَذلك كَذبَ الذينَ مِنْ قَبلهِم حَتَى ذَاقُوا بَأسَنا قُل هَل عِندكُم مِن عِلمٍ فتخْرجُوه لنَا إنْ تتبعُون إلّا الظّن وَإنْ انتُم إلا تخرُصُون**﴾[5]، إدَّعوا أن الله عز وجل راضٍ على ما هم عليه من شرك وكفر، فقاسهم على من سبقهم من أمثالهم في هذا المذهب حتى وقع بهم العقاب، ثم سألهم الإحتجاج لدعواهم إن

---

[1]- سورة النور، الآية 49 .

[2]- سورة النور، الآية 50.

[3]- ينظر: مختصر تفسير ابن كثير ،ج 2، ص 611.

[4] – ينظر: فن الهجاء وتطوره عند العرب، ص 99.

[5] – سورة البقرة، الآية 80 .

استطاعوا، ورماهم بالكذب إوتباع الظن والنقض عليهم، وهذا دليل على مطالبة الخصوم باستعمال عقولهم وأفكارهم في تِبيان وجه الحق فيما يدعونه، فالقرآن الكريم يخاطب عقول المنافقين على حسب ما هم عليه في الموقف فيكون نقض القرآن مطابقاً لما يقوله المنافقين.

المبحث الرابع
الغزوات الإسلامية وأثرها في النقائض

الغزوات الإسلامية وأثرها في النقائض:

عندما أشرقت شمس الإسلام على العقول انقشع الظلام، ونـــزل القـــرآن، فأسْلَس نفوس العرب النافرة وأعاد إليها الأمن، وارتفعت العقـــول لتـــودع حيـــاة الفوضى، وتبقَي بعض النفوس يجتذبها ظلالها القديم، إذ رأت في الدين الجديد شيئاً يباعد بينها وبين وثنيتها الأولى، ودعامتها القبلية التي هامت بها وعبدتها طـــوال

جاهليتها، فيتصارع الهُدى والظلال بالحجة والبيان، ثم يحتكمان إلى السيف، وإلى جانب الحجة والسيف كان الشِّعر سلاحاً قوياً في النيل من الأعداء، وقد أخذ الشِّعر يشق لنفسه طريقاً جديداً فتصبح لسان الدعوة الجديدة، يشيد بانتصاراتها، ويشيع مبادئها في تطهير العقيدة وفي إصلاح المجتمع، كما أصبح الشِّعر لسان المشركين يعلنون به إصرارهم على قديمهم، ويدعُون إلى الاستبسال في مقاومة الهُدى، وبذلك انتقل الشِّعر من طور إلى طور، بعد أن كان تعبيراً عن أهواء النفوس، وتشخيصاً للعصبية القبلية والفردية أصبح تشيعاً للمبادئ التي انحصرت في اتجاهين متضادين الحق والباطل، فكان هذا عاملاً من أهم العوامل التي أبقت للشعر سلطانه وزادته قوة في الحقبة الأولى من عصر صدر الإسلام، وإن كانت معاني الشِّعر لم تبتعد كثيراً عن معاني الجاهليين فلا يزال الفخر بالأجداد والآباء، والتمجيد بالكرم والشجاعة وحسن البلاء، والإشارة بالانتصارات التي يحرزها المشركين وإن تغيرت الظروف والموضوع[1].

وفي هذا الصراع كثيراً ما كان يضيف شعراء المسلمين إلى تلك المعاني المعهودة مما اقتبسوه من دينهم، من نبذ المشركين بالضلال وتسفيه أحلامهم والفخر بأنهم دعاة الحرية والهدى والتحرر من الوثنية وعبادة الأصنام، وحين احتدم الصراع بين المسلمين وكفار قُريش، فقد سلّوا ألسنتهم على رسول الله ﷺ فأشار الرَّسول ﷺ على حسّان بأن يدافع عن الإسلام شر هؤلاء الشُّعراء، فتصدى لهم وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وغيرهم، فقد هاجت بين شعراء الفريقين حرب كلامية مواكبة لحرب السيف، ومن أمثلة ذلك قول جبيرة بن أبي وهب[2]، يفتخر بما حققته قُريش يوم أحد بقوله[3] :

مَا بَالُ هَمِ عميدٍ بَاتَ يَطْرُقُني بِالود مِن هِنْدٍ إذْ تَعدُو عَوادِيهَا

---

[1] – ينظر: بحث بدايات فن النقائض، د. عبد النبي سالم قدير 2009م، ص6. والقصيدة العربية بين التطور والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي دار الجبل – بيروت – لبنان، ص 57.

[2] – جبيرة بن أبي وهب بن عمر وبن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، السيرة النبوية، م2، ج3، ص43. والأعلام، ج8، 76.

[3] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص43.

بَاتَــتْ تُعــاتبني هِنــدٌ وَتعــذلني وَالحَرب قَــدْ شُــغلَت عَنــى مَوالِيهَــا
مَهلاً فَلَا تعــذِليني إِنَّ مِــن خُلُقــي ما قَد عَلمتِ وَمــا إِنْ لَســتُ أُخفِيهــا

ومما جاء فيها أيضاً[1]:

سُقْنَا كِنانَة مِــن أَطْــرافِ ذِي يمــنٍ عُرْضَ البِلادَ عَلى مَا كَــانَ يُزْجِيهَــا
قَالَــت كِنانــةُ أَنَّــى تــذهبُون بنــا قُلنا: النَّخيــلَ فأَمَّوهَــا ومــن فِيهــا
نحْنُ الفَوارسُ يَومَ الجــرِّ مِــنْ أُحُــد هَابــتْ مَعْــدٌ فقلنــا نَحْــن نَأتِيهــا
هَابوا ضِراباً وَطَعنَــاً صَــادِقاً خَــذِماً ممّا يرَونَ وَقــد ضُــمَّتْ قَواصِــيهَا
تَمَّتَ رُحْنَــا كأَنَّــا عَــارَضٌ بــردٌ وَقَــام هَــامُ بَنِــي النَّجــارِ يَبكِيهــا
كَــأَنَّ هَــامَهمُ عِنــدَ الــوَغي فِلــقٌ مِن فيضِ زُبْدٍ نَفَتْــهُ عَــنْ أداحيهَــا

فنقضها حسّان بن ثابت بقوله[2]:-

سُقتمْ كِنانــةَ جَهْــلاً مِــن سَــفاهَتكُم إِلــى الرَّســولِ فَجنــدُ الله مخزِيهَــا
أَورَدْتمُوهَا حِيَاضَ المــوتِ ضَــاحِيَةً فالنَــار مَوعِــدُها والقَتــلُ لاقِيهَــا
جَمعْتمُوهــا أَحَابيشــاً بِــلا حَسَــبٍ أَئِمــةَ الكُفــرِ غَــرّتكُم طَواغِيهَــا
ألا اعتبــرتُم بخِيــلِ الله إِذَا قتَلــتْ أَهْــل القُليــبِ وَمَــنْ ألقينَــه فيهَــا
كَم مِــن أَسِــيرٍ فَكَكنَــاهُ بِــلا ثمــنٍ وجَــزَّ ناصِــيةٍ كُنَّــا مَوالِيهَــا

"وبجانب هذه الأهاجي والنَّقائض التي تعددت بين الشُّعراء الفريقين، نجد الهجاء الذي يوجهه شعراء المسلمين إلى القبائل في مواقفها ضد الإسلام"[3]، ولكن حين استقر الرَّسول ﷺ وفرغ من مؤاخاة المهاجرين والأنصار وقامت بقيادته جماعة لها وحدتها وقوتها وكلمتها، بل أصبحوا في يثرب يشكِّلون قوة يحكمها سياج من الدين، تأتمر بأمر رسول الله ﷺ، هو إمامهم وقائدهم الذي يوجههم إلى ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، وهي قوة ما إن توالت عليها الأيام حتى قويت شوكتها وازدادت مثانتها وصلابتها بكثرة الداخلين فيها والمنضمين إليها، وكان

---

[1] – المصدر السابق، م2، ج3، ص44.

[2] – المصدر السابق، م2 ، ج3، ص44.

[3] – في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص 47.

هذا حرياً بأن يجعل سادة مكة من قريش، يحسّون بخطر هذه القوة على سيادتهم ومصالحهم الاقتصادية التي كانوا يحرصون عليها، وتمثل جُلّ همِّهم في الحياة، ومن ثم بدأت قُريش المحاولات في القضاء على ما رأته خطراً عليها بالقوة والحرب، وهنا بالذات بدأ الصراع يأخذ طابعه الجديد، المسلمون من جهة والمشركون ومن طاوعهم من جهة أخرى، وتكشّف هذا الصراع عن حروب ظلت مستعرة طوال حياة النبي ﷺ[1]، أطلق عليها اسم الغزوات والسرايا[2].

فقد أحدثت هذه الغزوات والسرايا في أدب عصر صدر الإسلام أثراً كبيراً واضحاً، وبخصوص فن النَّقائض الذي ازدهر ازدهاراً كبيراً، " يؤكد هذه الحقيقة كثرة الشِّعر الذي يوجد في السيرة النبوية لابن هشام وفي غيرها من كتب الأدب والسيرة والتاريخ"[3]، وبناءً على هذا توجد جملة من الشِّعر ليست بقليلة تنتظم تحت لواء أن الغزوات –غزوات النبي– ﷺ– والسرايا قد خلّفت شعراً مما " يدل على أن الشُّعراء المسلمين قد التحموا بالإسلام في أحداثه الأولى، وعبّروا عن هذا الالتحام بشعرهم الذي وصل إلينا، فإذا نظرنا إلى هذا الشِّعر في عصر صدر الإسلام تجده يندرج تحت أقسام"[4] أهمها[5]:

1. الشِّعر الذي كان يتابع أحداث هذه الغزوات والسرايا ويسجلها، ومثال ذلك الأبيات التي سجّلت أحداث السرية التي قادها عبد الله بن جحش بن رئاب[6]، فكان

---

[1] – ينظر: المرجع السابق، ص 43.

[2] – الغزوات جمع غزوة وهي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه، والسرايا جمع سريّة وهي التي لم يخرج فيها واكتفى بإرسال بعض أصحابه مأمّراً عليهم أحدهم .

[3] – في أدب الاسلام، محمد عثمان علي، ص 43 – 44.

[4] – في أدب الاسلام، محمد عثمان علي، ص 45.

[5] – ينظر: المرجع السابق، ص 45.

[6] – هو: عبد الله بن جحش، (– 3 هـ = – 625 م) عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الاسدي: صحابي، قديم الاسلام، هاجر إلى بلاد الحبشه، ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخو زينب أم المؤمنين، قتل يوم أحد شهيدا، فدفن هو والحمزة في قبر واحد. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج4، ص 76. والفصول في سيرة الرَّسول ﷺ، الحافظ أبي

النبي ﷺ قد أرسله ومن معه ليستعلموا أخبار قُريش، فمرت بهم عيرٌ لقُريش تحمل تجارة فتعرضوا لها وقتلوا قائدها عبد الله بن الحضرمي[1]، وأسروا آخرين وأخذوا غنائم كثيرة، وكان ذلك في آخر يوم من رجب، فأدعت قريش بأنّ محمّداً وأصحابه إنّما فعلوا ذلك في شعبان، ومن ثم نزل قول الله عز وجل: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[2]، فادعت قريش بأن محمداً ﷺ وأصحابه فعلوا ذلك في شعبان، وقد سجل عبد الله بن جحش هذه الأحداث متأثراً في ذلك بأسلوب القرآن الكريم[3] إذا يقول[4] :

تَعُدُون قَتلاً فِي الحَرام عَظِيمَة ... وأعْظَم مِنه لَو يَرى الرشدَ رَاشدُ

صَدودكم عَمَا يَقُول مُحَمد ... وَكُفر بِه وَالله راء وشَاهِدُ

وإخْراجُكُم مِن مَنزِل الله أهَله ... لئلا يُرى لله في البَيتِ سَاجدُ

فَإنا وإنْ عَيرتمُونا بقَتلةٍ ... وأرجَفَ بالإسْلام باغٍ وحاسدُ

سَقَينا مِن ابْنُ الحَضْرمي رِمَاحَنا ... بنخْلَةَ لما أَوْقد الحَربَ واقدُ

دَمَاً وابنَ عَبدَ الله عُثمانَ بَينَنا ... ينَازعُه عُلٌّ مِنَ القَدِّ عَانِدُ

2. القسم المتمثل في شعر الأهاجي جرت بين شعراء المسلمين والمشركين ،فقد اشتمل على شعر كثير بدأ في غزوة بدر واستمر حتى فتح مكة ؛ فقد احتدم الصراع بين الفريقين، فسلّت قُريش ألسنتها ينالوا بها رسول الله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار.

الفداء إسماعيل بن كثير، تح وتعليق محمد العبد الخطراوي ومحي الدين منشورات ط4، 1405هـ، 1985ف.

1 – لم أعثر على ترجمة كافية.

2 – سورة البقرة الآية: 217 .

3 – ينظر: في أدب الاسلام، محمد عثمان علي، ص 45.

4 – ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، م1، ج2 ص181، وفي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص46.

3. وهناك القسم الثالث وهو المتمثل في شعر الرثاء، حيث تجد شعراء الفريقين قد رثوا قتلاهم في هذه الغزوات والسرايا أكثر شيء " غير أن جُلّ رثاء شعر قُريش جاء في رثاء صرعى يوم بدر"[1]، فقد رثى ضرار بن الخطاب الفهري[2] أبا أبا جهل بقصيدة قال فيها[3] :

أَلَا من لَعِينٍ بَاتتِ اللّيلَ لَم تَنَمِ ... تراقب نجْماً في سَوادٍ مَع الظُّلَمْ
كَأنَّ قذِيَ فِيهَا ولَيسَ بهَا قَذىً ... سِوى عَبْرَةٍ مع جائلِ الدمعِ تنسجمْ
فَبَلِّغ قُريشاً أنّ خَيرَ نَدِيّها ... وأكْرَم مَن يَمشِي بسَاقٍ علَى قَدمْ
ثَوى يَوم بَدرٍ رَهْن خَوْصَاء رَهْنُها ... كَرِيم المَسَاعِي غَيرُ ولدٍ ولا بَرَمْ
فآليتُ لاَ تَنهَلُّ عَينِي بِعَبْرةٍ ... عَلَى هَالكٍ بَعد الرَئِيسِ أَبي الحَكَمْ
عَلَى هَالِكٍ أَشجى لؤىَّ بن غَالِبٍ ... أَتَتْهُ المَنَايَا يَومَ بَدْرٍ فَلَم يَرِمْ

فإنّ جُل شعر المشركين قد قيل في يوم بدر لأنهم فقدوا رؤساؤهم وقاداتهم وفي نفس النقيض أن معظم شعر الرثاء الذي قاله المسلمون جاء في يوم أحد، ففي غزوة أُحد أُستشهد فارس يوم بدر وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب[4] ﷺ، وَمُثّلَ بجثته، فهذا الحدث قد حرّك نفوس المسلمين وشعرائهم فرثوه بأحسن ما عندهم من القصائد[5].

4- وهناك القسم الأخير وهو الشِّعر الذي قيل في مدح أبطال المسلمين في هذه الغزوات والسرايا، يقول د. محمّد عثمان:" وجدنا شعراً ليس بالكثير؛ لأن الشُّعراء المسلمين كانوا ينظرون إلى البطولة الفردية والشخصية نظرةً كليةً، فيمجدون هذه البطولة من خلال شعرهم كله، سواء في ذلك الشِّعر الذي يصور أحداث الغزوات

---

[1] – في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص48.

[2] – هو: ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كبير بن عمرو آكل السَّقْب ابن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر سمى بالسقب، لأنّ بكر بن وائل لهم سقب يعبدونه من دون الله فأغار عليهم فأكله فسمي بذلك، طبقات قول الشُّعراء، لابن سلام، ج1، ص250.

[3] – السيرة النبوية، م1، ج2 ، ص415.

[4] – حمزة ن عبد المطلب الخبر، والحدث في السيرة النبوية، لمحمد شحاته، م2، ج3 ، ص8.

[5] – ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه يحي الجبوري، ص87 .

والسرايا أو شعر الأهاجي أو شعر الرثاء"[1]، ومن ذلك ما قاله عبد الله ابن الزِّبَعرَى في يوم أُحد قبل إسلامه[2]:

يَا غُرابَ البَينِ أَسْمِعْتَ فقُلْ ... إنما تَنطقُ شيئاً قد فُعِلْ
إن للخير والشّر مَدىً ... وكِلاَ ذَلكَ وجهٌ وَقَبَلْ
والعَطيّاتُ خِسَاسٌ بينهُم ... وَسَواءٌ قبرٌ مُثْرٍ ومُقِلّ
كُلُّ عَيشٍ وَنعِيمٍ زَائلٌ ... وَبَنَاتُ الدَهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلّ
أبْلِغَنَ حَسَّانَ عَنِّي آيةً ... فقَريضُ الشِّعر يشْفي ذَا الغُلَلْ
كَم تَرَى بِالجر مِن جُمْجُمةٍ ... وأُكُفٍ قد أُتِّرَتْ وَرِجِلِ[3]
وَسَرابيلَ حسّانٍ سُريتْ ... عَن كُماة أُهْلَكُوا فِي المنتزلْ
كَم قَتَلنا من كَريمٍ سَيدٍ ... مَاجد الجَدين مِقْدَامٌ بَطَلْ
صَادَق النَجدة قَرم بَارعٍ ... غير مُلْتَاثٍ لِذِى وَقع الاسَلْ
فَسل المِهراسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟ ... بَين أقحَافٍ وَهامٍ كالْحَجَلْ
لَيتَ أشْياخَي ببدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَع الخَزرَجِ مِنْ وَقع الأسلْ

ويقول في آخر القصيدة[4] :

لَا ألومُ النفْسَ إلَّا أنّنا ... لَوْ كَرَرْنَا لفَعَلنا المفْتعلْ
بِسيوفِ الهنْد تعْلو هَامَهُم ... عَلَلاً تعْلوهُمُ بعْد نَهَلْ

فأجابه حسّان بن ثابت رضي الله عنه فقال[5] :

---

[1] – ينظر: في الشِّعر الإسلامي والأموي عبد القادر القط ص101، والحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام لعبد المنعم خفاجي، ص137.

2 – السيرة النبوية، م2 ، ج3 ، ص 46، 47 .

[3] – أترت : قُطعت.

[4] – السيرة النبوية، م2 ، ج3 ، ص 46، 47.

[5] – المصدر السابق، م2 ، ج3 ، ص 47.

ذَهَبـــتْ بـــابنِ الزِّبَعـــري وَقعـــةٌ كَـــان مِنَّـــا الفَضـــلُ فِيهـــا عـــدل
ولَقَـــد نِلـــتُم ونلْنـــا مِـــنكُمْ وكَـــذاك الحَـــرْبُ أحْيَانـــاً دُول
نَضَـــعُ الأسْـــيافَ فـــي أكْتـــافِكُمْ حيـــث تَهْـــوى عِلـــلاً بعْـــدَ نهـــلْ
نُخـــرجُ الاضـــياحَ مِـــن أَسْـــتاهِكم كســـلاح النيـــبِ يَـــأكُلن العَصَـــلْ
إذَا تُولُـــونَ عَلَـــى أعقَـــابِكم هُرَّبَاً فِـــي الشِّـــعبِ أشْـــباه الرِّسَـــلْ
إذْ شَـــدَدنا شَـــدةً صَـــادِقَةً فَأجأنـــاكُم إِلـــى سَـــفحِ الجبـــلْ

فهذه نماذج من أنماط الشِّعر الذي ساير الحركة الإسلامية في بداية مطلعها ونشؤها في زمن الرَّسول- ﷺ-، ولكن حين انتقل الرَّسول الكـريم -ﷺ- إلـى الرفيق الأعلى نشب الخلاف بين المسلمين في شأن الخلافة فيما بينهم[1]، فقد كـان الأنصار يودون لو أن أمرها آل إليهم، ومن ثَمّ اجتمعوا في سقيفة بنـي سـاعدة يريدون أن يبايعوا بها سعد بن عُبادة[2]، غير أن أبا بكر وعمر بن الخطـاب وأبـا عبيدة الجراح -رضي الله عنه- لحقوا بهم في السقيفة، حيث دار حوار وجدل بـين الإخـوة المسلمين انتهى إلى غايته التي أرادها الله تعالى، وهي مبايعة أبى بكـر- رضي الله عنه – خليفة للمسلمين[3]، ولم يكن الأنصار وحدهم من أراد الخلافة، فقد كان هناك نفر من بني هاشم وغيرهم أرادوا لعلي بن أبي طالب الخلافة، غيـر أن علـى كـرّم الله وجهه لما رأي اجتماع الناس والمسلمين[4] على أبى بكر- رضي الله عنه – دخل فيما دخل فيه الناس فتحققت بذلك وحدة المسلمين في المدينة على خليفة واحد، وكان بظل هـذه الظروف لابد للشعر من أن يحقق وجوده في ظل هذا الخلاف، فقد تَحرّك الشُّعراء

---

1 – ينظر: في أدب الإسلام محمد عثمان على ص51. والحلفاء الراشدون تـأليف عبـد الوهـاب النجار تح: خليل دار القلم بيروت – لبنان ط 1، 1986م، ص 21.

2 – هو: سعد بن عُبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي أبو ثابت – صحابي من أهل المدينة كان سـيد الخزرج يلقب بالجاهلية بالكامل لمعرفته الكتابة والرمي والسباحة توفي سنة 14هـ – 630م بحوران بالشام. ينظر: الإعلام، ج3، ص 85 .

3– ينظر: الحوار والجدل في تاريخ الخلفاء المسمى بالإمامة والسياسة لابن قتيبة ط مؤسسة الوفـاء بيروت ج1–ص4. والخلفاء الراشدين، ص38– 39.

4 – ينظر: الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تح: أحمد فهمي نحمد، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، – بيروت – لبنان، د. ط. ت، ص 14 .

كلٌ يحاول تأييد فريقه ويرى أن الحق معه بالخلافة، ويشير أبو عَزّة القرشي إلى ما كان من احتجاج حول الخلافة بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعده[1]، وتقوده العصبية إلى التعريض بالأنصار وردّ دعواهم ورفض احتجاجهم ومثبتاً حق قُريش في السلطة والخلافة فيقول أبو عَزّة القرشي[2]:

شُكراً لمنْ هُو بالثناء حَقِيق ذَهب اللَّجاحُ وبويع الصديق[3]
مِن بَعد مَازلّت بسعدٍ نَعْلُهُ ورجاءً دُونه العيوق[4]
إن الخِلافَة في قُريش مَالَكُم فيها وَرَبَّ مُحَمّدٍ مَعروفُ

ففي ظل هذه الأحداث ارتفعت أصوات حكيمة عاقلة تدعوا إلى إصلاح ذات البين بين قُريش والأنصار، وحثهما على أن يجتمعا معاً للدفاع عن الدين الإسلامي، والتصدي لأعدائه فهذا خزيمة[5] بن ثابت الأنصاري يقول[6]:

أَيال قُريش أصْلحُوا ذَات بينِنا وبينَكم قَد طَال حَبلُ التماحكِ
فَلاَ خَيرَ فِيكم بَعْدنا فَارقُوا بنَ ولا خَير فِينَا بعد قهر بِن مالكِ[7]
كَلانا عَلى الأعْداء كَف طَويلة إذَا كَان يَوم فِيه حُبَّ الحَواركِ[8]

---

[1] – ينظر: شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجبل – بيروت – لبنان ط1 – 1990م، ص 43. والملل والنحل، للشهرستانى، ص 14 – 15.

[2] – ينظر: الأدب العرب من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، دراسة وصفية نقدية، د– حبيب يوسف مغنية، دار ومكتبة الهلال – بيروت – لبنان 1995م، ص 181. وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص 306 .

[3] – حقيقّ:جدير، اللّجاج :الجدل والخصومة.

[4] – العيوق :نجم أحمر مضيء في طرف المجرة .

[5] – هو: خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعده بن عامر بن عدنان بن خطمة. ينظر: الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، ص 267.

[6] – ينظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي حديد،ج 2 ، ص 282.

[7] – هو: فهر بن مالك بن النضر، من كنانة، من عدنان: جد جاهلي، ممن يتصل بهم النسب النبوي. كنيته أبو غالب، كان رئيس الناس بمكة، وهو جماع قريش في قول هشام. ينظر: الأعلام، الزركلي،ج5، ص 157.و جمهرة أنساب العرب، لأبن حزم، ص 393.

[8] – الحوارك :عظم على الظهر.

فَلا تذكَروا مَـــا كَـــان مِنّـــا وَمَـــنكُم فَفِي ذِكر مَا قَد كَانَ مَشْىَ التَّسَـــاوكِ[1]

هذه النماذج وغيرها تمثل الصراع الذي دار على الخلافة وكان دليلاً علـــى وجود أحداث عصيبة في قيام الخلافة، وهي نماذج تعبر عن رأي أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، الذين كانوا أحرص الناس على التمسك بالإســـلام ووحـــدة كلمته، لذلك فإن هذا الخلاف الذي ظهر في سماء مدينة رسول الله ﷺ، سرعان ما أنقشع وتفرقت سُحبه وغيومه حيث التفّ الفريقان معاً حول خليفة رسول الله ﷺ[2]، أبي بكر الصديق ﷺ ، يأتمرون بأمره ويدينون له بالولاء والطاعـــة والشـــورى، غير أن الأمر في بوادي نجد والعَروض واليمين، كان مختلفاً فقـــد أرتـــد معظـــم العرب عن الإسلام وكَثُر مدعوا النبوة في القبائل وقد امتنعوا عن دفع الزكاة، بل منهم من دعا إلى ترك السجود في الصلاة مثل طليحة بن خويلد[3]، قال لمن تبعـــه: "إنَّ الله لا يصنع بتعفير وجوهكم شيئاً" [4]، وأن هذه الردة التي شملت أغلب القبائـــل العربية في شبه الجزيرة قد صحبها شيء من التمرد على خلافة أبـــي بكـــر ﷺ ، فثارت القبائل العربية على الإسلام وإرتدّت عنه بمجرد وصول أبي بكر ﷺ إلـــى الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وكان مما قاله أبو بكر ﷺ في خضم معركة الخلافة: " كُنَّا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً والناس لنا في ذلك تبع، ونحـــن عشـــيرة رسول الله ﷺ، وأكرم العرب أنساباً، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحكم الله من فضله"[5]،وما كاد يؤول الأمر إلى أبي بكر ﷺ ، حتى ظهر النزاع بين بطون قُريش نفسها بسبب الخلافة[6] فعلي كرم

---

[1] – التَّسَاوك :المشي الضعيف البطيء.

[2] – ينظر: في أدب الإسلام، محمد عثمان على، ص 45 .

[3] – هو: طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الاشتر بن حجوان بن فقعس، ادعى النبوة ثم أسلم. ينظر: جمهرة أنساب العرب، لأبن حزم، ص 196.

[4] – أيام العرب في الإسلام، ط إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة، ص 141.

[5] – العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج 4، ص 128.

[6] – ينظر: كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، سيرة الخلفاء الراشدين ومن أشـــتهر في دولتهم، رفيق بك العظم، دار الرائد العربـــي، بيـــروت، لبنـــان، ط16، 1403هـ-1983م، ص 19.20.21.

الله وجهه وآل رسول ﷺ رأوا أنهم أحق بالخلافة من أبى بكرﷺ ، وقد إحتج علي ﷺ على القوم بمثل ما احتجوا به على الأنصار من حق القرابة، وتدخل البيت الأموي والهاشمي في مسألة الخلافة، وكان أشدهم إنكاراً أبو سفيان وخالد بن سعيد بن العاص[1] وقد قوبِلَ تولى أبي بكر الخلافة بإمتعاض وسَخط شديدين، من طائفة من القبائل وقد عبر الحَطِيئة[2]، عن شعورهم هذا في قوله يخاطب قومه ويحثهم على الارتداد[3] :

أَطَعنا رسُول الله إذْ كَان صادقاً فيا عَجباً مَا بالُ دين أَبي بَكرِ
أَيورِثنا بكَراً إذا مَاتَ بعدَه فَتِلك وَبيتُ الله قَاصِمة الظَّهرِ[4]

هذه الأبيات تجاوزت إدعاء النبوة إلى التمرد على أول حكومة إسلامية قامت بمدينة رسول الله ﷺ، ولو أن أبا بكر ﷺ أجابهم إلى ما طلبوا لما وقفوا عند ذلك وحاربوه، ولولا حزم أبي بكر ﷺ وإسراعه في إخماد حركة الردة لتداعت أركان الدولة الإسلامية الناشئة ولعاد العرب إلى سيرتهم الأولى في الجاهلية " ونتيجة لذلك رأى أبو بكر أن لابد من قتال هؤلاء المرتدين"[5]، فَجَهّز الجيوش وحارب المرتدين حرباً قوية، فاستسلموا وأذعنوا بالطاعة، وبقمع حركة الردة خفَت صوت العصبية شيئاً فشيئاً، وأدرك زعماء القبائل ذلك، وهم الذين كانوا يحلمون باسترجاع أمجادهم القديمة، وأن الدولة الإسلامية العربية أصبحت وطيدة الأركان

---

[1] – هو: خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ت13 هـ. ينظر سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تح: محي الدين أبي سعيد عمران بن غرامة العمري، دار القلم – بيروت – لبنان، د. ط.ت، ج3 ، ص 162 .

[2] – هو: جرول بن أوس بن مالك الملقب بالحطيئة لقربه من الأرض أي كان قصيراً وهو من فحول الشُّعراء وهو مخضرم أسلم ثم أرتد. ينظر: فوان الوفيات والذيل عليها، تأليف :محمد بن شاكر، تح د. إحسّان عباس، دار الثقافة – بيروت – لبنان، ط. د. ت، ج1، ص 276.

[3] – ديوان الحطيئة، تح: نعمة أمين طه، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولده، مصر، ط1، 1378 هـ – 1958م، ص 329. وفي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص 55.

[4] – (فتلك لعمر الله) في أدب الإسلام لمحمد عثمان وتلك لَعَمْرُ الله– يوجد اختلاف بين ما في الديوان وكتاب: في أدب الإسلام، لمحمد عثمان علي، ص 55.

[5] – في أدب الإسلام، محمد عثمان على، ص 55.

ثابتة الدعائم[1]، وفي خِضَمِّ هذه الحروب – حرب الردة[2] – وما نتج عنها من أثر ملموس في الشِّعر العربي آنذاك، فقد هب الشُّعراء في سائر القبائل التي ارتدت عن الإسلام يدلون بدلوهم في هذه القضية وهم بين معارض ومؤيد لهذه الردة وما دار فيها، ومن أمثلة ذلك حسّان بن ثابت الذي اتجه اتجاهاً قبلياً صريحاً، يشيد بالأنصار في هذه المناسبة، ويذكرهم بأمجادهم وأفضالهم، على المهاجرين، ويعيد ما كان من نصرتهم للنبي– ﷺ – ودورهم العظيم في الانتصارات التي تحققت للإسلام دون قُريش الذين يتهمهم بالجور والظلم، فيقول حسان بن ثابت[3]:

وَفِينَا إذَا شَبّت الحَرب سَادَة كهول وفِتْيَان طِوالُ الحمائِلِ[4]
نَصرنا وَأَوينا النّبي وَصَدّقت أوائلنا بالحق أَوّل قَائِلِ
وَكُنا متى يُعَزُّ النّبي قَبِيلتُه نَصل حافيته بالقنا والقنابلِ[5]
ويَوم قُريش إذْ أتونا بِجمعهِم وَطِئْنا العَدُوَّ وطأَة المتثَاقِلِ[6]

فقد تجلّت عصبية الشُّعراء إبّان الأحداث التي تمخض عنها عصر صدر الإسلام، فكان الشُّعراء يصورون في شعرهم موقف قبائلهم من الأحداث، وربما حاول بعضهم إثارة النُّعرة القبلية الجاهلية، أو حث قومه على اتخاذ موقف ما من بعض الأحداث وقد ارتفعت أصوات حكيمة عاقلة تدعوا إلى إصلاح ذات الطرفين من مهاجرين وأنصار وتحثهما على أن يجتمعا معاً للدفاع عن الدين الإسلامي والتصدي لأعدائه، ففي عهد رسول الله –ﷺ – تجد شعراء القبائل الوافدة يفيدون عليه ينطقون بلسان قبيلتهم،

---

[1] – ينظر: في أدب الإسلام، محمد عثمان، ص 56، والحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 109. ونص خطبة أبي بكر الصديق في كتاب الخلفاء الراشدين، لعبد الوهاب النجار، ص 41.

[2] – ينظر: سيرة أمير المؤمنين أب بكر الصديق شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي – دار ابن الجوزي القاهرة – مصر، ط1، 1428 هـ – 2007م، ص 145 – 146.

[3] – ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، تح: أ. عبد المهنا، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط2، د. ت، ص187.

[4] – الحمائل :جمع حملة وهي علاّقة السيف .

[5] – القنابل :جمع قنبلة وهي الطائفة من الخيل والناس .

[6] – وطأة المتناقل :يدل على احتقارهم لقريش واستهاسهم بأمرهم.

فيفاخرون بها ويشيدون بمآثرها ويعددون مناقبها، فيقوم حسّان بن ثابت وشعراء الأنصار فيجيبونهم بمثل ما قالوا، ومن أمثلة تلك المفاخرات والمناقضات، مفاخرة ببني تميم عندما قدموا علي الرَّسول الله -ﷺ- في السنة التاسعة من الهجرة[1]، فقال شاعرهم الزِّبْرقان بن بدْر[2]:

نحْن الملُوك فلا حيٌ يقَارِينا ... مِنّ الملوك وفينا يؤخَذ الربعُ[3]
تلِكَ المكَارِم حِزْناها مقَارَعةً ... إذا الكرام علَى أمْثالها اقترعُوا
كَمْ قد نشَدْنا منَ الأحيَاء كُلهُّم ... عند النهاب وفضْل العِز يتبعُ
وَنَنْحَر الكُومَ عبطاً في مَنَازِلنا ... للنازلين إذا ما اسْتُطْعِمُوا شَبِعوُا[4]
وَنحن نُطْعِمُ عِندَ المحل مَا أكلُوا ... من العَبيطِ إذَا لمْ يظْهر الفزعُ[5]
وننصر النّاس تأتِينا سُراتهم ... من كل وابٍ فتمضِي ثم تتبعُ

فقام حسّان بن ثابت الأنصاري بالرد على وفد بني تميم في قوله[6] :

إن الذَّوائبَ مِن فهر إخْوتهم ... قَد بينوا سُنةً للنّاس تُتَّبعُ[7]
يَرضى بها كل مَن كَانت سَريرته ... تقوى الإله وَبالأمر الذِي شرعُوا[8]
قَومٌ إذا حَارَبوا ضَرُّوا عَدُوهم ... أوحَاوَلوا النّفع في أشْياعِهم نفعُوا[9]

---

[1] – ينظر: تاريخ الطبري أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة – مصر، ط4، ج3، ص 116–117.

[2] – هو: الزبرقان بن بدر التميمي السعدي صحابي من رؤساء قومه، ولقّبَ بالزبرقان لحسن وجهه، كان فصيحاً شاعراً، توفي في سنة 54هـ. ينظر: الإعلام، الزركلي، ج3، ص41. والأبيات التي قالها في الأغاني، للأصبهاني، ج4، ص 1362.

[3] – الربع : من عادة العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا أخذ الرئيس الربع من الغنيمة.

[4] – الكوم :جمع أكوام وهو البعير الضخم السنام، عبطاً، نَحْراً.

[5] – الفزع :السحاب.

[6] – ديوان، حسّان بن ثابت، تح: أ. عبد مهنا، ص 152.

[7] – الذوائب : الأعالي والمراد هنا السادة.

[8] – سريرته :السر وعدم الجهر .

[9] – حاولوا :راموا وطلبوا، أشياعهم جمع شيعة وهي الأنصار والأتباع.

سَـــجية تِلْـــكَ مِـــنهم غَيْـــرَ محُدثـــةٍ إنّ الخَلائـــــق شَـــــرُّها البِـــــدعُ[1]

فقد ظلَّ فن النَّقائض الذي شهد العصر الجاهلي مولـــدة قائمـــاً فـــي العصـــر الإسلامي، إلا أنه لم يحتفظ بطابعه الجاهلي القديم، فلم يعد وقفاً علي الأغـــراض القبلية والشخصية وإنما خضع للمؤثرات الجديدة في هذا العصر، وفـــي طليعتهـــا الدين والسياسة، فامتزجت فيه الروح القبلية بالروح الإسلامية والأفكار السياســـية فكثرة هذه الظاهرة في الشِّعر المقول في أعقاب الغـــزوات، فالطـــابع الإســـلامي واضحاً في شعر المسلمين، وفي الجانب المقابل هناك الطابع الجاهلي واضحاً في شعر المشركين، سواء كان فخراً أو هجاءً أو رثاءً.

ويمكن القول: إنّ هذه الردة وما صاحبها من حـــروب كـــان لهـــا الأثـــر الملموس في الشِّعر العربي، فقد هبّ الشُّعراء في سائر القبائل التي ارتدت عـــن الإسلام يدلون بدلوهم في هذه القضية، وهم بين معارض ومؤيد وكل ذلك ظـــاهر في شعرهم، وفي ظل هذه الردة وما صاحبها من تطورات ملموسة فـــي الشِّـــعر وخاصة فن النَّقائض، كانت الغزوات هي الركن الأساسي الثاني، فلم يكن انـــدفاع المسلمين إلي الجهاد حبّاً في الغزو وتهافتاً على المكاسب والمغـــانم، أو إرضـــاء لغزيرة القتال المتسلطة على طباعهم كما يزعم أعداء الإسلام ومـــن لـــفّ لفهـــم وجاوَرَهُمْ في هذا الرأي[2]، وإنما كان الجهاد في سبيل الله يملؤه العقيدة الصـــادقة، والإيمان الحق الذي يدفع صاحبة إلى طلب الشهادة في ســـبيل الله وطمعـــاً فـــي رضوان الله تعالى.

وإن كل الغزوات التي خاضها الرَّسول ﷺ والمؤمنين خير دليل على ذلك " أول ما يلاحظ في هذا العصر – صدر الإسلام– أن المناقضات الحادة التي كانت قائمة بين الأوس والخزرج في المدينة، اتجهت في الإسلام وجهة جديدة فالأحقـــاد القبلية بين أهل المدينة قد عفى عليها الإسلام، فتحولت إلى مناقضات بين قُـــريش

---

[1] – سجية :طبيعة، البدع :جمع بدعة والمراد منها هنا مستحدثات الأخلاق التي ليست من الغرائز.

[2] – ينظر: في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص62. وفي الشِّعر الإسلامي والأموي، لعبد القادر القط، ص45.

في مكة، والأنصار في المدينة وقد نشط في ذلك حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وكلاهما خزرجي من المدينة ،وعبد الله بن الزِّبَعرَى وضرار بن الخطاب الفهري وكلاهما قُريش من مكة"[1]، يبيّن ابن سلام في الطبقات على هؤلاء الشُّعراء إنهم من شعراء المدينة وأن أشهرهم حسّان بن ثابت الأنصاري وهو كثير الشِّعر وجيده[2]، والتحدي الذي رفعوه عالياً في وجهه الأعداء ،فكان لابد للمسلمين المجاهدين من يدافع عنهم ويدافع عن الرسولﷺ في الحرب الكلامية بجانب الحرب الدموية، فقد شكلت الغزوات النَّقائض الإسلامية الأولى ونشأت في ظلها، فهذا عرض لأهم الغزوات وما دار فيها من نقائض بين الشُّعراء المسلمين والمشركين:

غزوة بدر الكبرى: ليلة الجمعة 17رمضان سنة 2هـ، 624م[3] لقد كانت غزوة بدر الكبرى أولى الغزوات في تاريخ الجهاد الإسلامي، لأن ما سبقها إلا مناوشات بسيطة، فقد نصر الله عز وجل فيها المسلمين وعز فيه الإسلام واشتد فيها عضد المسلمين، وأن أثارها كانت خطيرة على المشركين لأنها اشتد فيها عضد المسلمين وقويت شوكتهم، وذاقت قُريش فيها الذل والعار والهزيمة، وقد رجعت صاغرة بعد أن تركت فرسانها على الروابي وبين الشعاب، فقد نشط الشِّعر في هذه الفترة، فوصف المعركة أصدق وأدق توصيف، فتغنى المسلمون بالنصر، وهجوا شعراء قُريش وعيّروهم بالهزيمة والقتل والكفر والعار، فتجد شعر المعارك عادة يتخذ النقيضة وسيلة وأداة لردع الخصوم وتفنيد المزاعم، فقد

---

[1] – شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحي الجبوري، ص260 ، 261.

2 – ينظر: طبقات فحول الشُّعراء، لابن سلام، ج1، ص 215.

[3] – ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، تح: محمد شحاتة، م1،ج2، ص333 . وتاريخ الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية، د. عبد علي ياسين، دار يافا، عمان الأردن، 2005م، ص 105ــ 106.والرحيق المختوم، ص239.

كان الأثر الإسلامي واضحاً في هذه النقائض[1] ويمكن عرض أهمها في النمـــاذج الآتية حيث قال عبد الله بن الزِّبَعرَى يبكى قتلى بدر[2]:

مَـــاذا عَلَـــى بَـــدرٍ وَمَـــاذا حَوْلَـــهُ ... مـــن فِتيـــةٍ بِـــيضِ الوجُـــوه كـــرامِ
تَركُـــوا نُبيهـــاَ خَلفهُـــمُ وَمُنبِّهـــا ... وَابنـــيْ ربيعـــةَ خيـــرَ خَصْـــمٍ فِئـــامِ
وَالحَارثَ الفيـــاّضَ يبـــرق وجهُـــهُ ... كَالبـــدْرِ حَلَّـــي ليلـــةَ الإظـــلامِ[3]
وَالعَاصِـــيَ بـــنَ مُنَبِّـــهٍ ذَا مِـــرَّةٍ ... رُمحَـــاً تميمـــاً غَيـــرَ ذِي أَوصـــامِ
وَإذا بَكَـــى بـــاكٍ فـــأعْولَ شَـــجْوُهُ ... فَعَلى الرَّئيسِ المَاجد ابـــن هشـــامِ[4]
حَيّـــا الإلَـــهُ أبـــا الوَليـــدِ وَرهطَـــهُ ... ربِّ الأنَـــــامِ وَخَصَّـــــهم بسَـــــلامِ

فأجابه حسّان بن ثابت – رضي الله عنه – فقال[5] :

أبْـــكِ بَكَـــتْ عَينـــاكَ ثُـــم تَبـــادرَت ... بـــــدَمٍ تُعِـــــلُّ غُرُوبهـــــا سَـــــجّامِ
مَـــاذا بكَيـــتَ بـــه الـــذِينَ تَتَـــابعُوا ... هَـــلاّ ذكـــرتَ مَكـــارم الإقـــدامِ
وَذكـــرْتَ مِنّامـــا جـــداً ذَا هِمَّـــةٍ ... سَـــمْحَ الخلائِـــقِ صَـــادقَ الإقـــدامِ
أَعْنِى النّبيَّ أخَـــا المكـــارمِ وَالنـــدى ... وأبَـــرّ مَـــنْ يُـــولى عَلـــى الأقْسَـــامِ

ويقول في نفس القصيدة[6]:

بِالعَـــارِ والـــذُّلِّ المُبـــيّن إذا رَأى ... بيضَ السُـــيوفِ تَسُـــوق كُـــلَّ هُمـــامِ
بِيَـــدي أغَـــرَّ إذا انتمـــى لـــم يُخْـــزِهِ ... نسَـــبُ القِصَـــار سَـــمْيدَعٍ مِقْـــدامِ
بِـــيضٌ إذا لاقَـــت حَدِيـــدَاً صـــمّمَتْ ... كالبرق تحـــتَ ظِـــلالِ كُـــلِّ غمـــامِ

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى[1]

---

[1] – ينظر: تاريخ النَّقائض، لأحمد الشائب، 142. وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، الجبـوري، ص263.

[2] – السيرة النبوية، ابن هشام، تح: محمد شحاته، م1، ج2، ص409. هو عبد الله بن الزِّبَعرَى بـن قيس عُدى بن سعد بن سهم شاعر مخضرم وله شعر كثير. ينظر: طبقات ابن سـلام ج1، ص233. والأعلام، الزركلي،ج5، ص87.

[3] – البدر:القمر، حلى :ظهر .

[4] – شجوه:صوته .

[5] – السيرة النبوية، ابن هشام، لمحمد شحاته، م 1، ج2 ، ص 409، 410.

[6] – المصدر السابق، م 1، ج2 ، ص 410، 411.

عَجِبتُ لفخْر الأوسَ والَحْـينُ دائـرُ عليهمْ غـداً والـدهرُ فيـه بصـائرُ
وَفخر بني النّجـار أنْ كَـان مَعشـرٌ أُصِـيبوا ببـدرٍ كُلُهـم ثَـمَّ صَـابرُ
فَإنْ تَكُ قَتلَى غُـودِرَت مِـن رجَالنـا فإنـا رِجـالٌ بعـدهُم سَـنُغادِرُ
وَتَرْدِى بنا الجُرْدُ العَنـاجِيجِ وسـطكم بني الأوسَ حَتى يَشْفَى الـنّفسَ ثـائرُ
وَوَسْط بَني النّجـار سَـوف نَكُرُّهـا لهَـا بالقَنـا وَالـدّار عَـين زَوافـرُ
فَنَترُكَ صَرعي تعصبُ الطيرُ حَـولَهُمْ ولَـيسَ لهُـم إلا الأمـانِيَّ ناصـرُ
وَتبكـيهمُ مـن أهـلِ يثـربَ نسـوةٌ لهن بهـا ليـلٌ عـن النـومِ سـاهرُ

فأجابه كعب بن مالك[2] :

عَجِبـتُ لأمَـرِ اللهِ واللهُ قـادرُ عَلَـى مـا أرَادَ لـيسَ لله قـاهرُ
قَضى يَوم بـدْرٍ أن نُلاقـيَ معشـراً بغوْا وسبيلُ البغْـيِّ بالنـاس جـائرُ
وَقد حشدوا واسْـتنفروا مَـن يلـيُهمُ من النَّـاسِ حَتـى جُمُعهـم متكـاثرُ
وَسـارت إلَينـا لا تُحـاوِل غَيرنَـا بأجمعهَـا كَعـبٌ جَميعَـاً وعَـامِرُ
وَفِينـا رسُـولُ الله والأوْسُ حولـهُ لـه معقـلٌ مِـنهُم عَزيـزٌ وناصـرُ
وَجمع بنـي النجـار تحـت لوَائـهِ يميشون فِي المـاذيِّ والنقـعُ ثـائرُ
فَلمـا لقينـاهُمْ وكُـلٌ مجَاهِـد لأصْحابه مُستبسـلُ الـنَّفسِ صَـابرُ
شَـهدنا بـأنّ الله لا ربَّ غَيـرهُ وَأن رسُـولَ اللهِ بـالحقِّ ظَـاهرُ

وقال كعب بن الأشرف[3] عندما بكى على أصحاب القليب من قُريش الذين أصيبوا ببدر فقال[4]:

---

[1] – السيرة النبوية، ابن هشام، محمد شحاته، م1 ، ج2 ، ص 408.

[2] – المصدر السابق، م1، ج2، ص428.

[3] – هو: كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان شاعر جاهلي أدان باليهودية أدراك الإسـلام ولـم يسلم، وأكثر من هجوا النبيﷺ وأصحابه أمر النبي ﷺ بقتله فقتلوه خمسة من الأنصار تـوفي سـنة 3هـ. الأعلام، الزركلي، ج5، ص429.

[4] – السيرة النبوية، ابن هشام، محمد شحاته، م 1، ج2، ص 429.

طَحنت رَحَـا بَـدْرٍ لمهلـك أهلـه ولمثـل بـدْرٍ تَسْـتَهِلُّ وَتْـدمَعُ
قُتِلَتْ سُراةُ النَّاس حَـول حِيَاضِـهِمْ لا تبعـدوا إن الملُـوك تُصْـرَّعُ
كَم قَد أُصيب به من أبْـيضِ ماجـدٍ ذي بهْجـةٍ يـأوِي إليـه الضُّـبَّعُ
طَلَق اليدين إذا الكَواكـبُ أخلفـتْ حَمّـالِ أثقـالٍ يَسُـود ويَرْبَـعُ
ويَقـول أَقـوامٌ أُسَـرٌ بسُـخطهم إن ابن الأشْـرفِ ظَـلَّ كَعبـاً يَجْـزَعُ
صَدقوا فليتَ الأرْض سـاعَةَ قُتِّلُـوا ظَلَّـت تسُـوح بأهْلِهـا وتُصَـدِّعُ
صَارَ الذِي أَثـر الحَـديثَ بطَعنَـةٍ أَو عَاش أعْمـى مُرْعَشـاً لا يَسْـمَعُ
نُبِّئْـتُ أنّ بَنـي المُغيـرةِ كُلِّهِـمُ خَشَعوا لقَتـلِ أبِـى الحَكـيم وجـدِّعوا

فأجابه حسّان بن ثابت ﷺ قائلا[1] :

أبكـى لكعْـبٍ ثـم عُـلَّ بِعَبْـرة مِنـه وَعـاش مُجَـدَّعاً لا يَسـمَعُ
ولقَـد رَأَيْـتُ بـبطْن بَـدر مـنهمُ قَتلـى تَسُـحُّ لهـا العيـون وتـدمعُ
فَأبكى فَقدْ أبكَيـت عَبْـداً رَاضـعاً شَـبه الكُليـب إلـى الكُليبَـة يتبـعُ
وَلقد شَـفَى الـرحمَنُ مِنَّـا سَـيداً وأهَـان قومـاً قَـاتلُوه وصُـرِّعُوا
ونجـا وأُفْلِـتَ مِـنهم مـنْ قَلْبُـهُ شَـغَفٌ يَظَـلُّ لخوفـهِ يتصـدّعُ

وهناك مُناقَضة أخرى لميمونة بنت عبد الله[2] على كعب الأشرف حيث تقول[3] :

تَحَـنّنَ هَـذا العَبـدُ كـل تحـنُّنِ يبكِـي علـى قَتلـى ولـيسَ بناصـبِ
بَكت عين مَن يبكـىّ لبـدْرِ وأهلـهِ وعُلّـتْ بمثليهـا لُـؤيّ بـن غَالـبِ
فَلَيْـتَ الـذِين ضُـرّجُو بِـدمائِهِم يَرى ما بهِم مَن كَان بـين الأخاشـبِ
فَيعْلَم حَقًّـا عَـن يقِـين ويُبصِـروا مَجَـرَّهُم فـوْقَ اللِّحَـى والحَواجـبِ

فأجابها كعب بن الأشرف فقال حين رثى قتلى المشركين في بدر[4] :

---

[1] – المصدر السابق، م1، ج2، ص429.

[2] – ميمونة بنت عبدالله المُريدية، شاعرة من شواعر العرب من بني مريد مـن بطـن يقـال لهـم الجعادرة ،أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، تأليف عمر رضـا كحالـة مؤسسـة الرسـالة 1397هـ – 1977م، ج5، ص141.

[3] – السيرة النبوية، م1، ج2، ص430. وأعلام النساء، عمر رضا كحالة، ج5، ص141.

[4] – السيرة النبوية، م1، ج2، ص430 .

أَلا فَازْجِروا مِنكُم سَــفيهاً لتَسْــلمُوا عَلَى القَول يأتي مِنــه غَيــر مُقــاربِ
أَتَشْــتُمُنِي أنْ كُنــتُ أبكــى بِعَبْــرةٍ لقَــومٍ أتَــانىَ وُدُّهُــمْ غيــر كــاذبِ
فَــإني لبَــاكٍ مَــا بقَيــتُ وذَاكــرٌ مــآثر قَــومٍ مجــدهُم بالجَباجِــبِ
لَعَمْري لقَد كَانــت مريــدٌ بمعــزلٍ عَن الشّر فاحتَالــت وُجُــوهَ الثَّعالــبِ
فحُــقَّ مُريــدٌ أن تُجَــذَّ أنــوفهمْ بشــتمهُم حَــيّ لُــؤى بــن غَالــبِ[1]

وبعد هذه القصيدة رجع كعب الأشرف إلى المدينة فشببّ بنساء المسلمين حتى أذاهم فقال رسول الله ﷺ :" مَنْ لي بكعب الأشراف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله، فاجتمع على قتلة أربعة نفر فاجتمع دمه بين هؤلاء الرجال"[2]، ومهما كان الذي قيل يوم غزوة بدر الكبرى في تصوير المعركة وما دار فيها من أحداث، فإن شعراء المسلمين وضعوا حداً للشعراء الكفار في نقضهم والرد عليهم بأحسن ما عندهم، ولكن المتمعن في سورة الأنفال يرى المعاني البعيدة لهذه المعركة وما دار فيها من أحداث، فقد نزلت إثر غزوة بدر الكبرى.

غزوة أُحُدْ : دارت رحاها في 7 شوال سنة 3 هـ الموافق 625 م[3] بعد عام من وقعة بدر الكبرى التي كان فيها النصر من حليف المسلمين بعكس غزوة أحد، حيث اجتمعتْ قُريش لحرب رسول الله ﷺ " حيث فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة"[4]،فخرجت قُريش بحَدّها وَجَدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة فخرجوا مُتعهدين بعدم الهروب من المعركة، ودارت المعركة فاستشهد عدد كبير

---

[1] – تجذ : تقطع .

[2] – السيرة النبوية، م1، ج2، ص430.

[3] – ينظر: السيرة النبوية م2، ج3، ص3، وتاريخ الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية د. عبد علي ياسين، ص108. والرحيق المختوم، ص290.

[4] – السيرة النبوية م2، ج3، ص3.

من المسلمين، وكان يوم للمشركين على المسلمين[1]، فسال فيها الشِّعر سيل الـــدم، فهذا هبيرة بن أبى وهب من المشركين يقول[2]:

مَا بَالُ هَـــمَّ عَمِيـــد بَـــاتَ يطْرقُنـــي ... بالود من هِنـــدٍ إذْ تعـــدوا عواديهَـــا
بَاتـــتْ تعَـــاتِبني هنـــدٌ وتعْـــذِلُني ... والحَرب قَـــد شُـــغِلَتْ عَنِّـــى مَواليـــا

ثم يقول :

سُقنا كنانة مـــن أطْـــراف ذَي يمَـــنٍ ... عُرْض البلاد عَلى مَا كـــان يُزْجيهـــا
قَالـــتْ كنانـــةُ أنـــىَّ تـــذهبُون بنَـــا؟ ... قُلنـــا النخِيـــل فأمُّوهـــا ومـــن فيهَـــا
هَابوا ضِراباً وطعنـــاً صـــادقاً خَـــذِماً ... مما يَرون وَقَـــد ضُـــمّت قَواصـــيهَا
ثُمِّـــتَ رُحنـــا كأَنـــا عـــارضٌ بَـــرِدٌ ... وقـــام هـــام بنـــي النجَّـــار يبكيهَـــا
كـــأن هَـــامُهم عنـــد الـــوغى فِلَـــقٌ ... من فَيض زُبْدٍ نَفَتـــهُ عَـــنْ أُداحيهَـــا

فأجابهُ حسّان بن ثابت مناقضاً فقال[3] :

سُقْتُم كِنانـــة جَهـــلاً مـــن سَـــفاهِتكُم ... إلـــى الرَّســـول فجُنـــدُ الله مخزيهَـــا
أورَدتموها حِياضَ المـــوتِ ضـــاحِيةً ... فالنـــارُ موعِـــدُها والقتـــلُ لاقِيهَـــا
جمّعتموهـــا أحَابيشـــاً بـــلا حَسَـــبٍ ... أئمَـــة الكُفـــر غَـــرتكم طواغيهَـــا
ألا اعْتبـــرتُم بخَيـــل الله إذْ قتلـــتْ ... أهْـــلَ القُليـــب وَمَـــن أَلْقَيْنَـــهُ فيهَـــا
كَم مِـــن أسِـــير فَككنـــاه بِـــلا ثَمَـــنٍ ... وجَـــزٍّ ناصِـــيةٍ كُنّـــا مَواليهَـــا[4]

فالمعنى الديني عند حسّان واضح وَجَلي، يظهر في استعماله الصيغ الدينية التـــي تعلمها من القرآن، (جند الله ــ أئمة الكفر) هي من صيغ القرآن الكريم وألفاظـــه، ففي البيت الأول يستفيد من قولة تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ جُنُـــودُ السَّـــمَاوَاتِ وَالْـــأَرْضِ**﴾[5]، والبيت الثالث ترديداً لقوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُـــمْ لَعَلَّهُـــمْ**

---

[1] – ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، الجبوري، ص270.

[2] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص43.

[3] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص44. وشعرالمخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص270.

[4] – جَزَّ :الجزية أو دفع الجزية.

[5] – سورة الفتح، الآية: 4إلى7.

يَنتَهُونَ﴾[1]، وفى مُناقَضة أخرى جرت في أعقاب غزوة أُحُد بين حسّان بن ثابت وعبد الله بن الزِّبَعرَى، يقول عبد الله بن الزِّبَعرَى[2] :

يَا غرابَ الْبَيْن أسمَعتَ فَقُلْ ... إنما تنطِقُ شيئاً قد فُعِلْ
إن للخَير وللشّر مَدىً ... وكِلا ذَلك وَجْهٌ وقَبَلْ
والعَطياتُ خَساسٌ بينهُم ... وَسَواء قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ
كُلُّ عَيشٍ ونعِيم زَائلٌ ... وَبناتُ الدهْرِ يلعَبن بكُلْ[3]
أَبْلِغاً حسّان عَني آيةً ... فقَريضُ الشِّعر يشْفي ذا الغُلَلْ
كَم ترى بالجَرِّ مِن جُمجمةٍ ... وأكُفٍّ قد أُتيرتْ ورِجِلْ
وَسرابيلَ حِسّان سُريَتْ ... عَن كُماةٍ أُهلكوا في المُنتزلْ[4]
كَمْ قتلنا مِن كريم سَيِّدٍ ... ماجدِ الجدين مِقدامٍ بطلْ

ويقول في آخر القصيدة:

فَقَتلنَا الضِّعفَ مِن أشْرَافهم ... وَعَدَلْنا ميلَ بدْرٍ فاعْتدلْ
لا أَلُومُ النّفسَ إلا أَنَنَا ... لَو كَرَرنَا لفَعلنا المفْتعل
بِسِيُوف الهنْد تَعلوا هَامَهم ... عَلَلاً تَعلوهُم بعْدَ نهلْ

فشعره فيه ما فيه من الفخر بالنصر ووصف المعركة من الذين قُتلوا فيها وجر الجماجم وبتر الأيدي والأرجل، وجاء في آخر القصيدة فقال: " قتلنا الضعف من الذين قتلتموهم مِنّا في غزوة بدر الكبرى فاعتدل الميزان بيننا ،ولو كررنا ذلك لفعلنا الذي فعلناه وأكثر"، فأجابه حسّان بن ثابت فقال[5]:

ذَهَبتْ بابنِ الزِّبَعري وَقعةٌ ... كَان مِنَّا الفَضلُ فِيها لَو عَدَلْ
وَلَقد نِلتُم ونلْنا مِنكُمُ ... وَكَذاكَ الحَرْبُ أحْيَاناً دُول
نَضَعُ الأسْيافَ في أكْتافِكُمْ ... حيث نَهْوى عِلاً بعْدَ نَهَلْ

---

[1] – سورة التوبة، الآية: 12 .

[2] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص46، 47.

[3] – الدهر: الزمن .

[4] – المنتزل: مكان أو ساحة القتال.

[5] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص47.

نُخْــرِج الأضــياح مِــن اسْــتاهِكم كســلاح النيــبِ يَــأكُلْنَ العَصَــلْ
إذَا تُولُّــونَ عَلَــى أعقَــابِكم هُرَّباً فــي الشِّــعبِ أشْــباهُ الرِّسَــلْ[1]
إذْ شَــدَدنا شَــدَّةً صَــادِقةً فأجأنــاكم إلــى سَــفْحِ الجبــلْ

ثم يقول[2]:

وَتركنــاَ فــي قُــريشٍ عَــوْرةً يَــوم بــدْرٍ وأَحَاديــثَ المَثَــلْ
وَرَسُــولُ اللهِ حقَّــا شَــاهِدٌ يَــوم بَــدْر والتنابيــلُ الهُبُــلْ
فِــي قُــريش مِــن جُمــوع جَمّعــوا مثل ما يجْمع فِي الخِصْــب الهَمَــلْ
نَحْــنُ لا أمْثــالُكُمْ وَلْــدَ أسْــتِهاَ نَحْضــرُ النَّــاسَ إذَا البــأس نــزلْ

أثبت حسّان بن ثابت ﷺ أنه نِدٌّ لهذا الرجل فَردّ عليه معانيه وألصقها به، ففخر بيوم بدر بالنصر على المشركين والرَّسول ﷺ شاهدٌ على ذلــك، وكانــت هزيمتكم يوم بدر أحاديث للناس وأمثال وعِبَرْ، ونحن نحضر اليأس والحــرب إذا نزلت بنا فلا نخاف، وقال كعب بن مالك يرثى حمزة ﷺ وشهداء غــزوة أحــد فيقول[3] :

نَشَــجْتَ وهَــل لــك مــن مُنشِــج وكَنــتَ متــى تَــذَّكرِ تَلْجَــجِ[4]
تَــذكُّرَ قَــومٍ أتــاني لهُــم أَحَاديــثُ فــي الــزَّمنِ الأعْــوَجِ
فَقَلْبُــكَ مِــن ذكــرهم خــافقٌ مِــن الشــوق والحَــزَنِ المُنْضــجِ
وَقَــتلاهمُ فــي جنــانِ النَّعِــيم كِــرَامُ المَــدَاخلِ والمَخْــرجِ
بمــا صــبروا تحــت ظــلِّ اللــواءِ لــواءِ الرَّســول بــذي الأهــوجِ
غَــدَاةَ أجابــتْ بأســيافها جميعــاً بنُــو الأوْس والخــزرجِ
وأشــياعُ أحمــدَ إذ شــايعوا على الحــق ذي النــور والمــنهجِ
فَمَــا برحُــوا يضــربونَ الكُمَــاةَ ويمضُون فــي القَســطَلِ المُــرْهَجِ
كَــذلِك حَــق دعَــاهُم مليــكٌ إلــى جَنــة دوحَــة المــولج

---

[1] – الشعب : الأرض الوعرة. الرّسل: الدواب الخائفة.

[2] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص47.

[3] – المصدر السابق، م2، ج3، ص48.

[4] – تلجج :تخاف.

فكلهـــم مَـــاتَ حُـــرَّ الـــبلاء عَلـــى ملـــةِ اللهِ لـــمَ يحْـــرجِ
كَحَمْـــزة لمـــا وفّـــي صَـــادقًا بـــذِي هَبَّـــةٍ صَـــارم سُـــلحجِ
فَلاقـــاهُ عبـــدُ بنـــي نَوفَـــل يُبربـــرُ كَالجمـــل الأدعـــجِ[1]
فَـــأوجرهُ حَربـــةً كالشِّـــهَاب تلهَـــبُ فـــي اللَّهـــب المُـــوهَجِ[2]
وَنعمـــان أوفـــى بميثاقـــه وحَنظلـــهُ الخيـــر لـــم يُحْـــنَجِ
عَـــن الحَـــق حَتـــى غـــدت روحـــه إلَـــى مَنـــزلٍ فـــاخِرِ الزبـــرجِ
أُولئـــك لا مِـــن ثـــوى مِـــنكمُ من النّـــار فـــي الـــدّرك المـــرتجِ

فقال ضرار بن الخطاب الفهري يرد على كعب بن مالك[3] :

أيجـــزع كعـــبٌ لأشْـــياعِه ويبكـــى مِـــن الـــزَّمن الأعْـــوجِ
عَجِـــيجَ المـــذكِّي رَأى إلْفَـــهُ تـــروّحَ فـــي صـــادرٍ مُحْـــنَجِ
فَـــراح الرَّوايـــا وغَادرنـــه يعجعـــج قسْـــراً ولـــم يحـــرجِ
فَقـــولا لكعـــب يثنِّـــى البكـــا وللنيـــئ مِـــن لحمِـــه ينضَـــجِ
لمِصْـــرع إخوانـــه فـــي مَكَـــرٍّ مـــن الخَيـــل ذي قَســـطل مُـــرهجِ
فِيـــا لَيـــت عَمـــراً وأشـــياعهُ وعُتبـــةَ فـــي جمعنـــا الســـورجِ
فَيشـــفوا النفُـــوس بأوْتارهـــا بقَتلـــى أُصِـــيبت مِـــن الخـــزرج
وقتلـــى مِـــن الأوْس فـــي مَعْـــركٍ أُصِـــيبوا جمَيعـــاً بـــذي الأصـــوج
وَمقتـــل حمـــزة تحـــت اللـــواء بمطـــردٍ مـــازنٍ مـــخُلجِ
وَحيـــث انثنـــى مصـــعب ثاويـــاً بضـــربةٍ ذِي هَبـــةٍ ســـلججِ
بَأُحـــدٍ وأسْـــيافنا فـــيهم وتلهَـــب كاللهـــب المـــوهجِ
غَـــداةَ لقينـــاكُمُ فـــي الحديـــد كأسَـــد البـــراحِ فلَـــم نُعـــنجِ
بِكُـــل مُجَلَّحـــةٍ كالعُقـــاب وأجْـــرد ذِي ميعـــة مُسْـــرَجِ
فَذسْـــناهم ثُـــم حَتـــى إنثنـــوا سَـــوى زَاهـــق الـــنفْس أوْ محْـــرجِ

---

[1] – يبربر: يتكلم كثيراً بلا فائدة.

[2] – الموهج: اللهب الشديد .

[3] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص48 .

فهذه قصيدة لعبد الله بن الزِّبَعرَى يرثى فيها قتلى المشركين[1]:

ألا ذرفــت مــن مُقلتيــك دُمــوعٌ ... وقَد بَان مِن حَبل الشّــباب قُطــوعُ[2]

وَشَطّ بمَن تهوى المــزار وفرقَــتْ ... نــوى الحَــي دَارٌ بالحبيــب فَجــوعُ

ولَيس لما ولَى علــى ذي حــرارةٍ ... وإن طَال تــذارف الــدُّموع رجــوعُ

فَذرْ ذا، ولَكن هَــلْ أتــى أمّ مَالــك ... أحَاديــث قَــومي والحَــديث يشــيعُ

وَمجنبنا جُردًا إلــى أَهْــل يثــربٍ ... عنَــاجِيجُ مِنهَــا مُتلــدٌ ونزيــعُ

عَشِــية سِــرنا فــي لُهــام يقُودُنــا ... ضَرُورُ الأعَــادِي للصّــديق نفــوعُ

نَشُــد علَينــا كــل زغــفٍ كأنهــا ... غَــدير بضــوج الــوادِيَيْن نَقيــعُ

وَودوا لَو أن الأرْض تنشق ظَهرُهــا ... بهِــم وصَــبور القــوم ثــم جَــزوعُ

وَقد عُرِّيتْ بِــيضٌ كَــأن وميضَــها ... حَرِيقٌ تَرَقَّــى فــي الآبــاء ســريعُ

بِأيماننــا نعْلــو بهــا كُــل هامــةٍ ... ومِنهــا سِــمامٌ للعَــدُو ذريــعُ

فَغادَرن قَتْلى الأوسِ عَاصِــبةً بهــم ... ضِــباعٌ وَطَيــرٌ يعتفــين وُقــوعُ

وَجمع بني النجّار فــي كــل تلعــةٍ ... بأبــدانهم مــن وقعمــن نجيــعُ

ولَولا علو الشّعب غَــادرن أحْمــداً ... ولكــنْ عَــلا والسَّــمهَريُّ شــروعُ

كَما غادَرت في الكَر حمــزَة ثاويــاً ... وفي صَدره ماضــي الشــباهِ وقيــعُ

وَنعمان قَد غــادَرن تحْــتَ لوائــه ... علــى لحْمــهِ طَيــرٌ يُحفْــن وقُــوعُ

بِأحــدٍ وأرمَــاحُ الكمــاةُ يَــرُدنَهُم ... كَما غــالَ أشــطانَ الــدِّلاء نُــزُوعُ

ويقول حسّان بن ثابت رداً على ابن الزِّبَعرَى[3]:

أَشَــاقكَ مــن أم الوليــد ربــوعُ ... بَــلا قِــعُ مَــا مــن أهْلهِــن جميــعُ

عفا هُن صــيفيُّ الريَــاحِ وواكــفٌ ... من الدلو رجَّــافُ السّــحابِ هُمــوعُ

فلَم يبــقَ إلا موقِــدُ النّــار حَولــه ... رَواكــد أمثْــال الحمــام كنــوعُ

فَدع ذكر دَارٍ بــدَّدت بــين أهلهــا ... نــوى لمِتينــات الحِبــال قَطُــوعُ

---

[1] – السيرة النبوية، لابن هشام، م2، ج3، ص 49.

[2] – ذرفت: سقطت، بان: ظهر.

[3] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص50 .

وَقُــلْ إن يكــنْ يــومٌ بأُحــدٍ يعُــدُّهُ ... ســفيهٌ فــإن الحــق ســوف يشــيع
فَقد صابرتْ فيه بَنُــو الأوس كُلُّهــمْ ... وكــان لَهُــم ذِكــرٌ هنــاكَ رفيــعُ
وَحامَى بنو النجار فيــه وصــابروا ... وما كَان منهم فــي اللِّقــاء جــزوعُ
أمَــامَ رسُــول الله لا يخذُلونــه ... لهُــم ناصــرٌ مِــن ربهِــم وشَــفيعُ
وَفَــوا إذ كَفــرتُم ياســخينَ بــربِّكم ... وَلا يسْــتوي عَبــدٌ وَفــيٌ ومُضــيعُ
بأيدِيهم بِــيضٌ إذا حَمَــش الــوغَى ... فَــلا بُــدَّ أن يَــرْدَى لهُــن صــريع
كَما غَادرتْ في النقْع عُتبــة ثاويــاً ... وسَــعْداً صــريعاً الوشِــيج شُــروعُ
وَقد غَادَرت تحْت العَجاجــةِ مُســنداً ... أُبيَّــاً وقــد بَــلّ القمــيصَ نجيــعُ
بِكُفِّ رسُــولِ الله حَيــثُ تنصَّــبت ... عَلى القَومِ مِمَّــا قَــد يُثِــرْنَ نقــوعُ
أوْلئك قــومٌ سَــادةٌ مِــن فُــروعكم ... وَفــي كــل قــوم سَــادةٌ وَفــروعُ
بِهــن نُعِــزُّ الله حتــى يُعِزَّنــا ... وإن كَــان أمْــرٌ ياســخين فظيــعُ
فَلا تَذكروا قَتْلــى وَحَمــزةُ فِــيهِم ... قتيــلٌ ثــوى للَّــه وَهــو مُطيــعُ

وهذه قصيدة لعمرو بن العاص في غزوة أحد يقول فيها[1]:

خَرجْنــا مِــن الفيفــا عَلــيهم كَأننــا ... مع الصُّبح من رضوى الحبيكُ المُنطَّقُ
تَمنَّت بنُــو النجَّــارَ جهْــلاً لقاءنــا ... لذَى جنبِ سَــلْعٍ والأمــانِيُّ تَصْــدُقُ
فمــا رَاعَهُــم بالشّــر إلاّ فَجْــاءةً ... كراديسُ خَيلٍ فــي الأزِقِّــةِ تمْــرقُ

فأجابه كعب بن مالك[2]:

أَلا أبلِغــاً فِهْــراً عَلــى نَــأْى دَارهــا ... وعِندهم من عِلمنا اليــوم مَصْــدقُ
بِأنَّا غداة السَّــفْح مــن بطــن يثــرب ... صَــبرنا ورايــاتُ المنِيَّــةِ تخفــقُ
صَبرنا لهُــم والصَّــبر منّــا سَــجيةً ... إذا طَارتِ الأبْرَامُ نَســمُو ونرْتُــقُ[3]

تجد في الأشعار السابقة الحمية الجاهلية لدى شعراء الكفّــار، فكــان فخــراً ببطولتهم وزهواً بانتصاراتهم، وشماتتهم بقتلى المسلمين وإدراكاً بثأر بدر، وهــذا الشِّعر على صورته الجاهلية التي لم يَمْسَسْها أثر من دين، بهذه الحالة صُــورت

---

[1] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص51.

[2] – المصدر السابق، م2،ج3، ص51 .

[3] – طارت الأبرام: انحلّت العهود التي أبرمت.

أحداث أُحُد، وظهر المعنى الإسلامي في لمسات خفيفة وترديدات لمعانٍ وتراكيب إسلامية وقرآنية جديدة على الشِّعر والشُّعراء الإسلاميين، عند حسّان بن ثابت وكعب بن مالك في براعتهما بالتصوير الفني للغزوات وما يدور فيها من أحداث، وتجد مع كل ذلك التوفيق الذي حالف حساناً وكعباً في تناول المعاني الإسلامية، ومع ذلك لم يستطع الشُّعراء أن يفيدوا الإفادة التامة من آيات الله تعالى الستين من سورة أل عمران في وصف أحد ومصاب المسلمين، فالآيات القرآنية في غزوة أحد، قد تناولت كل ظروف المعركة وملابساتها وتفصيلاتها، فقد بيَّنت أسباب الهزيمة، وعينت في الوقت ذاته طريق النصر وعاتبت المسلمين، وعَنّفْتْهُمْ حيناً، ثم التمست لهم العذر في وقت آخر، فكشفت أمر المؤمنين فجعلتهم على بيّنة وفضحت المنافقين وأشارت إلى مكائدهم وألاعيبهم، فوصفت القتال، وبينت هول المعركة، وفزع الناس، ثم مَسَحَتْ على قلوب المؤمنين بالطمأنينة والأمن، وبيّنت أجر الشهداء ومقامهم في النعيم الخالد، وسعيهم بفضل الله ورضوانه[1]، أما الشِّعر فلم يتطرق إلى الذي تطرقت إليه الآيات القرآنية، فقد كان يحوم في أُفُقٍ ضيق وحيِّز محدود، ذلك هو مجال نشاطه وقدرته، فقد تمثل في الفخر والهجاء والرثاء، وأكثر ما دار حوله هو المُناقَضة التي حدثت بين الشُّعراء، ومهما يكن للشعراء لن ولم يبلغوا المَبلغ الذي بلغته الآيات القرآنية في التصوير الشامل والصياغة الرائعة للأحداث الإسلامية.

غزوة الخَندق : وتسمى أيضا بغزوة الأحزاب التي حدثت في السنة الخامسة للهجرة في شهر شوال[2]، فقد كانت هذه الغزوة متصلة بغزوة بني قريظة التي كانت قبلها، وذلك " أن نفراً من اليهود ونفراً من بني وائل، هم الذين خرّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قُريش مكة، فدعوْهم إلى

---

[1] – ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، الجبوري، ص278– 279. وفي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص107، 108.

[2] – ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، م2، ج3، ص88. وتاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية إلي نهاية الدولة الأموية، د. عبد علي ياسين، ص111، 112. والفصول في السيرة الرَّسول، لابن كثير، ص163.

حرب رسول الله ﷺ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه، وأن دينكم خير من دينه، فنشطت قُريش لحرب رسول الله ﷺ، وأخذ هؤلاء النفر من اليهود يدعون غطفان إلى حرب رسول الله ﷺ[1]، فلما سمعهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرَبَ الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه"[2]، وغزوة الخندق دار فيها سجال بين المسلمين والمشركين، منها ما حدث بين ضرار بن خطاب الفهري، وكعب بن مالك حيث قال ضرار بن الخطاب الفهري وهو من المشركين[3]:

وَمُشْفَّقةٍ تظن بِنَا الظُنونا ... وقَد قُدْنا عَرَنْدَسَةَ طحونَا[4]
كأنّ زهَاءها أحُدٌ إذا ما ... بَدَتْ أركانُه للناظرينَا[5]
تَرى الأبْدانَ فِيها مُسْبِغَاتٍ ... عَلى الأبطَال والْيَلَب الحَصينَا[6]
وَجُرداً كالقِداح مُسّوماتٍ ... نَؤُمُّ بها الغُواة الخَاطئينَا
كَأنهُمُ إذا صَالُوا وَصُلْنا ... بِباب الخنْدقَين مُصَافِحُونَا
أُناسٌ لا نرَى فِيهم رَشيداً ... وَقَد قَالُوا ألسْنا رَاشدينَا
فأحْجَرْناهُم شَهراً كريتا ... وكُنا فَوقهُم كالقَاهرينَا[7]
نُراوحهُم ونغدو كُلّ يَوم ... عَليهِم في السِّلاحِ مُدججينَا
بأيدينا صَوارمُ مرْهفاتٌ ... نقدُّ بها المفَارق والشؤونَا
فَلولا خنْدقٌ كَانوا لدَيه ... لَدَمّرنا عَليهم أجمعينَا
وَلَكنْ حَال دُونهمُ وكَانوا ... به مِن خَوْفِنَا متعَوذِينَا
فَإنْ نرحَلُ فإنّ قَد تَركنا ... لَدَى أَبياتكُم سَعداً رَهينَاً

---

[1] – ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، م2،ج3، ص 158 ، 159.

[2] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص89.

[3] – المصدر السابق، م2،ج3، ص111 ، 112.

[4] – عرندسة : شديدة قوية .

[5] – زهاءها :تقدير العرء.

[6] – الأبدان : الدروع، اليلب :– الاحسام.

[7] – كريتا : الرمل .

فأجابه كعب بن مالك فقال[1] :

وَســـائلةٍ تُســـائل مـــا لقَينـــا ولـــو شَـــهدتْ رَأتنـــا صـــابرينَا
صَـــبرنا لا نـــرى لله عِـــدْلاً علـــى مـــا نابنـــا متوكّلينَـــا
وَكان لنـــا النبـــيُّ وزيـــرَ صِـــدقٍ بـــه نعلـــو البَريـــة أجْمعينَـــا
نُقَاتـــل معشـــراً ظَلَمـــوا وعَقُّـــوا وَكَـــانوا بالعَـــدَاوة مرصِـــدِينَا
ترَانـــا فـــي فضَـــافض سَـــابغاتٍ كغُـــدران المَـــلا مُتسَـــربلينَا[2]
بِبـــابِ الخَنـــدقَين كـــأنَّ أُسْـــداً شَـــوابكُهُنَّ يحمـــين العرينَـــا
لِننْصُـــر أحمَـــداً وَاللهَ حَتـــى نَكُـــونَ عبـــادَ صِـــدقٍ مخلصـــينَا
وَيعلم أهـــلُ مكـــةَ حِـــين سَـــاروا وأحْـــزابٌ أتـــوا مُتَحزِّبينَـــا

القصيدة الأولى لضرار بن خطاب الفهري، تناول فيها المسلمين ووصف فيها الحرب، والقصيدة الثانية يُلاحظ أنه لنظم آي القرآن ومعانية وتأثير الإسلام كـان واضحاً، ودارت كثير من النَّقائض في هذا اليوم يقول عبد الله بن الزِّبعْرى فـي قصيدة لم تبتعد عن النظام الجاهلي، حتى حسّان جاراه في النظام الجاهلي يقـول عبد الله بن الزِّبَعرَى وهذا مطلعها[3] :

حَيِّ الذيار مَحَـا مَعَـارِفَ رسـمها طُـول الـبَلاء وتـرَاوحُ الأحقـابِ

بعد هذا الافتتاح بالّنسيب، وذكر الأطلال وبعد عدة أبيات يقول[4] :

جـــيشٌ عُيَيْنَـــةٌ قاصـــدٌ بلوائـــه فيـــه وَصـــخرٌ قائـــدُ الأحـــزابِ
قَرْمـــان كَالبـــدْرين أصْـــبح فيهمـــا غَيـــث الفَقيـــر ومَعقـــلُ الهُـــرّابِ
حَتـــى إذا ورَدوا المدِينـــة وارْتَـــدوا للمَـــوت كُـــلَّ مجـــرّبٍ قضـــاب
شَـــهراً وعَشـــراً قـــاهرين محَمـــداً وصحابُه في الحرْبِ خَيـــر صِـــحَاب
نَـــادوا بِـــرحْلتهم صَـــبيحة قلـــتُمُ كِـــدنا نكُـــون بهـــا مَـــع الخُيـــّابِ
لَولا الخنادِقُ غَـادَرُوا مـن جَمعِهِـم قَتلـــى لطَيْـــرِ سُـــغَّبٍ وذئـــابِ

---

[1] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص112.

[2] – متسربيلنا : تائهين .

[3] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص113.

[4] – السيرة النبوية، ، م2،ج3، ص113. وتاريخ النَّقائض، أحمد الشائب، ص160 ،161.

ويقول حسّان بن ثابت يرد عليه في قصيدته التي مطلعها[1]:

هَــل رســم دارســةِ المقَــام يَبَــابِ مُـــــتكلِّم لمحـــــاور بجـــــوابِ

أي أن الذين جاءوا لقتال رسول الله ﷺ وانتهاب الغنائم، قد ردّ الله عز وجـل كيدهم، وأرسل عليهم جنوداً لم يَرَوْها وريحاً عاصفة فرقت جمعهم والصورة التي دارت عليها القصيدة بأغلبها مقتبسة من سورة الأحزاب في القرآن الكريم، يقـول حسّان بن ثابت في ردِّهِ على ابن الزِّبَعرَى[2]:

وَاشكُ الهُموم إلي الإلــه وَمــا تَــرى مِن معشر ظَلَموا الرَّســول غضــابِ
سَــاروا بــأجْمعهم إليــه وألَبّــوا أهــل القُــرى وبَــوادِيَ الأعــرابِ
جَــيشٌ عُيينــةُ وابــن حــربٍ فــيهمُ متخمِّطــــون بحلبــــة الأحــــزابِ
حتَّــى إذا وَرَدُوا المَدِينــة وارْتجــوا قتْلــى الرَّســول ومغــنمَ الأســلاب
وَغَــدوا عَلينــا قَــادرِين بأيــديهِم رُدُّوا بغــيظهُم عَلــى الأعْقــابِ
بِهُبُــوبِ مَعصــفةٍ تفــرق جَمعَهــم وجنــودِ ربِّــك سَــيِّدِ الأربــابِ

ثم يقول:

فَكفَــى الإلــهُ المــؤمِنين قتــالهُمْ وأثابهُم فــي الأجْــر خيْــرَ ثــوابِ

فهذا البيت الأخير مقتبس من القرآن الكريم، وهذا تصديقاً لقول الله عز وجل: ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾[3]، وهذه صورة مقتبسة من القرآن الكـريم، فهـذه الأبيات هي التي كانت متصلة بالموضوع، وأكثر القصيدة فخر عام وتصوير لقوة قومه، وجيوشهم وعتادهم وغنائمهم في الحـروب والغـزوات، فهـذه النَّقـائض صورت روحين أو عصرين (جاهلي و إسلامي) من حيث المعـاني والغايـات، ولكنها ذات أسلوب جزل قوى يصور معركة قوية قامت على قوة عقيدة المسلمين،

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج2، ص113.وشعر المخضرمين وأثر الإسـلام فيـه، يحيـى الجبـوري، ص281.

[2] – السيرة النبوية، م2، ج3، ص113. وشعر المخضرمين، ص281.

[3] – سورة الأحزاب، الآية: 25.

وفشل الأحزاب الأخرى فيما حاولوا الوصول إليه، وقد قال حسّان بن ثابت في بني قريظة[1] :

تفَاقَدَ مَعْشَرٌ نصروا قُريشاً ولَيسَ لهم ببلد فيهم نصيرُ[2]
هُم أُتوا الكتَاب فضَيّعوه وَهم عُميٌ من التوراة بُورُ[3]
كَفرتم بالقُرانِ وقَد أتَيتُم بتَصديق الذِي قَال النذيرُ
فَهان على سَرَاة بني لُؤيّ حَريقٌ بالبويرةِ مُستطيرُ[4]

حسّان بن ثابت هنا رماهم بالتفرقة دعاءً عليهم، وبأنهم لا نضير لهم في يثرب، وأنهم ضيعوا كتابهم وكفروا بالقرآن مع الإشارة إليه في الزَّبور فبهذا المعنى أجابه أبو سفيان بن الحارث[5]:

أدَام الله ذَلك من صنيعٍ وحَرَّق في طَرائقها السَّعيرُ
سَتعلم أيُّنا منها بِنُزْهٍ وتعلم أيّ أراضِينا تَضيرُ[6]
فَلو كان النخيلُ بها رِكاباً لقَالوا لامَقَام لكُم فسِيرُوا

أبو سفيان ينكرُ على حسّان اعتزازه بعقاب قريظة، ويلفته إلى أن ذلك لا يضر قريشاً، وإنما يضر الأنصار، وأجاب حسان بن تابث أيضاً ابن جوّال التغلبي[7]، الذي بكى بني النضير وبنى قريظة فقال[8]:

أَلا يا سَعْدُ سعدَ بَني مُعَاذ لِماَ لقيتْ قريظةُ والنضيرُ
لَعمْرك إن سَعدَ بني مُعاذ غداةَ تحمَّلُوا لهو الصَّبورُ
فَأمَّا الخزْرجِي أبو حُباب فقَال لقَينُقَاعَ: لا تِسيرُوا

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص121. وتاريخ النَّقائض، أحمد الشائب، ص 162 ،163.

[2] – تفاقدوا : فقد بعضهم بعضاً .

[3] – بور : ضلال وهلاك.

[4] – سراة : أخيار، البويرة :موضع بني قريظة .

[5] – هو: سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.ينظر: والأبيات في السيرة النبوية، لابن هشام، م2،ج3، ص121.

[6] – النزة هو البعد.

[7] – لم اعثر على ترجمته.

[8] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص121.

وَبُـــدِّلت المـــوَالي مِـــن حُضَـــيرٍ أُسَـــيْداً والـــدَّوائرُ قَـــد تـــدورُ
وَأقفـــرتَ البـــويرةُ مـــن سَـــلامٍ وسَعَيه وابـــن أخْطَـــب فهـــي بُـــورُ
وَقـــد كَـــانوا ببلـــدَتهِم ثِقَـــالاً كَمـــا ثقُلـــت بِميطَـــانَ الصـــخورُ[1]

يبكى ابن جوال التغلبي صرعى قومه، ويذكر أعيانهم وشيوخهم، ويشـير بمجدهم، وينعى على الأوس تخاذلهم عن حماية جيرانهم الأولـين مـن يهـود، واستكانتهم للخزرج وقريش، ولما جاء صلح الحديبية الذي دار في آخر سنة 6هـ " والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سُهيل بن عمرو"[2]، وما أعقبه من هدنة الرَّسـول وأهل مكة " وما جرى عليه أمرُ قوم من المستضعفين بعد الصـلح، قصـة أبـي بصير"[3]، فقال أبو أُنَيْس موهب بن رباح حليف بني زُهْرة وهو أشعري[4]:

أَتـــان عَـــن سُـــهيل ذَرء قَـــولٍ فَـــأيقطني ومَـــابي مِـــن رُقَـــادِ
فَـــإن تكـــن العتـــابَ تُريـــد مِنـــي فعَـــاتبني فمَـــا بـــك مـــن بِعـــادي
أَتوعَـــدتني وعَبـــدُ منـــاف حَـــولي بِمخْـــزوم ألهْفِـــا مِـــن بِعـــادِي
فَـــإن تغْمِـــزْ قَنـــاتي لا تجـــدْني ضَعيف العُودِ فـي الكُـرَبِ الشِـدادِ
أُسَـــامي الأكْـــرمِين أبـــاً بقَـــومي إذَا وَطـــئ الضـــعِيفُ بهِـــم أُرادِي

فأجابه عبد الله ابن الزِّبَعرَى فقال[5] :

وأُمسِـــي موهَـــب كحمَـــار ســـوءٍ أجَـــاز ببلـــدةٍ فيهـــا ينـــادِي
فَـــإن العَبـــدَ مثلـــك لا يُنَـــاوي سُهيلاً ضَـلَّ سَـعيُك مـن تُعَـادِي
فَأقصرْ يَـا بـنَ قَـيْن السـوءِ عَنـه وَعَـدِّ عـن المقالـةِ فـي الـبلادِ
وَلا تـــذكر عِتـــاب أبـــي يزِيـــد هَيْهـــات البحُـــورَ مِـــن التِّمـــادِ[6]

---

[1] – ميطان :الثقيل من الصخور الكبيرة.

[2] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص141.

[3] – القصة بالكامل في السيرة النبوية، ابن هشام، م2،ج3،ص150 ،151..

[4] – ينظر المصدر السابق، م2، ج3، ص 151 .

[5] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص153. وتاريخ النَّقائض، أحمد الشائب، ص 164.

[6] – الثماد :الماء القليل.

المُناقَضة داخلية بين رهطين من قُريش بمكة، لأن القاتل التجأ إلي المدينة أخيراً بموافقة قريش، فبقي الأمر بين عامر بن لؤي وسائر قريش، فأما أبو أنيس فأنكر طلب سهيل ووعيده وتهدده، وفخر عليه، فانبرى له عبد الله بن الزِّبَعرَى فهجاه ونزّل به عن سهيل.

وفي غزوة خيبر كانت المُناقَضة الشعرية في أوج قوتها، فقد كان شعار أصحاب الرَّسول الله ﷺ يوم خيبر" يا منصور أمِتْ أمِتْ"[1]، وقد حدثت فيه مُناقَضة بين مرحب اليهودي[2] وكعب بن مالك، فعندما خرج مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه وهو يقول[3]:

قَد عَلِمَت خَيبرُ أني مَرْحَبُ شاكِي السلاحِ بَطَلٌ مُجَرّبُ
أطْعُنُ أحْيانا وحينا أضْرِبُ إذا اللّيُوثُ أقبلت تَخَرّبُ
إن حِمَاي للحِمى لا يُقْرَبُ يُحْجِمُ عن صولتي المجرِّبُ

وهو يقول من يبارز؟، فأجابه كعب بن مالك[4] :

قَد علِمَت خيبر أنى كعْبُ مُفَرّجُ الْغَمِّي جرئٌ صُلْبُ [5]
إذ شَبّت الحَرْبُ تلتها الحَرْبُ معِي حُسامٌ كالعقيق عَضْبُ[6]
نَطْؤكم حَتى يَذلَّ الصَّعبُ نعْطِى الجَزاءَ أو يفِئُ النهبُ[7]

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص157.

[2] – لم أعثر على ترجمة.

[3] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص157. وتاريخ النَّقائض، لأحمد الشائب، ص145.

[4] – المصدر السابق، م2،ج3، ص156–157.

[5] – الغما : القوة الشديدة .

[6] – حسام : السيف.

[7] – نطؤكم : نحُاربكم، وهناك ثلاث أبيات مختلفة الرواية في السيرة قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري، ثم ذكر الأبيات، السيرة، ابن هشام، م2،ج3، ص157 .

بكَفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

يفخر مرحب اليهودي ويقول إن خيبر علمت أنَّ اسمى مرحب لِماَ فعلتُ فيها من المذابح، حتى السلاح يشهد أنَّي بطل مُجرّب الحروب، في الحرب أطعن وأضرب مثل الليث، فهو يفخر بنفسه ويباهى بها، فأجابه كعب بن مالك ففخر أن خيبراً تعرف اسمه، وإذا شبّت الحرب معي السيف الحاد الجريء ونحاربكم حتى نجعلكم أذلةً صاغرين.

فتح مكة: دارت رحاها في سنة 8 هـ في شهر رمضان[1]، قال ابن هشام في السيرة قال ابن إسحاق: " ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثته إلي مؤتة جمادي الأخر ورجب"[2] فقد كان المسوغ لفتح مكة ومسير رسول الله ﷺ إليها فاتحاً منتصراً، فقد ذكر ابن هشام ،الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة، ثم أورد خبر نقض قُريش وبني بكر العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وذلك بما استحلوا من خزاعة، فقد كانت في عقد رسول الله ﷺ وعهده، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي[3]، فورد المدينة على رسول الله ﷺ فأنشده متسنجداً ومستعيناً وذاكراً إسلامهم وثباتهم على الدين فقال[4] :

يَا رب إني ناشدٌ محمداً حِلْفَ أبينا وأبيه الأَتلدَا
قَد كنْتم وُلْداً وكنا وَالدَا ثُمَّتَ أسْلمنا فلم ننزع يدَا
فَانصر هَداك الله نَصراً اعْتدا وادع عِبادَ الله يأتوا مددَا
فيهم رسُولُ الله قد تجردا إن سِيم خسفاً وجهُه تربدَا

إلى أن يقول ذاكراً تمسكهم بالإسلام :

وزعَمُوا أن لَستُ أدعُوا أحَداَ وَهُم أذلَ وَأقلُ عَددَا
هُمْ بيَّتونا بِالوتير هُجَّدا وقَتلُونا رُكّعاً وسُجّدَا

---

[1] – ينظر: السيرة النبوية م2،ج4، ص203. وتاريخ صدر الإسلام من البعثة النبوية إلي نهاية الدولة الأموية، د.عبد علي ياسين، ص110. والفصول في سيرة الرَّسول ﷺ، ابن كثير، ص195.

[2] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص203.

[3] – لم أعثر على ترجمة وافية له.

[4] – السيرة النبوية م2،ج4، ص206.

وقد قيل في فتح مكة نقائض كثيرة من هجاء وفخر ومدح ورثاء، وأهم وأجود ذلك الشِّعر هَمزيَّة حسّان بن ثابت رضي الله عنه[1] :

عِفـــتُ ذَاتِ الأصَـــابعِ فـــالجِواء إِلـــى عَـــذراء مَنزلُهـــا خَـــلاءُ
دِيـــار مِـــن بنـــي الحَسْـــحَاس قفـــرٌ تُعْفيِّهـــا الـــرَّوامسُ والسَّـــماءُ
وَكَانـــتْ لا يَـــزالُ بهـــا أنـــيسٌ خِـــلال مُروجِهـــا نَعَـــمٌ وشـــاءُ[2]

وهى قصيدة من خير قصائده في الإسلام ،وقد بدأها بداية جاهلية صِرفة، مـن يقرأ بدايتها لا يدرك أنها قيلت في الإسلام، فبدأ بذكر مواضع جاهلية شامية، فبدأ بذكر الأطلال، وذكر المواقع والخمر والنَّعم "هذا ما يلفت النظر ويثير التسـاؤل، فما بال حسّان يعود لذكريات الجاهلية، وما باله يتغنى ويحن إلى الخمـرة التـي حرمها الإسلام؟ وكل ذلك في يوم انتصار الإسلام وفي يوم له قـدره الـديني"[3]، وربما يكون هذا المطلع الجاهلي قد قيل في الجاهلية ثم نظّم بقية القصـيدة فـي الإسلام[4]، ويقول في نفس القصيدة[5]:

عَـــدَمْنَا خَيْلَنـــا إن لـــم تَروهـــا تثيـــر النقْـــعَ موعِـــدها كَـــدَاءُ
يُنـــازعن الأعِنّـــةَ مُصْـــغياتٍ عَلَـــى أَكتافهـــا الأسَـــلُ الظِمَّـــاءُ[6]
تَظـــل جِيادنـــا متمطِـــرَاتٍ يُلطِّمُهُـــنّ بـــالخَمر النِّســـاءُ
فإمـــاّ تُعرضُـــوا عَنـــاّ اعتَمرنـــا وكَـــان الفَـــتحَ وانكَشـــفَ الغِطـــاءُ[7]

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص226. وشعر المخضرمين وأثر الإسـلام فيـه يحيـى الجبـوري، ص286.

[2] – المروج:جمع مرج: وهو الأرض الواسعة ذات الكلاء، النّعم:الإبل وسموها بذلك لأنهـا أكثـر أموالهم ، والشاء النعم والأغنام.

[3] – شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحيى الجبوري، ص286.

[4] – ينظر: الشِّعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحيـى الجبـوري، ص286 .والسـيرة النبويـة م2،ج4، ص226 .

[5] – السيرة النبوية، م2،ج3، ص226.

[6] – ينازعن : يراد أن الخيل تجرى الأعنة، وذلك كناية عن سرعتها وقوتها، مصغيات:مسـتمعات، الاسل: الرماح، الظماء :العطش .

[7] – اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة، وانكشف الغطاء: ظهر ما كان خافياً.

وإلا فَاصْـــبروا لجـــلاد يَـــوم يُعـــينُ الله فيـــهِ مـــن يشـــاءُ[1]
وَجبريـــلٌ وَرسُـــولُ الله فِينـــا ورُوح القـــدسِ لـــيْسَ لـــهُ كِفَـــاءُ
وَقـــالَ اللهُ قَـــد أرْسَـــلْتُ عبـــداً يقـــول الحَـــق إن نفـــع الـــبَلاءُ
شَـــهدتُ بـــه فقُومُـــوا صَـــدقُوه فقُلـــتم لا نقُـــوم وَلا نشَـــاءُ

شتّان بين بداية القصيدة وهذه الأبيات، فالمقطع الذي قيل في الجاهلية وهو بداية القصيدة، قافيته الهمزة، والمقطع الإسلامي قافيته أيضاً الهمزة، وقد اتفقا في البحر أيضاً، فنظموها الرواة بالشكل الذي في ديوانه وفي السيرة النبوية لابن هشام، فقد وُفّق حسّان بن ثابت كل التوفيق في تصوير قوة المسلمين وعزتهم ونصر الله لهم وتأييد روح القدس، وإذا ذكر قومه ذكر فيهم المحامد الإسلامية فهم جند الله، الذين لهم في كل يوم جهاد بالسيف أو جهاد باللسان، وفي كليهما يظهرون على أعداء الله عز وجل، ومما جرى في هذه الغزوة ما كان جرى من عمرو بن سالم الخزاعي عندما قدم رسول الله ﷺ وذكر له نقض العهد كما مَرَّ سابقًا في هذا المبحث فلما كان الفتح، قال أنس بن زُنيم الديْلى[2] يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي[3] :

أأنتَ الـذي تُهـدَى مَعَـدٌ بـأمره بَـل الله يهْـديهِم وقـال لـك أشـهدِ
وما حمَلتْ مِن ناقة فَـوق رَحلهـا أبَـرّ وَأوْفـي ذِمَّـةً مـنْ محمـدِ[4]
أحَثَّ عَلى خَيـرٍ وأسـبغ نَـائلاً ذا رَاحَ كالسَّـيف الصَّـقيل المهنَّـدِ[5]
وَأكسَى لبُرد الخال قبْـل ابتذالـه وأعْطـى لـرأس السَّـابق المتجـرِدِ[6]
تَعلّمْ رسُـولَ الله أنـكَ مـدركي وَأن وعِيـداً مِنـك كالأخَـذ باليـدِ[7]
تَعلّـم رسُـول الله أنـك قـادر عَلـى كُـل صـرم مُتهمـين ومُنجـدِ

---

[1] – الجلاد : المضاربة بالسيف .

[2] – لم أعثر على ترجمته.

[3] – السيرة النبوية، م2، ج4، ص227.

[4] – الذمة : العهد .

[5] – أحث : أسرع، أسبغ : أكمل وأضفى، نائلاً : عطاءً.

[6] – الخال :أرض في اليمن .

[7] – تعلّم :معناه أعلم.

تعلّم بأن الركْب ركْـب عُـويمرٍ هُمُ الكـاذِبون المخْلفـو كُـلِّ موعـدِ
وَنبَّوا رسُـولَ الله أنـى هَجوتُـهُ فـلا حَملـتْ سَـوطي إلـيَّ يـدِي
سِوى أنَّنِى قَد قلْتُ ويـلُ أم فتيـةٍ أُصـيبوا بـنَحسٍ لا بَطلـقٍ وأسْـعُدِ[1]

فأنس الديلي مدح الرَّسول ﷺ واعتذر له بأسلوب مميز، ورمى عمرو بن سالم بالكذب والخيانة والغدر فيما أدعى من نقض العهد وهجاء الرَّسـول ﷺ ورمـى خزاعة بعدوانها، فأجابه بُديل بن عبد مناف بن أصرم[2] فقال[3] :

بَكى أنسٌ رزْنـاً فأعولَـهُ البُكَـا فـأَلاّ عَـدّياً إذا تُطـلٌ وتبعُـدُ
بَكيْتَ أبا عَـبسٍ لقُـرب دِمَائهـا فتُعذِرَ إذْ لا يـو قِـد الحَـربَ موقـدُ
أصَـابهُم يَـومَ الخَنـادم فِتيـةٌ كـرامٌ فَسـلْ مـنهُم نفيـلٌ ومَعبـدُ[4]
هُنالِك إنْ تسْفحْ دمُوعـك لا تُلـم عَليهم وَإن لم تـدمَع العـينُ فَاكمـدُوا[5]

ثم بعد فتح مكة كانت غزوة حُنين التي دارت رحاها في سـنة 8هـ وكـان النصر فيها حليف المسلمين، ففي هذا اليوم أو هذه الغزوة أسلم عباس بن مردَاس السلمي[6]، فقال في هذه الغزوة أبيات[7] :

إنـي والسَّـوابح يَـوم جَمـعٍ ومَـا ينلـو الرَّسـولُ مِـن الكتـابِ[8]
لَقـد أحْببـتُ مـا لقيـتْ ثقيـفٌ بجنب الشَّـعب أمـس مـن العـذابِ
هُم رأسُ العدَّو مـن أهْـل نجـدٍ فقـتلهُمُ ألـذُّ مِـن الشَّـرابِ

---

[1] – طلق :يقال يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا يرد .

[2] – لم أعثر على ترجمته.

[3] – السيرة النبوية، م2،ج4 ، ص228. وتاريخ النَّقائض، أحمد الشائب، ص168.

[4] – يوم الخنادم :يراد به يوم الخندمة وقد دارت فيه معركة .

[5] –. تسفح :تسيل، أكمدوا :الكبت.

[6] – ينظر: السيرة النبوية، م2،ج4، ص237. والفصول في سيرة الرَّسول، ابن كثير، ص204.

[7] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص253 .

[8] – يوم جمع : هو يوم مزدلفة، وهي المشعر الحرام أيضاً.

هَزمنا الجمْع جَمــع بنــي قَيســيٍّ وحَكّـــت بَرْكَهـــا ببَنـــي رِئـــابِ
وَصَــرماً مــن هِــلالٍ غَــادَرْتُهمْ بأوطَـــاس تُعفَّـــر بـــالترابِ
وَلوْ لاقَــين جمــع بنــي كــلابٍ لقـــام نِسَـــاؤهم والنَّقـــع كَـــابِي
رَكضنا الخَيل فــيهِم بــين بُــسٍ إِلـــي الأوْرال تَـــنْحِطُ بالنِّهـــابِ
بــذي لَجَــبٍ رسُــولُ الله فــيهم كتيبتُـــهُ تَعَـــرَّضَ للضّـــرابِ

فأجابه عطية بن عفيف النصري[1] فقال[2] :

أفــاخرةً رِفَاعــةٌ فــي حُنــينٍ وعَبــاس بــن راضــعة اللِّجــاب[3]
فإنــك والفَخَــارَ كــذاتِ مَــرْطٍ لربتهــا وَترفُــلُ فــي الإهــابِ[4]

عباس بن مرداس يفخر عليه بالنصر في يوم حنين، ويصفهم في قتلهم أنهم ألذ من الشراب فهزموهم يفضل الله عز وجل، وفي الوجه المقابل ينفي وينقض عنه عطية فخر حنين ويكذبه في ادعائه، وقال أبو ثواب زيد بن صُحَار[5] يهجو قريشاً في أعقاب حُنين وأبو ثواب زيد من بني قيس عيلان[6] :

أَلا هَل أتــاك أن غَلبــتْ قُــريشٌ هَــوازن والخُطــوبُ لهــا شــروطُ
وَكنــا يــا قُــريش إذَا غضِــبنا يجــيءُ مِــن الغِضَــاب دمٌ عبــيطُ[7]
وَكنــا يــا قُــريش إذا غَضِــبنا كَـــأن أنوفَنـــا فيهـــا سُـــعوطُ[8]
فَأصْـــبحنا تُســـوقُنا قُـــريشٌ سِــياقَ العِيــر يحْــدوها النبــيطُ[9]
فَلا أنــا إنْ سُــئلتُ الخَســفَ آبٍ وَلا أنـــا أنْ أَلِـــينَ لهُـــم نشـــيطُ
سَــينقُل لحْمهــا فــي كُــلِّ فَــجٍّ وتكتــب فــي مَسَــامعها القُطُــوطُ

---

[1] – لم أعثر على ترجة وافية.

[2] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص253. وتاريخ النَّقائض، أحمد الشائب، ص169 .

[3] – اللجاب :العنز.

[4] – الفخار :المفاخرة .

[5] – لم أعثر على ترجمته.

[6] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص263. وتاريخ النَّقائض،أحمد الشائب، ص168 .

[7] – الدم العبيط :الطرى والنبيط :قوم من العجم.

[8] – السعوط :ما يجعل في الأنف.

[9] – النبيط :قوم من العجم.

فأجابه عبد الله بن وهب فقال[1] :

بِشـــرط الله نضْـــربُ مَالقِينـــا كأَفْضـــل مـــا رَأيـــتَ مِـــن الشـــروطِ
وَكنـــا يـــا هَـــوازن حِـــين نلقـــى نُبـــلُّ الهـــام مِـــن عَلـــقٍ عبـــيطِ
بجمْعكـــم وَجمـــع بنـــي قَيســـيٍّ نحُـــكُّ البَـــرْكُ كَـــالورَق الخبـــيطِ
أَصـــبنا مِـــن سَـــرَاتِكُم وملْنَـــا يُقْتَـــلُ فِـــي المبَـــاين وَالخلـــيطِ

هذه حسرة قيس عيلان يصورها أبو ثواب، فقد ذهب الإسلام بنخوتها الجاهلية وحكم فيها قريشاً فلا ستطيع قيس عيلان الإفلات من هذا السلطان الجديد، فينقض عليه عبد الله بن وهب معانيه فيثبت للإسلام عزته، ويقابل الفخر بمثله، ويشمِّت بقيس وبطونها ويُوعدها بالإذلال الدائم، وتوالت القصائد والأشعار في تمجيد هذا اليوم العظيم الذي كان النصر فيه من نصيب المسلمين، يقول عباس بن مرداس السلمي[2]:

نَصَرنا رسُول الله مِن غضـبٍ لَـه بـألف كَمـيٍّ لا تُعـد حَواسِـرهُ[3]
حَمَلْنا له في عَامِـل الـرُّمح رايـةً يذُوذ بها في حَومـةٍ المَـوت ناصِـرهُ
وَنحْن خضـبنا دمـاً فهـو لوْنُهـا غداة حُنـينٍ يَـوم صَـفوان شـاجرهُ
وَكنـا عَلَـى الإسْـلام مَيمنَـةً لـهُ وكَـانَ لنَـا عَقـدُ اللِـواء وشَـاهرهُ

وقال عباس بن مرداس السلمي أيضاً[4]:

مِـن مبلـغ الأقْـوام أن محمَّـداً رسُـولَ الله رَاشـدٌ حَيـثُ يَمَّمَـا
دَعـا ربـه واستنصـر الله وحـدَهُ فأصْـبحَ قـد وَفّـى إليـه وأنعمَـا
سَـرَبْنَا وواعـدنا قُدَيْـداً محمَّـداً يـؤُم بِنـا أمْـراً مـن الله محكمَـا
تَمَاروا بنَا في الفجْرِ حَتـى تبَيَّنـوا مَـع الفجْـر فِتيانـاً وغابـاً مقومَـاً[5]

---

[1] – السيرة النبوية،م2،ج4، ص263. وشعر المخضرمين وأثر الإسلام، ص179.

[2] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص 258.

[3] – حواسره : وهو الذي لا درع له، يريد لا تعدُّ جُموع الذين لا دروع لهم.

[4] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص258 .

[5] – تماروا :شكو فينا، الغاب :الرماح .

عَلى الخيل مَشدُوداً علينـــا ورَجُـــلاً كَـــدفّاع الآتـــي عرمرمَـــا[1]
فَإن سَرَاة الحَـــي أن كنـــتَ سَـــائلاً سَـــليم وفـــيهم مِـــنهم مـــن تَسَـــلَّمَا
وجندٌ مِـــن الأنصَـــار لا يخْذلونَـــه أطَـــاعوا فمـــا يعصُـــونه مـــا تكلمَـــا
فَإن تَك قد أمّرْتَ في القَـوم خَالـداً وقَدَّمتَـــــهُ فإنـــــه قـــــد تقـــــدّماً
بِجنـــدٍ هـــداه الله أنـــت أمِيـــرُه تصِيب به في الحَق مَن كَـــان أظلمَـــا

وقال ضمضم بن الحارث[2] :

نَحنُ جَلبنَا الخيل من غَيـر مجْلـبِ إلي جُرَشٍ مِـن أهـل زيّـان والفَـمِ
نَقتـــل أشْـــبالَ الأسُـــود ونبتغِـــي طَـــواغي كَانـــت قَبْلَنـــا لـــم تُهـــدمِ
فَإنْ تفخرُوا بـــابْن الشّـــريد فَـــإنني تركْـــتُ بِـــوجٍّ مأتمـــاً بعْـــد مَـــأتمِ

وقال ضُمْضُمْ بن الحارث أيضاً[3] :

أبلـــغ لَـــدَيْكَ ذَوى الحَلائـــل آيـــةً لا تـــــأمنَنَّ الـــــدَّهر ذَات خِمـــــارِ
بَعـــد الـــذِي قالـــت لجـــارة بيتِهـــا قـــد كُنـــتُ لـــو لبِـــثَ الغَـــزيُّ بـــدارِ
لَمَّـــا رأتْ رجُـــلاً تَسَـــفّع لونُـــه وغـــرُّ المصـــيفَةِ والعظَـــام عَـــوَارِ

شعر الوفود: وتسمى سنة الوفود وهى سنة 9هـ، فبعد أن أنعـم الله عـز وجل على المسلمين بالنصر في فتح مكة وحنين والطائف، بدأت العرب تَفِد على رسول الله ﷺ معلنة إسلامها وولاءها، وذلك في سنة 9هـ، وقد قيل خـلال ذلـك شعر وفخر للقبائل الوافدة، وإن لم يكن هذا الشِّعر بكثير، إلا أن في بعض الأحيان فيه إشارات نقضيه وفخرية ولمحات دينية[4]، ومديحاً للرسول الكريم ﷺ والاعتذار

---

[1] – العرمرم : الكثير الشديد.

[2] – هو: ضمضم بن الحارث بن حشم بن عبد حبيب بن مالك بن عوف بن يفظة بن عصبية السلمي. والأبيات في السيرة، ابن هشام، م2،ج4، ص260 .

[3] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص260 .

[4] – ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص294. وتاريخ النَّقائض، ص171.والفصول فـي سيرة الرَّسول، ص213.

إليه، ومن ذلك ما جاء به كعب بن زهير في قصدته اللامية التي قالها حين قَـدِمَ على رسول الله ﷺ وقد اشتهرت وعرفت بالبردة يقول كعب بن زهير[1] :

بَانت سُعاد فقلبـــي اليـــوم مَتبُـــول متـــيمٌ إثرِهـــا لـــمْ يفـــد مكبـــولُ
وَما سُعاد غَداة البَـــين إذ رَحلـــوا إلا أغَنُّ غضيضُ الطَّـــرف مَكحـــولُ[2]
هَيفـــاءُ مُقبلـــة عجـــزاءُ مـــدبرةً لا يشـــتكِي قَصْـــرٌ منهـــا ولا طـــولُ[3]
تَجلو عَوارض ذِي ظلم إذا ابتْسَمتْ كَأَنَّـــه مُنهـــلٌ بـــالراح معلـــولُ

إلي أن يقول[4] :

نُبئـــتُ أن رسُـــول الله أو عـــد نى والعَفو عِنـد رسُـول الله مـأمولُ
مَهلاً هَداكَ الـذِي أعطَـاكَ نافلـــ ـة القُرآن فِيهـا مَـواعيظُ وتفْصـيلُ
لا تأخُـــذنِّي بـــأقوال الوشـــاة ولم أُذنِبْ ولَو كَثُـرتْ فـيَّ الأقاويـلُ
لَقد أقُـومُ مقامـاً لـوْ يقـومُ بـــ ـه أرى وأسمع مَا لـو يسـمعُ الفيـلُ
لَظَـلَ يرعَـدُ إلاَّ أن يَكـون لـــ ـه مِـن الرَّسـول بـإذْن الله تنويـلُ

ويقول[5] :

إن الرَّسـول لنَـورٌ يُستَضَـاءُ بـه مهنـدٌ مـن سـيُوفِ الله مَسـلولُ

وقد وفدت على رسول الله ﷺ وفود القبائل فمنها من أسلم وحسـن أسـلامه، ومنها من جادل ونافق، ومنها من ارتدَّ، وقد تَمّ الحديث عن القبائل المرتـدة فـي بداية هذا المبحث، وكان أهم تلك الوفود التي حَسُنَ إسلامها وفد بني تميم، فقد كان فيهم أشرافهم من سيادة القوم، فمن بينهم الزُّبْرقان بن بدر الشاعر المعروف فقـام الزُّبْرقان بن بدر مفتخراً بقومه في هذا اللقاء يقول[6] :

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص281، 282.

[2] – الأغن : الصبي الصغير الذي في صوته غنة.

[3] – هيفاء : ضامرة البطن والخصر.

[4] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص281. وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص224.

[5] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص281.

[6] – تاريخ النَّقائض، ص171، وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيـه، ص295. والسـيرة النبويـة م2،ج4، ص319.

نَحْن الكِـرام فـلا حـيٌّ يعادِلنـا مِنـاّ المُلـوكُ وفِينَـا تُنْصـبُ البِيـعُ[1]
وكم قَسَرْنَاَ مـن الأحْيـاء كُلهـمِ عِنـد النِّهَـاب وَفضـلُ العـزِّ يُتَّبَـعُ
وَنحْن يُطْعِمُ عِند القحـط مطْعمنـا مِـن الشِّـواء إذَا لـم يُـؤنس القـزعُ
بِما تَرى النَّـاس تأتِينـا سُـراتُهم مـن كُـل أَرضٍ هَوِيّـاً ثـم نصـطنعُ[2]
فَننحرُ الكومَ عُبطاً فـي أرومتنَـا للنـازِلين إذا مَـا أُنزلـوا شـبعُوا
فَمن يفاخِرنـا فـي ذاكَ نعْرفـه فيرْجـع القَـومُ والأخْبـار تُسْـتَمَعُ
إِذَا أبينـا ولا يَـأبى لنَـا أحَـدٌ إنـا كَـذلكَ عِنـد الفَخْـرِ نرْتفـعُ

فقد ادعى الزُّبْرقان بن بدر لقومه الكرم والفضل والرئاسة والسلطان والغلب، فهم يُطعمون عند المحل، ويفضلون الناس في ديارهم، وتنتشر مآثرهم بين القبائل، ولا تُرد لهم كلمة، ولاتُخفض لهم راية، فأجابه حسّان بن ثابت فقال[3] :

إنَّ الذَّوائب مـنْ فهـر وإخْـوتهِم قَـد بيَّنـوا سُـنَّةً للنـاس تتبـعُ[4]
يَرضى بهم كُلُّ من كَانت سَريريُّه تقْـوى الإلـه وكُـل الخَيـرِ يصـطنعُ
قومٌ إذا حَارَبوا ضـرّوا عَـدوهُمُ أو حَاولوا النفْـعَ فـي أشـياعهم نفعُـوا
أن سَابقوا النَّاسَ يوماً فازَ سَـبقهم أَو وَازنوا أهْـل مجْـدٍ بالنَّـدى متعُـوا[5]

إلى أن يقول[6]:

أَكرمِ بقَـومٍ رسُـولِ الله شِـيعتُهم إذَا تَفاوتَـتِ الأهـواءُ والشـيعُ
أهَدي لهُم مَدحَتي قلـبٌ يـؤازره فِيمَـا أحَـبَّ لسَـانٌ حَائـكٌ صَـنَعُ

فجاء رد حسّان عليه بما للرسولﷺ وقومه من مفـاخر الـدين والشـجاعة والخير، وسبق الناس إلى الفضائل والخير، ووجود الرَّسول ﷺ فيهم، وأنهم خير الأحياء بهذا الشرف العظيم، فسلك حسّان سبيل الموازنة، وفضَّل رهط الرَّسـول

---

[1] – البيع :مواضع العبادة .

[2] – هوياً :سباع .

[3] – شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، ص295. السيرة النبوية، م2،ج4،ص319.

[4] – الذوائب :السادة .

[5] – متعوا : زادوا .

[6] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص320.

ﷺ ولم يسلك سبيل الهجاء، فالمُناقَضة قامت على الفخر بين الشاعرين، وقد كثرت الوفود القادمة إلي المدينة لتدخل في دين الله عز وجل، ولم تكن الوفود كلها لتقول الشِّعر، غير أن في خبر بعضها شعراً سواء كان فخراً أو اعتذاراً أو هجاءً أو مدحاً، فمنه ما فيه الروح الدينية أو ذكر لرسول ﷺ، ومنه ما كان شعراً جاهلياً خالصاً لم يتأثر بالدين مطلقاً، ومنه ما كان الدخول في الإسلام والاعتذار عمَّا سبق، مثل ذلك ما قال حسّان بن ثابت في ابن الزِّبَعرَى[1] :

لا تَعْدَمَنْ رجُلاً أحلَّك بغضُه نجْران في عَيشٍ أحَذَّ لئيمُ[2]

فلمَّا بلغ هذا البيت ابن الزِّبَعرَى خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم فقال حين أسلم[3]:

يَا رسُول المليك إن لسَانـ ي راتقٌ مَا فَتقتُ إذ أنا بُورُ
إذ أُبارى الشَّيْطَان في سَنَن الغَـ يِّ ومَنْ مَالَ مَيلَهُ مَثبورُ[4]
آمن اللَّحمُ والعِظامُ لربِّي ي ثمَّ قَلبي الشَّهيدُ أنتَ النَّذيرُ
إنَّني عَنكَ زاجرٌ ثمَّ حَـ يَّا منْ لُؤيٍّ وكُلهمْ مغرورُ

ومن ذلك أيضاً وفد قبيلة فروة بن مُسيك المُرادي[5] وفِد على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة، ومباعداً، لهم إلى رسول اللهﷺ، وقد كان قُبَيل الإسلام بين (مراد – وهمدان)[6] وقعة ويوم يقال له يوم (الرّوم) فلما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة قال[7] :

لمَّا رأيت ملُوك كِندةَ أَعْرضتْ كالرجُل خَان الرَجُلَ عرقُ نسائهَا
قَرّبْتُ رَاحِلتي أؤُمُّ محمَّداً أرْجو فَواضلها وحُسن ثرائِهَا

---

[1] – السيرة النبوية، م2،ج4،ص223.

[2] – عيش أحَذَّ:القليل المنقطع .

[3] – السيرة النبوية، م2،ج4،ص223.

[4] – أباري: أعارض، السنَن : وسط الطريق.

[5] – هو: فروه بن مسيك بن الحارث بن مسلمة بن الحارث بن الذؤيب بن مالك بن منبه بن غطيف. ينظر: جمهرة انساب العرب، ابن حزم، ص406.

[6] – اسمان لقبيلتين .

[7] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص331 .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له رسول اللهﷺ :" يا فروة هل ساءُك ما أصاب قومك يوم الروم؟ قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الروم لا يسوءه ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ له: " أما إن ذلك لم يزد في الإسلام إلا خيراً"[1]، وقد قدم على رسول اللهﷺ وفد عمرو بن معد يكرب فأسلم وأمن بالرَّسول ﷺ فقال حين أسلم مخاطباً قيس بن مكشُوح المرادي[2] :

أَمرتك يوم ذي صَنْعَا ء أمْراً بَادياً رشدُهْ[3]
أَمرتك باتِّقاء الله والمعْرُوف تتعدُه
خَرجْتَ مِنَ المُنَى مِثل الحَميرِ غَرَّه وَتَدُهْ
تمنّانِي عَلَى فَرس عَليه جَالِساً أسدهْ

فلما توفي رسول الله ﷺ إرتَدَّ عمرو بن معد يكرب مكذباً وقال حين ارتد[4]:

وَجَدْنا مُلكَ فروة شَر مُلكٍ حِماراً سَاف مُنْخُره بثفَرِ[5]
وَكنتَ إذا رَأيتَ أَبا عُمير تَرى الحَولاءَ مِن خُبثٍ وَغدرِ

وقدم على رسول ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي[6] فأسلم وحَسُنَ إسلامه في وفد من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم بمن كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فصارت غزوة في هذا الحدث فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة فقد كانوا يَعْدُونَ في الشهر الحرام[7]:

---

[1] – المصدر السابق، م2،ج4، ص331.

[2] – المصدرالسابق، م2،ج4، ص331.

[3] – ذو صنعاء : اسم موضع .

[4] – السيرة النبوية، م2،ج4، ص332 .

[5] – ساف : شم.

[6] – لم أعثر على ترجمة كافية له.

[7] – ينظر: خبر القصة كاملاً في السيرة النبوية، م2، ج4، ص335.

يَا غَزوة ما غزونـــا غَيــر خَائبـــةٍ فيها البِغَـــال وَفيهـــا الخَيـــل والحمـــرُ
حَتى أَتَينَا حَميـــراً فـــي مَصـــانعها وَجمعُ خَثْعَمْ قَدْ شَـــاعَتْ لهَـــا النـــذرُ[1]
إِذا وَضعْتُ غلـــيلاً كُنـــتُ أحملـــهُ فمَـــا أُبـــالي أدَانـــوا بعْـــدُ أمْ كفـــرُوا

هذه نُتَفٌ بسيطة من شعر الوفود الذي قيل من الوفود التي جاءت تسلم عنـــد رسول الله ﷺ، فقابلها بالود والمحبة والقَبول، وهناك الكثير من هـــذه النمـــاذج، فأكتفيت بذكر أمثلة توضحيه لها، لأنها تحمل طابع النَّقائض الإسلامية.

خصائص النَّقائض الإسلاميّة وما طرأ عليها من تغير في الألفاظ والأساليب والمعاني والموضوعات

كان الشِّعر في الجاهلية ميدان البلاغة ومجال الفصاحة، وشـــغل العـــرب الشاغل، وسجَّل أيامهم ومفاخرهم ومعاركهم التليدة، والناطق بمآثرهم، والمعبـــر عن آمالهم والمدافع عن أعراضهم وأحسابهم، وقد كان للشعر أثره فـــي نفوســـهم وحياتهم، وللشعراء أيضاً منزلتهم العالية عند الخاصة والعامة، فقد كـــان يقولـــه الكبير والصغير، والرجل والمرأة، وما كان فيه من حرية وفراغ وقسوة العـــيش وكثرة الحروب والخلافات بينهم، مما كان يؤجج روح الشاعرية فيهم من حماســـة وفخر وهجاء، وانقيادهم للعصبية وانتصارهم لها وسيرهم وراءها، وتحكمها فـــي

[1] – مصانعها : مواضع تصنع بالحجارة لحبس الماء.

نفوسهم وحياتهم، فمن الصعب تغيير هذه الأشياء في نفس الشاعر الجاهلي، وإذا تم التغيير يتطلب قوة داخلية قوية ودين جديد وهو المتمثل في الدين الإسلامي الذي غيَّر كل شيء في عادات وتقاليد الجاهلية، فجاء الإسلام بهذه الدعوة الروحية العظمى والإنسانية الكبرى التي توقظ العقل وتهذب الخلق، وتنظم حياة الفرد والأسرة والجماعة والأمة الإنسانية جمعاء، يوائم أسمى مبادئ العدالة والحرية والإخاء الإنساني المنشود[1].

وقد اختلف الناس حيال هذه الدعوة الكبرى في بدء هذه النبوة بين مصدق ومكذب، ومؤمن وجاحد، فانتصر المسلمون لدينهم الجديد المجيد، فنشبت الخصومات وكثرة الخلافات، بدأت باللسان ثم انتقلت إلى السيف والرمح والحروب والغزوات بين الرَّسول ﷺ والمشركين[2]، فهذه الخلافات وهذه الثورة الكبرى، هي من أعظم ما يبعث على قول الشِّعر ويستدعيه، فاتخذ الرَّسول ﷺ شعراء يؤيدون الدعوة الإسلامية ويدافعون عنها، وكان للمشركين شعراء أيضا فكثرت المناظرات والمفاخرات والمناقضات بين الفريقين من الشعراء، فهؤلاء الشُّعراء لمَّا دخلوا الإسلام تغيرت معانيهم تدريجياً إلى معاني إسلامية متأثرة بمعاني القرآن الكريم ومن أشهرهم تأثراً حسّان بن ثابت رضي الله عنه، ولكن في بداية الدعوة شابه شيء من إختلاط المعاني بين جاهلية وإسلامية حيث يحتفظ الشُّعراء من المؤيدين والمعارضين بطبعهم الأصلي، والتغير بدأ يحدث شيئاً فشيئاً في الشُّعراء الإسلاميين الأوائل، فقد تأثروا بالقرآن الكريم وبالدين الجديد فغلب على معانيهم[3]:

1- العمق والدقة والفهم والاستقصاء وترتيب المعاني والأفكار.

---

[1] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد خفاجي، ص 205. في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص 121، 122.

[2] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام، محمد خفاجي، ص 206. وفي النص الإسلامي الأموي، محمد علي الهدفي، عبد الرزاق حسين نبيل المحيش ص9. وتاريخ النَّقائض في الشِّعر العربي، ص 157.

[3] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 210.

2- ظهور المعاني الإسلامية في النَّقائض الإسلامية وغلبتها عليه.
3- الصدق والحق وترك الكذب والمبالغة والغلو.
4- الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار.
5- تأليف وتوليد المعاني من العقائد الإسلامية كالصلاة والصيام والجنة والنار والزكاة والجهاد إلى غير ذلك من المعاني الإسلامية الهادفة.

أما من ناحية الأسلوب فقد تأثر الشُّعراء في عصر النبوة بالقرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ، فجاء هذا التأثير منعكساً على الأسلوب، وأحدث فيه تغيراً واضحاً من حيث:

1- فقد هجروا الوحشي والغريب من القول.
2- جمال السبك وعذوبته وإحكامه وتلاؤمه.
3- الاقتباس من القرآن الكريم للشاعر الإسلامي.
4- جزالة اللفظ والإسلوب وقوته وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية .
5- أن معظم النَّقائض الإسلامية جاءت في أعقاب الغزوات الإسلامية.

ومع كل هذه الأحداث يمكن القول: إنّ الأساليب في النَّقائض قد أصابها اختلاف واضطراب ما بين قوة جاهلية وسهولة وعذوبة إسلامية لدخول المعاني، الإسلامية السهلة الأولى، كما حدث عند حسّان بن ثابت رضي الله عنه، فضَعُف شعره الإسلامي في بداية النَّقائض الإسلامية الأولى، وفي الجهة الأخرى تجد أن بعض الشُّعراء لم يتغير شعرهم في الإسلام وفي الجاهلية، يُلاحظ ذلك في شعر الحَطِيئة[1].

والنَّقائض الإسلامية الأولى امتازت بأنها كانت قصيرة العمر أو ضرورة حتمية وقتية استدعتها المهاجاة والرد على المشركين في ظل بداية الدعوة الإسلامية، حتى إن الرَّسول ﷺ أمر حسّان بالرد على المشركين ونصرة

[1] – ينظر: تاريخ النَّقائض في الشِّعر العربي، احمد الشائب، ص 175، 158.

المسلمين، على أن أسلوب حسّان ضعف في الإسلام[1]، غير أن هذا القول على حسّان ربما يكون صحيحاً لتغير الظروف عليه من الجاهلية إلى الإسلام، وما صاحب كل حقبة من ظروف خاصة بها، ولأن الدّين الإسلامي ألْغى كل العصبية الجاهلية، وجاء الإسلام بمعاني جديدة، فاستعمل حسّان بن ثابت ﷺ هذه المعاني الجديدة السهلة وأدخلها في شعره.

وإذا قارنت بين قصيدتين لحسّان بين الجاهلية والإسلامية لوجدت الفرق واضحاً في الثانية في الخصوص لتأثره بالمعاني الجديدة، ولو سار حسّان على نمط الجاهلية في الإسلام لما تغيرتْ معانيه ليس من القوة إلى الضعف ولكن الأصح أن يقال من القوة إلى الليونة والسهولة والمرونة، وهو أسلوب معظم شعراء النَّقائض الإسلامية، أما من ناحية الموضوعات فقد اتجه شعراء النَّقائض في نمط واحد على الغالب في النقاط التالية[2]:

1. الدعوة إلى الإسلام ومبادئه ومهاجمة الخصوم.
2. هجاء أعداء الدعوة في عصر النبوة والابتعاد عن الإفحاش والسباب.
3. رثاء من استشهدوا في غزوات الرَّسول ﷺ.
4. المدح للرسول ﷺ والإسلام والمسلمين.
5. الفخر بالانتصارات في الغزوات الإسلامية[3].

يمكن القول: إن غالبية النَّقائض الإسلامية تتحدث في موضوع الفخر والهجاء على الأعداء وفي الأعداء، وتدل هذه النَّقائض الإسلامية، أنها تمَّت ملكة النقد والنقض عند العرب في تلك الفترة، لأن صاحب النقيضة يسمع ما قاله الخصم ويحاول أن يهدم هذا القول بنظمٍ على مثاله، وقد يتناول هدم الأفكار والمعاني ونقضها وقلبها، " ويحسن أن نشير إشارة خاصة إلى أن الآراء الإسلامية

---

[1] – ينظر: في النص الإسلامي والأموي، ص 50. وشعر المخضرمين واثر الإسلام فيه، ص 63، 64. وفي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص 183، 184 .

[2] – ينظر: الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 207 و 208 .

[3] – ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج3 – ص81، 82.

والآيات القرآنية، قد سادت المناقضات، فقد كانت قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة، ثم كانت إسلامية بمعانيها الجديدة"[1] وللنقائض الإسلامية من حيث شكلها ومضمونها قيمة ويمكن تلخيصها في الجوانب الآتية :

1. إنها عكست جانباً دينياً واضحاً، فقد كان للإسلام أثره الواضح فيها حيث حفلت في الفخر والهجاء والرثاء والأحاجي بالكثير من المعاني الإسلامية.
2. إنها حفظت لنا اللغة العربية الخالصة.
3. إن قيمة هذه النَّقائض تتمثل في فنية نقد المعنى، فقد أوتي كل شاعر مقدرة فنية بالغة في نقض المعنى.
4. إن نقائض الشُّعراء الإسلاميين والجاهليين قد بلغوا في نقض المعنى بعداً كبيراً، " وهذا القول بأن النقيضة لم تكن مجرد هجاء يتسلى به المستمعون، وإنما كان عملاً فنياً فيه من الفن والفكر ما يؤكد أصالة هؤلاء الشعراء"[2].
5. أصبح في العصر الإسلامي يدافع عن الإسلام والمسلمين[3].

---

[1] – بحث بدايات فن النَّقائض، د. عبد النبي سالم قدير، ص 18.

[2] – المرجع السابق، ص 18 .

[3] – المرجع السابق، ص 19. وفي الشِّعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، ص 361.

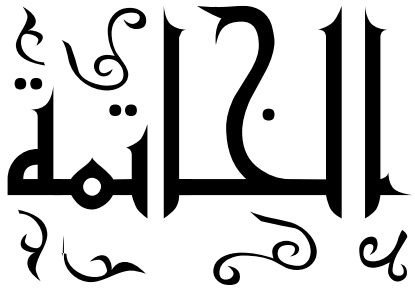

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع، والذي يتعلق بدراسة ظاهرة فنيّة عملت على تماسك الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ، وتقريب معانيه ألا وهي ظاهرة النقائض بين الجاهليّة وصدر الإسلام، التي تدور رحاها بين الشّعراء والتي ورسخّت لنا أصول الشّعر ومعانيه وأفكاره، وهذا من فضل الله عليّ ثم فضل أستاذي الكريم وتوجيهاته القيّمة المصيبة، فقد عمل جاهدا على إرشادي وتوجيهي، وعمل على إنارة الدّرب أماميّ، فوظفت هذا التّوجيه من الأستاذ في

البحث، فقسمته إلى ثلاثة فصول ومقدّمة وخاتمة والتي استفدت منها واستنتجت منها الآتي:

1 ــ أنّ هذه الظاهرة، عرفت منذ القدم، وتمتد جذورها إلى العصر الجاهلي.

2 ــ لا تتم الرئاسة على القوم، إلا بوجود عصبية غالبة للعصبيات الأخرى.

3 ــ تخلخل هذه الظاهرة نوعاً من العصبيات القبلية.

4 ــ بلغت عصبية الشعراء لقبائلهم ذروتها في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

5 ــ أثرت هذه الظاهرة في الحياة الأدبية في العصر الجاهلي والإسلامي. وخاصة في الشعراء والنقائض، مما أدى إلى مغالاة الشعراء في عصبياتهم لقبائلهم وعشائرهم.

6 ــ حفظت اللغة العربية من الضياع بين اللغات الدخيلة.

7 ــ ظل الصراع بين العصبيات متواصلاً في عصر صدر الإسلامي.

8 ــ ظلت العصبية القبلية بين المهاجرين والأنصار قائمة في الإسلام وبين الأنصار أنفسهم على الرغم من أنّ الرّسول ﷺ آخى بينهم.

9 ــ ظهور النزاع في بطون قريش بسبب الخلافة وذلك أثر وفاة الرسول ﷺ.

10 ــ أنّ فنّ النقائض معونة قيمة في تاريخ الأدب العربي بعامّة القديم والحديث منه.

11 ــ وقوف الشعراء مع قبائلهم في الحرب والسلم وتحريضهم عن القتال والأخذ بالثأر.

12 ــ وقفت طائفة من الشعراء إلى جانب قبائلهم المرتدة عن الإسلام وتحريض بعض الشعراء على الارتداد مثل: الحطيئة.

13 ــ كان لظهور الأيام الجاهلية وحروبها أثر بارز في ظهور فنّ النقائض بين الشعراء.

14 ــ ومن الأمور التي أدت إلى إثراء النقائض النظام القبلي الصارم والعصبيات القبلية.

15 ــ تعلق القبائل بأنسابها وحرصها عليها، واعتزازها بها.

16 ــ تمسك الشعراء في العصر الإسلامي بالروح الإسلامية الجديدة ووقوفهم مع النبي ﷺ والدعوة الإسلامية.

17 ــ ظهور معاني جديدة في العصر الإسلامي في النقائض مما أدى إلى ظهور نقائض إسلامية مواكبة للحركة الإسلامية.

18 ــ أدركت القبائل في العصر الجاهلي أنّ مصلحتها تقتضي بشدّة تماسكها وتناصر أفرادها، حتى تستطيع أن تحقق أغراضها من تبوّأ المناصب الرفيعة في الدولة، وجر الغنائم إلى أبنائها ومضاهاة القبائل الأخرى.

19 ــ ظلت نزعة المفاخرة والمنافرة غالبة على النفوس في العصر الجاهلي والإسلامي، ثم زادت في عصر بني أمية.

20 ــ كان للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي الأثر الواضح في ظهور النقائض.

21 ــ عندما كثرت الأيام وحميت العصبيات وظهر الفحول وبدأ التحدي بينهم، وتعاظمت الجاهلية في نفوسهم، أخذت النقائض تطول وتتكامل عناصرها وتخضع للتحدي، الموضوعي والمعنوي والموسيقي، حتى تمت لها قواعدها المعروفة.

22 ــ إنّ مقومات النقائض وأصولها في الجاهلية هي الأنساب والأصول الاجتماعية والأيام والعصبيات القبلية، والمفاخرة بالأحساب والأنساب.

23 ــ استفادة الشعراء من الروح الإسلامية الجديدة وتوظيفها في أشعارهم وحملها في الدفاع عن الإسلام.

24 ــ تأجج العصبية بين المسلمين والكفار واستخدام النقائض في انتصار كل فريق.

25 ــ ألغى الإسلام الانتماء إلى الأنساب وشرفها والافتخار بها على الناس وكذلك ألغى العصبية القبلية الجاهلية وكل ما تمت إليه بصلة.

26 ــ أخذ الشعراء المسلمين على عاتقهم الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الإسلام.

27 ــ نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ وأحاديث الرسول وخطبه وتعاليمه سندا لنهضة العرب وجميع علومهم بما فيها الشعر.

28 ــ شاركت النساء الشعراء في النهضة الشعرية مع الرسول ﷺ وكنّ يحرض على القتال، والانتقام ويبكين القتلى.

29 ــ لأنّ الشعر بعض الشعراء من أمثالهم حسان بن ثابت رضي الله عنه، وذلك لتغير الظروف عليه من الجاهلية إلى الإسلام، ولو بقي حسان في الجاهلية في الشعر لكان شعره مثل الشعراء الذين لم يدخلوا الإسلام، وإذا نُظِرَ إلى شعر المشركين في الإسلام لوُجِد أن شعرهم لم يتغير، وذلك لعدم دخولهم في الإسلام، فبقيت معانيتهم معاني جاهلية.

30 ــ أكثر النقائض الإسلامية جاءت في الغزوات الإسلامية وأيام الحروب بين المسلمين والمشركين، وأنها امتدادا للنقائض الجاهلية.

31 ــ تغيرت المعاني والموضوعات والأساليب من الجاهلية إلى الإسلامية.

32 ــ حمل عام الوفود نقائض تعتبر في مجملها قليلة.

33 ــ اقتباس الشعراء من معاني القرآن الكريم وتوظيفها في شعرهم.

وهذا من فضل الله عليّ أن أديت جهدا متواضعا في هذا البحث.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، دراسة وصفية نقدية، حبيب يوسف مغنية، دار ومكتبة الهلال – بيروت – لبنان 1995م.
3. الأدب في عصر النبوة والراشدين، د. صلاح الدين الهادي، ط3، 1400هـ - 1980م.
4. الأدب في موكب الحضارة الإسلامية كتاب النثر، مصطفي الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط3، 2005م.

5. أساس البلاغة، للإمام الزمخشري، دار صادر بيروت– لبنان ط1 سنة 1992م.
6. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، للشيخ موفق الدين بن عبد الله بن قدامه المقدمي، تح: أ. على نويهض، دار الفكر ، بيروت، لبنان.
7. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، 1397هـ – 1977م.
8. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، 1980م.
9. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العربية، القاهرة، مصر.
10. أمالي المترضي، للشريف المرتضي على بن الحسين الموسوي تحقيق، مجمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1998م.
11. الأنوار ومحاسن الأشعار، علي بن محمد الشمشاطي، تح: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإعلام، 1978م.
12. أيام العرب في الإسلام، ط إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة.
13. أيّام العرب في الجاهلية، علي محمد الحجاوي، مطبعة البابي بمصر، ط 3 .
14. بحث بدايات فن النقائض، د. عبد النبي سالم قدير، 2009م.
15. تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس، بيروت – لبنان، دار الثقافة، ط1، 1960م.
16. تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 20.
17. تاريخ الأدب العربي، د. عمرو الفروخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
18. تاريخ الإسلام من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية، د عبد علي ياسين، دار يافا، عمان الأردن، 2005م.

19. تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثالث الهجري، أحمد الشائب، دار القلم، بيروت – لبنان، ط1، 1999م.
20. تاريخ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4.
21. تاريخ النّقائض في الشّعر العربيّ، أحمد الشائب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 2002م.
22. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق:– سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ – 1999م.
23. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م.
24. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط21، 1424هـ – 2003م.
25. الحوار والجدل في تاريخ الخلفاء المسمى بالإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ط مؤسسة الوفاء، بيروت. لبنان.
26. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تح: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1988م.
27. الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، تح: خليل، دار القلم، بيروت – لبنان ط 1 ، 1986م.
28. دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، د. محمد عثمان علي، دار الكتب الجامعية المفتوحة، 1991م.
29. دراسات في الأدب العربيّ، معاذ السرطاوي ، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع – بيروت– لبنان ، د.ط .ت.

30. ديوان الأصمعيات، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت – لبنان، ط1، 1423هـ – 2002م.
31. ديوان الأعشى، تح: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1950م.
32. ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري، تح: أ. عبد المهنا، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان –ط2.
33. ديوان امرئ القيس، تح: محمّد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5.
34. ديوان حسان بن ثابت، شرح: البرقوني، دار الشعر العربي، بيروت – لبنان، ط2، 1419هـ 1998م.
35. ديوان الحطيئة، تح نعمة أمين طه، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولده، بمصر، ط1، 1378 ه – 1958م.
36. ديوان دريد بن الصمة، د. شاكر الفحام، محمد خير النعاعي، دار قتيبه، سنة 1981م.
37. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: د. عمر فاروق الطباع، دار العلم، بيروت – لبنان.
38. ديوان سلامة بن جندل، تح: لويس شيخو، بيروت، لبنان، 1990م.
39. ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلام، الشتمري، تح دريد الخطيب، ط2، ،1975م.
40. ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، مكتبة دار العروبة مصر ط1، 1962م.
41. ديوان لبيد بن رَبِيعَة العامريّ، دار صادر دط دت، بيروت – لبنان.
42. ديوان لقيط بن يعمر الإيادى شرح : د محمد النويجي، دار صادر بيروت لبنان ط 1، 1998م.
43. ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

44. ديوان، العباس بن مرداس السلمي، تح: يحـــي الجبـــوري بغـــداد، 1968م.
45. ديوان، خفاف بن ندبة السلمي، تح: د. نوري حمود القيْسي مطبعـــة المعارف، بغداد، 1968م.
46. ديوان، سلامة ابن جندل، صنعه: محمد بن الحســـن الأحـــول،دار صادر، 1964م.
47. ديوان، شعر الأيّام، دراسة، وتح: د. عفيـــف عبـــد الـــرحمن، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
48. ذيل أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، السعيد الخـــوري، دارالفكر، بيروت، لبنان، ط1.
49. الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، الشيخ صـــفي الـــرحمن المبار كفوري، الجامعة السلفية الهنـــد، دار الرحمـــة للنشـــر والتوزيـــع، 1411هـــ - 1991م.
50. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بـــن أحمـــد عثمـــان الذهبي، تح: محي الدين أبي سعيد عمران بن غرامة العمري، دار القلم – بيروت – لبنان.
51. السيرة النبوية، لابن هشام، دار المنار للطبع والنشـــر والتوزيـــع، القاهرة – مصر.
52. سيرة أمير المؤمنين أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، تأليف د- علي محمد الصلابي – دار ابن الجوزي القاهرة – مصر، ط1، 1428 ه، 2007م.
53. شرح المعلقات السبع، د. مفيد قميحة، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 2000م.
54. شرح ديوان طرفة بن العبد، د. سعد الصناوي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1414هـــ - 1994م.

55. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبـــراهيم دار الجبل – بيروت – لبنان ط1 – 1990م.
56. شرح نهج البلاغة، لأبي ابن الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجبل، بيروت لبنان، ط1، سنة 1987م.
57. الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه، د. يحي الجبـــوري، منشـــورات جامعة قاريونس، بنغازي ــ ليبيا ط3، 1993م.
58. شعر المخضرمين وأثره الإسلام فيه، تـــأليف: يحـــي الجبـــوري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط5 1419هـــ –1998م.
59. شعر عبد الله بن الزبعرى، تح: د. يحيى الجبورى، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 1، سنة 1978م.
60. شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية وصدر الإســـلام، د. عبـــد الله جبريل مقداد، جامعة العلوم التطبقية – عمّان، دار عمّار للنشر والتوزيـــع، الأردن.
61. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تح: مفيد قميحة، وراجعـــه وضـــبط نصه: نعيم زرزور، المكتبة العلمية، القاهرة.
62. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1967م.
63. صحيح مسلم بشرح النووى، دار الكتب العلمية بيـــروت لبنـــان ط 1983م.
64. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تح ــ محمـــود محمـــد شاكر، دارالمدني، جدّة، السعودية.
65. ظاهرة التكسب وأثرها في الشّعر العربيّ ونقده، تـــأليف: درويـــش الجندي، دار النهضة، القاهرة، مصر.
66. عباس بن مرداس الصحابي الشـــاعر، د. عبـــد الله عبـــد الـــرحيم عيسلان، دار المنهج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1978م.

67. العقد الفريد، لابن عبد ربه، تح: عبد الحميد الترحيني، منشورات محمد علي بيوحن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ 1997م.
68. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة – مصر، 2006م.
69. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المنار ط 1، 1999م.
70. الفصول في سيرة الرَّسول ﷺ، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تح وتعليق محمد العبد الخطراوي ومحي الدين منشورات ط4، 1405ه، 1985م.
71. فن الهجاء وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط ش، 1998م.
72. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر، تح: د. إحسّان عباس، دار الثقافة – بيروت – لبنان.
73. في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار المعارف، مصر، القاهرة.
74. في أدب الإسلام، عصر النبوة والراشدين وبني أمية، دراسة وصفية تحليلية، منشورات كلية الدعوة، محمد عثمان علي، ط3، 1414هـ ـ 1994م.
75. في النص الإسلامي والأموي، دراسة تحليلية، محمد بن علي د.عبد الرزاق حسين، د.نبيل المحيش، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2.
76. القصيدة العربية بين التطور والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل – بيروت – لبنان.
77. كتاب أشهر مشاهير الإسلام في الحروب والسياسة، سيرة الخلفاء الراشدين ومن أشتهر في دولتهم، رفيق بك العظم،دار الرائد العربي بيروت لبنان ط16، 1403ه-1983م.

78. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
79. لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط 2003م.
80. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، الآمدي، دار الفكر، بيروت ــ لبنان.
81. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت، 1995م.
82. مختار الصحاح، تأليف، محمد بن أبي بكر الرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1988م.
83. مختصر تفسير ابن كثير ، دار الفكر، بيروت– لبنان 1419هـ– 1999م.
84. معاني القرآن، للفراء، تح: ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار، دار السرور.
85. معجم الشعراء في معجم البلدان، كامل الجبورى، مكتبة لبنان، ط 1، 2002م.
86. المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تح: محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط، دار المعارف، مصر، 1964م.
87. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به:هيثم جمعة هلال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ط1، 2007م.
88. الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، حققه وعلق عليه الأستاذ أحمد فهمي محمد، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

89. موسوعة الفلسفة، أبو العلاء المعري مبصر بن عميـــان، أ. خليـــل شرف الدين منشورات مكتبة الهلال، بيروت، لبنـــان، طبعـــة2، ســـنة 1993م.
90. النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية، تأليف محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1988م.
91. النص الإسلامي والأموي، دراسة تحليلية، أعـــدها: محمـــد علـــي الهدفي، عبد الرزاق حسين ونبيل المحيش، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر، ط2، 1427هـــ - 2006م.
92. الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د. محمد محمد حسين، دار النهضة بيروت – لبنان، ط3، 1389هـــ - 1980م.
93. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، إحسان عباس، دار صادر – بيـــروت، ط4، 1997م.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الآية.....	أ
2	الإهداء.....	ب
3	الشكر والتقدير.....	جـ
4	**المقدمة**.....	1
5	الرّموز والاختصارات المستخدمة في الرّسالة.....	5
6	**التمهيد: المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ للنقائض**.....	6
7	المدخل/ مفهوم مصطلح النقائض.....	7
8	الدّلالة اللّغويّة للنقائض.....	8
9	المعنى الاصطلاحي للنقائض.....	10
10	**الفصل الأوّل: النقائض في الجاهلية**	13
11	**المبحث الأول: نشأة النّقائض وأسباب ظهورها**.....	14
12	نشأتها.....	15
13	أسباب ظهورها ونموها وتطورها.....	17
14	نشأة النّقائض من الشعر الحماسي والهجائي.....	22
15	**المبحث الثاني: النظام القبلي والعصبية وعلاقتهما بالنّقائض**.....	28
16	العصبيات القبلية.....	30
17	الهجاء عند الشعراء وعلاقته بالعصبية القبلية.....	34
18	**المبحث الثالث: النّقائض والحياة الاجتماعية**.....	39
19	**الفصل الثاني: مقومات فن النّقائض وعناصرها في الجاهلية**.....	50
20	**المبحث الأول:التفاخر والتعاظم بالأنساب** ودوره في خلق النقائض في الجاهلية..	51

21	**المبحث الثاني:** الأيّام وأثرها في نشوء فنّ النّقائض.....	60
22	**المبحث الثالث: خصائص فن النّقائض في الجاهلية**.....	80
23	**الفصل الثالث: النقائض في عصر صدر الإسلام**.....	86
24	المدخل/ الشعر في العصر الإسلامي.....	87
25	**المبحث الأول: أسباب ظهور النقائض** ونموّها وتطورها في صدر الإسلام.....	92
26	**المبحث الثاني: موقف الإسلام من العصبية القبلية**.....	104
27	العصبية ووجودها في النقائض.....	105
28	موقف الإسلام من العصبية.....	111
29	**المبحث الثالث: موقف القرآن الكريم من فنّ النقائض**.....	113
30	مدى تأثير القرآن في تهذيب فنّ الهجاء.....	121
31	**المبحث الرابع: الغزوات الإسلامية وأثرها في النقائض**.....	126
32	غزوة بدر الكبرى.....	140
33	غزوة أُحُدْ.....	144
34	غزوة الخَندق.....	152
35	فتح مكة.....	158
36	شعر الوفود.....	165
37	خصائص فنّ النَّقائض الإسلاميّة.....	170
38	الخاتمة.....	174
39	المصادر والمراجع.....	178
40	فهرس الموضوعات.....	187